

الأخلاق المشبوبة

للعارف بالله

سيدي عبد الوهاب الشعراني

تقديم وتحقيق وتعليق
دكتور منيع عبد الحليم محمود

الجزء الثاني

هذه الطبعة على نفقة
حضرة صاحب السمو ولي عهد أبي
مساهمة كريمة منه
في نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة

البَابُ الْخَامِسُ

فِي جَمَلَةِ أُخْرَى مِنْ الْأَخْلَاقِ

فمن أخلاقهم : مبادرتهم ببادي الرأي إلى النظر في حكمة المعاصي إذا وقعت ولا يعترضون إلا بعد النظر في حكمة الأفعال

عكس ما عليه غيرهم فيبادر أحدهم إلى الإنكار ولا يكاد يعذر العاصي مثلاً إلا بعد تفكير وتأمل طويل .

وقد قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه :

خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أف قط ، ولا شيء صنعته لم صنعته ، ولا شيء تركته لم تركته .

أى لأنه وقع وانقضى ومابقى على الداعي إلا إقامة الحدود الشرعية ان كان فيها حدوداً والتأديب مثلاً .

فاهرض ياخى حكمة وقوع ذلك الفعل أدبا مع الله تعالى ليقل اعتراضك على المقادير الالهية ثم اعترض باعتراض الشرع والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم معاتبة أحد من إخوانهم

إذا دعوه إلى وليمة ولم يحضر أو مرض فلم يعودوه أو عمل مهما ، فلم يساعده ولا بأنفسهم ولا بمالهم إلا لغرض صحيح كتنبئهم على نقص فيهم في ترك مساعدتهم إخوانهم ، وتقويتهم الخير على أنفسهم لأجله ، فإن من شرط الفقير أن يرفع كلفته عن الناس بحسب الطاقة .

وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه إذا عمل مولدا أو مرض يقول : اللهم انس أصحابي ذلك ، حتى أفرغ من عمل للولد أو أشفي من للمرض خوفا من كلمتهم لأجله .

ومن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يكتم الجوع عن أصحابه ، وكانوا لا يعرفون ذلك منه إلا بصفرة وجهه ﷺ ، وتعصبيه بطنه بعصاة فاعلم ذلك وأعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهودهم في نفوسهم أنهم دون مريديهم

لأن المرید شیخ شیخه بلحال^(١) وغاية الشيخ أنه شيخه بالقال ومعلوم أن الحال
تبلغ من القال .

وكان سیدی علی الخواص رحمه الله يقول :

من شرط الشيخ أن لا يرى لنفسه مدخلا في هداية الناس إلا على وجه الدلالة فقط .

قال : وحل ذلك أن لا يفرق بين كون ذلك المرید مریدا له أو مریدا لغيره ، ومتى
فرق بينهما ، فهو يدعو الناس بحظ نفسه لا بحجة في ظهور شرع الله عز وجل ، فإن الهداية
حيث ما حصلت أو الشعار حيث ما حصل ، وقام ، فهو المقصود لكل داع بقطع النظر عن
كون ذلك على يده أو يد غيره ، وهذا الخلق يخل به كثير من الفقراء وربما توافوا
إلى الحكماء ، وطلب كل واحد منهم أن يختص بذلك المرید .

وقد قالوا : المرید لمن يريد .

فأهمل ذلك وامش على قواعد الأشياخ والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول الإمام القشيري في تعريف الحال :

والحال عند القوم : معنى يرد على القلب ، من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب
لهم ، من طرب ، أو حزن ، أو بسط ، أو قبض ، أو شوق ، أو انزعاج أو هيبة ، أو احتياج .
فالأحوال : مواهب ، والمقامات : مكاسب .

والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل بئذ الجهود .

وصاحب المقام ممكن في مقامه ، وصاحب الحال منزق عن حاله .

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ، ودوامها ، وقالوا : إنها إذا لم تدم ، ولم تتوال فهي
فوايح وبواده ، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال ، فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك
تسمى « حالا » .

ومن أخلاقهم محبة إقامة الفقرا عندهم في الزاوية لينذروهم بالله تعالى
بقراءتهم وذكركم وعبادتهم لا لغرض من الأغراض النفسانية

وفي ذلك اتباع السنة المحمدية ، فإن أهل الصفة كانوا عنده صلى الله عليه وسلم في المسجد
لا يلوون على أهل ، ولا مال وإنما جالسون للعبادة فقط .

وكان إذا جاءه صلى الله عليه وسلم صدقة بعثها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، وإذا
جاءه هدية أرسلها إليهم وأصاب منها وسيأتي ذلك في الباب الحادي عشر إن شاء
الله تعالى .

ولا يخفى أن الفقرا في إقامة المجاورين عندهم على أقسام :
فمنهم من له حرفة أو رزقه فينفق على الفقرا منها .

ومنهم من كان على ما يفتح الله تعالى ، كسيدى يوسف العجمي ، وسيدى أبي الحسن
الشاذلي ، فإنهما كانا يقولان :

لا نربي أصحابنا على الاعتماد على الأسباب ، وإنما نربيهم على التوكل ^(١) ، وقد عرض

(١) يقول سهل بن عبد الله : علامة المتوكل ثلاث :

لا يسأل ، ولا يرد ، ولا يحبس .

وقال رجل لحاتم الأصم :

من أين تأكل ؟

فقال : « والله خزائن السموات والأرض ، ولكن للنافقين لا يفقهون » .

وقال حمدون : التوكل هو الإعتصام بالله تعالى .

وقال سهل بن عبد الله : أول مقام في التوكل : أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل

كاليت بين يدي الغاسل ، يقلبه كيف شاء ، لا يكون له حركة ولا تدبير .

يقول الإمام القشيري : واعلم أن التوكل محله القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل

بالقلب ، بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى ، فإن تسمر شيء ، فبتقديره ،

ولين اتفق فتبينه .

الملوك عليهما الرزق والمرتبات ، فلم يجيبا إلى ذلك ، فكان سيدي أبو الحسن يشتغل هو وأصحابه بالعبادة ولا يسألون الناس شيئا .

وكان سيدي يوسف العجمي يسأل هو وأصحابه الناس ، فكان كل يوم على فقير ، وكان سيدي عثمان الخطاب يسأل الناس والأمراء ، ويطعم السلطان قايتباي يسأل للفقراء القمح والأرز والنياب ، فقال له السلطان يوما :
أطلق هؤلاء الذين عندك تسترح منهم .

فقال له : فأطلق أنت الآخر هؤلاء المماليك تسترح منهم .

فقال : هؤلاء عسكر الإسلام .

فقال : وهؤلاء عسكر القرآن .

فتبسم السلطان ، وأعطاه ما طلب .

فحرر ياخي النية الصالحة في جمع الناس عندك ، ولا تطعمهم ، لا - لا لا بحسب رتبهم في كل عصر ، وما أرى التعفف عن السؤال لك ولم - لا أفضل ولو كان مشهدك أن الماعطى هو الله تعالى لأعباده ، فإنها هي الطريق التي درج عليها الشيخ الجنيد وأصحابه اللهم إلا أن يكون للفقير السائل حال يحميه عن ازدراء الناس له بالسؤال فهذا لا بأس به ومليه حمل حال سيدي يوسف العجمي وخيره والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم شهودهم لإطلاق اسم الفسق اللغوى عليهم فى جميع أحوالهم
فلا يخرجون أنفسهم عن الفسق المذكور فى ساحة من ليل أو نهار لأن أحدهم لا يخلوا
من أمرين :

إما أن يكون فى فعل مسكروه ، فالأمر ظاهر .

وما إن يكون فى فعل محمود ، فهو يشهد نقصه فيه عما أمر به .
وقد قالوا :

الفسق فى اللغة : هو الخروج يقال : فسقت النواة إذا خرجت من قشرتها ، ومن
خرج عن السنة المحمدية قيد شبر مثلاً فى ملبسه أو مأكله أو نومه أو عباداته أو غير ذلك
من جميع أحواله الشرعية ، فقد انسحب عليه اسم الفسق اللغوى ، فأى عبد يدعى
سلامته من هذا الفسق ، فإنه أعز من الكبريت الأحمر ، ولكن إذا كمل حال الفقير
هنا يشهد الكمال النسبى والنقص فى آن واحد بعين واحدة أو أعين كما يعرف ذلك من
سلك الطريق والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم رضاعهم عن الله تعالى إذا ناموا عن وردهم بالليل مثلاً وشكرهم
له حيث أنامهم في عافية لأبدانهم

وذلك لأن لا تخلوا أنفسهم من أدب العبودية في وقت من الأوقات ، فلما فاتتهم أعمال
العبودية من حيث التهجد مثلاً تداركوها من حيث نعمة النوم عليهم ، فإنها من أعظم
النعمة فكان شكرهم لله تعالى من هذه الحيثية كالجبر للثواب الذي فاتهم من جهة ترك
التهجد مثلاً ، فلذلك كانوا يستغفرون من النوم ، ويشكرون عليه من جهتين مختلفتين
فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم التكدر ممن بلغهم عنه أنه ينبغيهم عن طريق الصوفية

ويقول: إن هؤلاء نصابون كذابون بل يرون أن من شهد لهم أنهم من الصوفية كذاب، ويتكدرون منه خيرة على القوم من أن يقال بأن أحدهم على مقام أحد منهم، وكل صادق يرى مقامه بعيدا عن مقام الصوفية أبعد مما بين السماء والأرض.

وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى إذا بلغه أن أحدا أخرجه عن طريق الفقرا يقول:

والله إن هذا قلبه نير الذي هرف خبث باطنى فأين خوفي من خوف القوم، وأين الورع من الورع، وأين الزهد من الزهد، وأين العلم من العلم، وأين العمل من العمل. وقد تقدم في هذا الكتاب عن سيدي عبد الله للنوفى صاحب الكرامات والتلامذة الأجلاء منهم الشيخ خليل صاحب المختصر أن ناظر خانقاه سعيد السعدا دعاه إلى الإقامة بها فأبى، وقال:

إن وافقها شرط خلاويها وخبرها للصوفية، وأنا لست بصوفى فانظر يالتهى إلى نظر العارفين وظنهم في أنفسهم واتبع طريقهم.

وقد رأيت من جمع له رسالة ملققة من كلام الشيخ عجي الدين ومن الإحياء للغزالي، وكتب اسمه عليها وظن أنه صار من الصوفية فقلت له:

إنخذلك شيخا يعرفك الطريق فعاداني سنين إلى وفقى هذا، وقد سألته عن بعض مسائل في مختصر أبي شجاع؟

فقال: أنا ما قرأت في الفقه.

فقلت له: الفقه أساس الطريق، ولا يصح بناء على غير أساس انتهى.

وقد كان سيدي على الموصفي رحمه الله تعالى يقول:

كل من ادعى أنه من أهل الطريق، وهو يعجز عن استلباط شيء من الشريعة،

وأدب القوم من الكتاب والسنة ، فهو مدع كذاب .

وقد قال شخص من العلماء لأبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى : أى فائدة لقراءة حكاية
أحوال القوم ؟ .

فقال : تثبت المریدین علی محبة الطریق .

فقال له : العالم ما الدليل على ذلك من القرآن ؟ .

فقال فوراً الدليل : على ذلك قوله تعالى : « ولا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت
به فؤادك ^(١) » .

فقال له العالم : قد صلح تلقيبك بالاستاذ ، فاشتهر بتلقيبه بالاستاذ من ذلك اليوم
فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تسليمهم لكل من ادعى انه أعطى مقام الكشف^(١)
ولكنه تنزه عنه وسأل الله في إزالته ، حتى أزال ، ثم إن كان كاذباً ، فكذبه يرجع
عليه ، وإن كان صادقاً فقد صدقناه .
وكذلك نسلم لكل من ادعى مقام المراقبة ونحوه من مقامات الباطن .

(١) يقول الإمام الفشيرى فى مقام الكشف :
المحاضرة : إبتداءً ثم المكاشفة ، ثم للمشاهدة .
فالمحاضرة : حضور القلب . وقد يكون بتواز برهان ، وهو بعد وراء الستر وإن
كان حاضراً باستيلاء سلطان الذكر .
ثم بعده : المكاشفة : وهو حضوره بنعت البيان . غير مفتقر فى هذه الحالة إلى تأمل
الدليل ، وتطلب السبيل ، ولا مستجير من دواعى الريب . ولا محجوب من نعم الغيب .
ثم : المشاهدة : وهى حضور الحق من غير بقاء تهمة .
فإذا أصبحت سماء السر عن غيوم السر ، فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف .
وحق المشاهدة ما قاله الجنيد ، رحمه الله : وجود الحق مع فقدانك .
ومن ذلك : اللوائح ، والطوائع ، واللوامع .
قال الأستاذ رضى الله عنه :
هذه الألفاظ متقاربة المعنى ، لا يكاد يحصل بينها كبير فرق . وهى من صفات أصحاب
البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب ، فلم يدم لهم بعد ضياء شمس المعارف . لكن الحق
سبحانه وتعالى ، يؤتى رزق قلوبهم فى كل حين ، كما قال : « ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا » ، فكلما أظلم عليهم سماء القلوب بسحاب الحفظ سنح لهم فيها لوائح الكشف ،
وتلألأ دمع القرب . وهم فى زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح .
فهم كما قال القائل :

يا أيها البرق الذى يلمع من أى أكناف السما تسطع
فتكون أولاً : لوائح ، ثم لوامع ، ثم طوائع .
فاللوائح كالبروق ، ما ظهرت حتى استقرت ، كما قال القائل :
اقتربنا حولاً فلما التقينا كان تسليمه على وداعا

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :
لا ينبغي لفقير أن يدعى مقام الكشف ، وأنه تنزه عنه ، وسأل الله تعالى الحجاب

وأنشدوا :

يا ذا الذى زار وما زارا كأنه مقتبس ناراً
مر باب الدار مستعجلاً ما ضره لو دخل الدار
واللوامع : أظهر من اللوائح . وليس زوالها بملك السرعة ، فقد تبقى اللوامع
وقتين وثلاثة .

ولكن كما قالوا :

والعين باكية لم تشبع النظرا

وكما قالوا :

لم ترد ماء وجه العين إلا شرقت قبل ربه برب
فإذا لم قطعك عنك ، وجمعك به ، لكن لم يسفر نور نهاره حتى كر عليه عساكر
الليل ، فهو لاء بين روح ونوح ، لأنهم بين كشف وستر .
كما قالوا :

فالليل يشملنا بفاضل برده والصبح يلحقنا رداء مذهبنا
والطوالع : أبقي وقتنا ، وأقوى سلطاننا ، وأدوم مكثنا ، وأذهب للظلمة ، وأنقى للنهمة ،
لكنها موقوفة على خطر الأفول ، لبست برفعة الأوج ، ولا بدائمة المكث . ثم أوقات
حولها وشبكة الإرتحال ، وأحوال أفعالها طويلة الأذيال .
وهذه المعاني ، التى هى : اللوائح واللوامع والطوالع ، تختلف فى القضايا ، فمنها ما إذا
قات لم يبق عنها أثر كالشوارق إذا أفلت فكان الليل كان دائماً .
ومن ما يبقى عنه أثر ، فإن زال رقه بقي ألمه ، وإن غربت أنواره بقيت آثاره . فصاحبه
بعد سكون غلباته يعيش فى ضياء بركانه ، فإلى أن يلوح ثانياً يرجى وقته على انتظار عوده ،
ويعيش بما وجد فى حين كونه .

ومن ذلك : البوادر والهجوم .

البوادر :

ما يجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة ، إما موجب فرح ، وإما موجب ترح .
٢ - الأخلاق المتبركة - ثان

فيه إلا إن كان صادقا ، فإن النفس ربما تلبس علي صاحبها في ادعائها المقامات الباطنة .
ويقول : إن الناس لا ينازعونك في مثل ذلك لعدم اطلاعهم عليه ، وربما صار

والمهجوم :

ما يرد على القلب بقوة الوقت ، من غير تصنع منك .
ويختلف في الأنواع على حسب قوة الوارد وضعفه .
فهم من تغيره البوادة ، وتصرفه المواجه .

ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالا وقوة . أولئك سادات الوقت . كما قيل :

لا تهدي نوب الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجسام

ويشرح لنا الإمام الغزالي حالة الكشف فيقول :

شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من
الطريق المعتاد .

إعلم : أن من انكشف له شيء ، ولو الشيء اليسير ، بطريق الإلهام والوقوع في القلب ،
من حيث لا يدري ، فقد صار عارفا بصحة الطريق ، ومن لم يدرك بنفسه قط ، فينبغي أن
يؤمن به ، فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جداً . ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب
والحكايات . أما الشواهد فقوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » فكل
حكمة تظهر من القلب ، بالمواظبة على العبادة من غير تعلم ، فهي بطريق الكشف والإلهام .
وقال ﷺ :

« من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ، ومن لم
يعمل بما يعلم ، تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار » .

وقال الله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » من الإشكالات والشبه « ويرزقه
من حيث لا يحتسب » قبل : يعلمه من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة .

وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » قبل نورا يفرق
به بين الحق والباطل ، ويخرج به من الشبهات .

ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور . فقال عليه الصلاة والسلام :

« اللهم أعطني نوراً ، وزدني نوراً ، واجعل لي في قلبي نوراً ، وفي قبري نوراً ، وفي سمعي

نورا ، وفي بصري نوراً » حتى قال « في شعري وفي بشري ، وفي لحمي ، ودمي ، وعظامي » .

أحدهم يقول لأصحابه إذا قالوا له فلان كاشف الباشاء يسكنذا ، وصح أن هذا أمر حصل لنا من أيام الطفولية ، وسألنا الله تعالى في الحجاب عنه . فإنه من أحوال الناقصين

وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى : « أفمن شرح الله صدره للإسلام ، فهو على نور من ربه » : ما هذا الشرح ؟ فقال :

« هو التوسعة ، إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر و اشرح » .

وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

وقال علي رضي الله عنه : ما عندنا شيء ، أمره النبي ﷺ ، إلينا أن يؤتى الله تعالى ، حينئذ في كتابه ، وليس هذا بالتعلم .

وقيل في تفسير قوله تعالى : (يؤتى الحكمة من يشاء) إنه الفهم في كتاب الله تعالى .

وقال تعالى : (ففهمناها سليمان) خص ما انكشف باسم الفهم .

وكان أبو الدرداء يقول : المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستار قيق ، والله إنه لـ **مستحق** يقذفه الله في قلوبهم ويجره على ألسنتهم .

وقال بعض السلف : ظن المؤمن كهانة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله تعالى » .

وإليه يشير قوله تعالى : « إن في ذلك لآيات للمتوسمين » .

وقوه تعالى : « قد بينا الآيات لقوم يوقنون » .

وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع » .

وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن : ما هو ؟ فقال : هو : سر من أسرار الله تعالى ، يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه ، لم يطالع عليه ملكا ولا بشراً .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين ، وإن عمر منهم » .

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » ولا

هتفت : ينسب للصديقين .

والحدث هو الملمهم ، والملمهم : هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل ،

لا من جهة المحسات الخارجة .

والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف ، وذلك علم من غير تعلم .

المبتدئين في الطريق ، والحل ان لم يعط مقام الكشف قط ل هو باق على ظلمة قلبه لأن ملكوت السموات لا يفتح بابه لمن بقي عليه من الدنيا شهوة واحدة حلال ، فكيف

وقال الله تعالى : « إن في اختلاف الليل والنهار وما خاق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون » خصصها بهم .

وقال تعالى : (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) .

وكان أبو يزيد وغيره يقول : ليس العالم الذي يحفظ من كتاب ، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً ، وإنما العالم يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء ، بلا حفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وعلمناه من لدنا علماً) مع أن كل علم من لدنه ، ولكن بعضه بوسائط تعليم الخلق ، فلا يسمى ذلك علماً لدنياً ، بل اللدني : الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج . فهذه شواهد للنقل .

ولو جمع كل ما ورد من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر .

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب ، فذلك أيضاً خارج عن الحصر ، وظهر ذلك على الصحابة

والتابعين ومن بعدهم .

وقال أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها عند موته :

إنما هما أخواك وأختاك ، وكانت زوجته حاملاً فولدت بنتاً فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت . وقال عمر رضى الله عنه في أثناء خطبته : يا سارية الجبل . إذ انكشف له : أن العدو ، قد أشرف عليه ، فحذره لمعرفة ذلك ، ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلت على عثمان رضى الله عنه - وكنت قد أقيت امرأة في طريقى ، فنظرت إليها شزراً ، وتأمملت محاسنها - فقال عثمان رضى الله عنه ، لما دخلت عليه : يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه !! أما علمت أن زنا العينين للنظر ؟ لتتوبن أو لأعزرنك ، فقلت : أوحى بعد النبي ؟

فقال : لا ، ولكن بصيرة وبرهان وفراصة صادقة .

وعن أبي سعيد الخراساني قال : دخلت المسجد الحرام ، فرأيت فقيراً عليه خرقتان ، فقلت في نفسي : هذا وأشباهه كل على النار ، فدأني وقال : والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، فاستغفرت الله في سرى ، فدأني وقال : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » ثم غاب عني ولم أره .

يصبح الكشف ممن يأكل من أطعمة الظلمة والمكشين ، وطعام من لا يتورع في مكسبه هذا أبعد من البعيد والحمد لله رب العالمين .

وقال زكريا بن داود : دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل ، وكان ذا عيال ، ولم يعرف له سبب يمرض به ، قال : فلما قلت قلت في نفسي : من يأكل هذا الرجل ؟ قال فصاح بي ، يا أبا العباس ، رد هذه المهمة الدنية . فإن الله تعالى أظافاً خفية .
النص الثالث : دليل الكشف :

والدليل القاطع (على الكشف) الذي لا يقدر على جحده أمران :
أحدهما : عجاب الرؤيا الصادقة ، فإنه يتكشف بها الغيب ، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة ، فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس ، وعدم اشتغالها بالمحسّات ، فكأن من مستيقظ غائص ، لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه .

الثاني : إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن ، وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، جاز لغيره إذ النبي : عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور ، وشغل بإصلاح الخلق ، فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتمل بإصلاح الخلق ، وهذا لا يسمى نبياً ، بل يسمى ولياً .
فن آمن بالأنبياء ، وصدق بالرؤيا الصحيحة ، لزمه لامحالة ، أن يقر بأن القلب له بابان : باب إلى الخارج ، وهو الحواس ، وباب إلى الملكوت من داخل للقلب : وهو باب الإلهام والنفث في الروح ، وإوحى .

فاذا أقر بهما جميعاً لم يمكنه أن يمحصر العلوم في للنعم ومباشرة الأسباب المألوفة ، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه .

فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه : من عجب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت .
وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثل المحوج إلى التعبير ، وكذلك تمثل لللائكة والأنبياء والأولياء بصور مختلفة ، فذلك أيضاً من أسرار عجائب القلب ، ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه ، فإنه كافٍ للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف عنها فقد قال بعض المكاشفين :

ظهر لي الملك ، فسألني أن أملئ عليه شيئاً من ذكرى الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال : ما تكتب لك عملاً ، وعمن يحب أن نصمدك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل .

.

فقلت : ألسنا تكتبان الفرائض ؟

قالا : بلى .

قلت : فيكفيكما ذلك .

وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين ، لا يطلعون على أسرار القاب ، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة .

النص الرابع : الفرق بين العلم النظرى والعلم الكشفى :

فهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ، رأى الأشياء فيه ، وتفجر إليه العلم منه ، فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس ، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الحيلالات الحاصلة من المحسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ ، كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض ؛ وكما أن من نظر إلى الماء الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس .

فاذن للقاب بابان :

باب مفتوح إلى عالم الملكوت ، وهو اللوح المحفوظ ، وعالم الملائكة .

وباب مفتوح إلى الحواس الخمس ، المتمسكة بعالم الملك والشهادة .

وعالم الشهادة والملك أيضاً ، يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكاة .

فاما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس ، فلا يخفى عليك .

وأما انفتاح بابه الداخلى إلى عالم الملكوت ، ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقيناً :

بالتأمل في عجائب الرؤيا ، وإطلاع القاب في النوم على ما سيكون في المستقبل ، أو كان في الماضى ، من غير اقتباس من جهة الحواس .

وإنما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى .

قال ﷺ : « سبق المفردون » .

قيل : ومن هم المفردون يا رسول الله ؟

قال : (المتزهدون بذكر الله تعالى ، وضع الذكر عنهم أوزارهم ، فوردوا القيامة خفافاً) .

ثم قال في وصفهم : « أخبراً عن الله تعالى : » ثم أقبل بوجهى عليهم ، أنرى من واجهته

بوجهى يعلم أحد أى شئ أريد أن أعطيه ؟ »

ثم قال تعالى: « نزل ما أعطيهم : أن أقذف النور في قلوبهم ، فيخبرون عنى كما أخبر عنهم » .
ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن .

فانت الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء الحكماء هذا ، وهو أن
علومهم ، تأتي من داخل القلب ؛ من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت ، وعلم الحكمة يأتي
من أبواب الجوارح المفتوحة إلى عالم الملك .
الشمس الخامس : الجود الإلهي :

معلومات الله سبحانه لا نهاية لها ، وأقصى الرتب رتبة النبي ، الذي تنكشف له الحقائق ،
من غير احتساب ولا تكلف ، بل بكشف إلهي في أسرع وقت .
وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمدنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة .
ومرئى هذه الدرجات : هى منازل السائرين إلى الله تعالى ، لا حصر لتلك المنازل ،
وإنما يعرف كل سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه ، فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل ،
فأما ما بين يديه ، فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب كما أنا تؤمن
بالنبوة والنبى ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبى .
وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ، ولا الطفل حال المميز ، وما يفتح له من العلوم
الضرورية ، ولا المميز ، حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية ، فكذلك لا يعرف
العاقل ما امتنع الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته :
« ما يفتح الله للناس من رحمة ، فلا ممسك لها » .

وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على
أحد ، ولكن إنما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى ، كما قال ﷺ :
« إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات ، ألا فتعرضوا لها » .

والتعرض لها بتطهير القلب وتركيبته من الحبث والسكورة الخاصة من الأخلاق
المذمومة ، كما سيأتى بيانه . وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ :

« ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول : هل من داع ، فاستجيب له ؟ »
وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل :
« لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى ، وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا » .
وبقوله تعالى :

(من تقرب إلى شبرا ، تقربت إليه ذراعا) .

كان ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب ، لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا . ولكن حجب حجب وكدورة وشغل من جهة القلوب ، فان القلوب كالأواني ، فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء ، فالقلوب المشغولة بغير الله ، لا تدخلها المعرفة بحلال الله تعالى . وإليه الإشارة بقوله ﷺ :

(لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء) .

ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان : العلم والحكمة . وأشرف أنواع العلم ، هو العلم بالله وصفاته وأفعاله ، فيه كمال الإنسان ، وفيه كمال سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلالة والكمال .

ومن أخلاقهم : عدم إنكسارهم على من عمل شيئا وصار ينزل بلاد الريف
ويأخذ العهد على الفلاحين بالوضوء والصلاة أموة أمثالهم فقط من
غير أن يرقبهم إلى معرفة آداب الطريق كما عليه المطاوعة

لأنه من خيرا على كل حال ، وقد برز شخص من الفقرا على هذا القدم ، فلاث
الناس مرضه ، وما كان يجوز لهم ذلك بل كان الواجب عليهم مدحه على ذلك ، لأنه
قام بفرض كفاية عن الفقرا والفقها .
وكذلك لا يجوز حمله على أنه إنما يفعل ذلك ليصير المريدون يفتقدونه بالمدايا من
البن وكلك ، وغير ذلك ، فإن ذلك سوء ظن بالمسلمين ، وهو حرام بالإجماع فاعلم ذلك
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا دخل عليهم إنسان وأحدهم يمزح مزحا مباحا أن يتموه
ولا يقطعوه لأجل ذلك الداخل إلا بنية صالحة

لأن خرق ناموسهم عند من يستحي منه أولى من ارتكابهم صفة النفاق .

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول :

لوقيل لى إن أمير المؤمنين داخل عليك الساعة ، فسويت بيدي لدخوله خلعت
أن أكتب في جريدة المتأففين .

وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

إذا دخل على أحدكم أمير ، وفى يده سبحة يسبح بها ولا يديها فى يده إلا بنية صالحة
وليحذر من أن يسكون جالسا بضحك ، وهو غافل عن الله تعالى فيه خل عليه أمير ،
فيأخذ السبحة بيد فيسبح بها إلا بنية صالحة هروبا من الوقوع فى الإثم .

وكان يقول : من إخلاص الفقير أن لا يزيد فى الإطراق والخشوع إذا دخل على أحد
من الأكابر ومتى زاد عن ذلك فهو مرأى نعلى المرید خالص الحذر من مثل ذلك والحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا ركبوا الحاجة أن لا يدهوا أحدا من إخوانهم يمشى حوامهم
بحيث ينسب إليهم بالخدمة إلا لضرورة شرعية

وقد وقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حاجة فتبعه أبو هريرة فقال له
اركب أبا هريرة معي فهم فأرعى النبي ﷺ .

فقال له : اركب أبا هريرة فهم فرماه ثانياً .

فقال : اركب ، فقال : ما كنت لأصرعك يا رسول الله ثلاث مرات .

فقال له رسول الله ﷺ : إما أن تنقدم ، وإما أن تتأخر ، انتهى .

كل ذلك شفقة منه ﷺ أن يذل أصحابه بين يديه .

وقد درج السلف الصالح كلهم على كراه حب الظهور في هذه الدار^(١) .

وقد رأيت سيدي محمد بن عنان ، وسيدي علي المرصفي ، وسيدي علي الخواص

رحمهم الله تعالى ، إذا خرج أحدهم حاجة بعيدة تقصد للشئ في اللواضع القليلة من الناس ،

وليس مع أحد لهم إلا من يمسك لحماره فقط .

فعلم أن من ركب ويمكن جماعته يمشون حوله كزفة الصبي في الختان ، فهو ساذج

أو طالب للظهور في الغالب ، فليحذر الفقير من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١) قيل لأبي يزيد : متى يكون الرجل متواضعاً ؟

فقال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالاً ؛ ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه .

وسئل الجنيد عن التواضع ؟

فقال : خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم .

ومن أخلاقهم : عدم محبتهم للباس ثياب مخصوصة دون غيرها
إلا بعد وصرهم إلى مقام يتساوى عندهم فيه
لبس المشاق ولبس المحررات

وما دام الترجيح بوجودها في نفوسهم لغير عرض شرعى فلبس ما تمناه نفوسهم
مذموم شرعاً .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

من أدب الفقير أن لا يتميز عن أبناء جنسه في الملبس والمهية . بطريقة الشرعى
قال : ومن التميز في هذا الزمان لبس الفرجيات الصوف الرفيعة ، وإرخاء العذبة ونشر
الرداء على ظهره دون أن يلفه على عنقه ، فإن ذلك قد صار علامة المنمشيخين اللهم إلا
أن يكون الرداء كبيراً فتقنع به في الحر والبرد أو بنية كنف البعض عن النظر ونحو
ذلك فلا بأس وقد كان إبراهيم التيمي وسفيان الثوري يلبسان لبس الفتيان إذا خافا
من الشهرة بالصلاح والعلم ، يدخلان في غمار الناس فلا يعرفهم أحد إلا قليلاً
وقد رأيت سيدي محمد بن عنان رحمه الله تعالى ، وهو يخرج إلى الجنائز وغيرها
بثياب المهنة التي تكثر عليه داخل الدار ويقول :

من أدب الفقير أن لا يغير حاله في اللبس إذا خرج من داره للناس لا بنية صالحة ،
وأنا لم تحضرني نية صالحة .

فقيل له : فما مثل النية الصالحة ؟ ؟

فقال : أن يدعى إلى صلاة الجمعة أو إلى لقاء الأكبر من مشايخ العرب ، ونحوهم ،
فقد كان عليه السلام إذا علم بدخول الوفود عليه يأمر أصحابه بلبس أحسن ثيابهم ، ويصلح
طيات عمامته .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى في الباب الخامس عشر والحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : نحبهم لمن أراد أن يأخذ عن أحد
من أقرانهم في الأخذ عنه

حتى إن تلميذهم إذا أراد أن يتركهم ويتلمذ لغيرهم يرغبونه فيه حسب الطاقة ولا
يتكذبون منه في الباطن .

وأصل ذلك صحة مشيختهم في نفوسهم أنهم دون جميع أقرانهم .
وتأمل المريء إذا رأى من يتلمذ يريد أن يتلمذ لأستاذه كيف يرغبه كل الترغيب ،
وذلك لأنه يرى نفسه دون شيخه .

وكذلك حكم السكالك مع أقرانه يشهد نفسه بهم كالمريء .

وهذا خلق غريب لا يوجد اليوم إلا في قبايل من الفقراء ، فعلم أن كل من لم يرغب
الناس في غيره وعرض لهم أنهم يأخذون عنه فهو ساذج أو مدع^(١) إلا أن يسكون من
أصحاب القدم الراسخة في الطريق .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يرغب شخصاً قد تلمذ له في شخص
من مشايخ عصره .

ويقول له : يا أخى إن فلانا أعلم منى بالطريق ولو أننى أفدر على نشاط المريء
لتلمذت له ، انتهى .

وقد رأيت مريءا شاور شيخا فى أن يأخذ عن أحد من أقرانه فقال يقول له :
أنت بحمد الله بخير ، وربما تكون أحسن حالا ممن تريد أن تأخذ عنه لأنك تهلى
فرضك ، وتأكل من كسب يدك بخلافه هو ، فإنه يأكل أوساخ الناس ، فطال
بهما المجلس .

(١) فإن أساس الحلق المصوفى هو التواضع وعدم حب الظهور كما جاء فى الحاق السابق .

فقال : مقصودي أن آخذ عنكم .

فقال : هذا واجب وإيش يضر الفقيه أن يكون صوفيا ، وصار يمدح الطريق ، وأهلها هذا شيء مسممة بأذنى .

فاحذر يا أخي أن تقع في مثل ذلك فإنه نفاق وزور ، وامش على طريق سلفك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهتهم لدخول الأمراء والأكابر عليهم في حال
قراءة أو رادهم وأحزابهم ومحافلهم

كما تقدم بسطه في هذا الكتاب مرارا ، وذلك لأن دخول الأكابر عليهم في حال
اجتماع إخوانهم ، وقرائهم يورث عند الأكابر تعظيما لهم ، وقيام ناموس ، فهم يخافون
من نفوسهم أن تميل إلى دوام ذلك التعظيم ، فيهلك أحدهم ، ولا يشعر ، وربما دخل
عليهم أمير كبير وهم في حضرة الله تعالى يناجون به بكلامه فيصير أحدهم في حيرة إن
قطع مناجاة الحق تعالى لأجلهم ، فقد أساء الأدب ، وإن دام على المناجاة ، وربما
استشعر تكدر ذلك الأمير الذي لا يعرف أدب الفقراء مع الله تعالى .

وقد رأيت بعض من يحب الظهور وقيل له : إن الأمير الغلاني عازم على زيارتك ،
فجمع له الفقراء وذكروا رجاء أن يحميهم وهم في ذلك المجلس ، وطولوه فلم يج ، فلما تفرقوا
جاءهم الأمير ، فوجد الشيخ ليس عنده أحد من الناس سوى العبد ، فصارت نفسه
تنازعه في أن يحمي للأمير ما كان عنده من الخلائق لا يمحسون .

قال له : خاطرهم علينا ، فإننا زهقنا من الخلائق ، وكان عندنا بسكرة النهار خلائق
لا يمحسون (٢) فقلت له في أذنه سرا أنت مرأى (٣)
قد ثبت إلى الله تعالى فقلت : الحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة خوفهم من المراقبة على ذكر الله تعالى .

والزهد في الدنيا وكثرة الورع ، وكثرة الأوراد ، وغير ذلك أن يكون ذلك استدراكا إلى وقوعهم في العجب ، فقل من يواظب على خير ، ويحمده الناس عليه إلا ويشق عليه ترك ذلك الخير محبة في دوام الصيت لمحبة في مجالسة الله عز وجل . فليمتحن الفقير نفسه بما لو تغيرت أحواله ونحوات عنه تلك العبادات والخير فإن وجد في نفسه وحشة من الناس فليعلم أن ذلك العمل كان كاه رياء ونفاقا ، فيجب عليه التوبة والندم والاستغفار ؛ وإن رأى نفسه ليس عندها خجل ؛ ولا استيحاش من الناس فليشكر الله عز وجل ولا يأمن بعد ذلك .

وقد صلى بعض السلف أربعين سنة في الصف الأول لم تفته تسكيرة الإحرام ؛ فانفق له أنه تخلف عن الصف الأول يوما فوجد في نفسه استيحاشا وحياء من الناس ؛ فأعاد صلاة أربعين سنة ، وقال : أراني في هذه اللدة كلها كنت مراثيا ولا أشعر . وكان الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول :

ربما يجد بعضهم في نفسه أنسا وتقربا في عبادته فيظن أن بها يغفر لجميع من حضره فضلا عنه ولو أن الله تعالى عامله مما يستحقه على سوء أدبه فيها لأهلكه ومن حوله انتهى . وسمعت سيدي على المرصفي رحمه الله تعالى يقول :

لا ينبغي لمقبر أن يجمع له جماعة ويعقدون مجلس ذكر في زاوية مثلا إلا بعد إذن الأشياخ له في ذلك بشرط ألا تكون داره أولئك الذين بعيدة جدا عن مجلس الشيخ ، وإلا ، فمن الأدب للمريد إن لم يحضر مجلس شيخه أن لا يعقد له مجلسا غير مجلس شيخه انتهى .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين يقول : إن الفقير إذا حضر مجلس شيخه الذي ذكر أن لا يستلذ في نفسه رهبة المجلس ورائحة الخشوع والرهدة وضم الأكتاف واطراق الرأس ولوى بعض الأوقات ، فإن ذاق من السوم القاتلة ، فليحذر الفقير من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم أخذهم أصحابهم معهم إلى وليمة دعاهم إليها من علموا
بالقرائن أنه مكلف في عمل طعامها ولو من حلال

فضلا عن الحرام والشبهات إلا بطريق شرعى ، وكل فقير أخذ جماعته معه إلى مثل
ذلك ، فهو غاش لاخوانه .

وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول : لا يدع أحدا من أصحابه يخرج
معه إلى وليمة لأحد من الأمراء ، ويقول : إني عازم على أكل السم فأرجعوا ، وذهب
مرة إلى وليمة فتسامع الناس ، وكثروا لأجل الشيخ ، فضاق عنهم الطعام ، فأمر الشيخ
صاحب الطعام أن لا يعرف منه لأحد إلا أن حضر ، فغرف الشيخ ، وكفاهم من ذلك
الطعام ، وقال : لو كانوا مائة ألف لكفاهم ، فالفقير من فعل مثل ذلك ، وخفف عن
صاحب الطعام كما مر تقريره مرارا والحمد لله رب العالمين .

ومن اخلافهم التورع في جميع أحوالهم

فلا يأكلون طعام من لا يتورع في مكسب من الأمراء ، والتجار ، والمأثرين ، والفقهاء
كن يأخذ البلاء أو يبيع على الظلم أو لا يسد في وظائفه التي يأخذ معلومها ، ومتى لم يجد
أحدهم شيئاً حلالاً ، فن أدبه أن يطوى ، ويجوع ، حتى يفتح الله تعالى عليه بشيء حلالاً
يأكله بعد حصول أوائل أمارات الاضطرار كما مر تقريره مراراً ، ومتى أكل شيئاً من ذلك
أو لبسه من غير ضرورة شرعية تلجئ إلى ذلك ، فهو مفتر كذاب مدع نصاب ليس له
في مقام الصالحين نصيب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم العمل على معرفتهم برجحانهم في الدين أو نقصانهم كل وقت
فإن من لا يعرف زيادته ونقصه ، فهو جاهل ، والجاهل لا يكون من الصالحين .
ومصورة معرفته بذلك أن ينظر إلى أحوال نفسه فإن رآها متبعة ، لا كتاب والسنة
متخلقة بأخلاق السلف الصالح من الورع ، والزهد ، وقيام الليل ، وكف الجوارح الظاهرة ،
والباطنة عن شهوات الدنيا المكروهة في الشرع فضلا عن المحرمة ، بحيث لا يكون
للاشرع عليه اعتراض بوجه من الوجوه فليعلم أنه راجح ، وهو على خير سنة وهدى .
وإن رأى نفسه راغبة في الدنيا لا ورع هندها ولا جوع ولا مهر ولا قيام ليل ولا خشية
من الله تعالى ، ولا بكاء في الصلاة ، ولا غير ذلك ، فليعلم أنه خاسر ناقص الدين ليس
له في مقام الصالحين نصيب .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

كل من ادعى الزهد في الدنيا ، وزاحم على شيء من وظائفها ومناصبها وأنظارها
وسائر ما يؤول إليها أو احتاج إلى بذل مال في تحصيل ما يطلب من مناصبها ، فهو محب
للدنيا لا يصح له شيء من أعمال الآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم كثرة نفرتهم ممن يدعوهم إلى شيء من شهوات الدنيا المذمومة
وشدة نفرتهم ممن يطلب علم الكيمياء ، أو يدهى فتح المطالب لأنه نصاب قليل الدين
ولذا كان من شأن الفقراء أن يزهدوا في الذهب الخالص ، ويردونه ، ولا يقبلونه ،
فكيف نظن بهم أنهم يتعبون أنفسهم في عمل الكيمياء التي فابتها الزغل أو يتعبون أنفسهم
في حضور الكيميائي وشراء البخورات ويضيعوا أموالهم التي بها قواهم في حلاوة
النصاين الكذابين .

فكل من رأته يلحق يدهى علم الكيمياء أو فتح للمطالب فابعد عنه ولا تجعل بينك
وبينه محبة فإنه يتلف دينك ، ويذهب مالك ولو كان له عمامة صوف ، وسبحة وشعرة
وهذبة فإنه شيطان في صورة إنسان وهذا الأمر قد حدث في بعض للدين للطريق بغير
حق ، فإنهم لما هجروا عن جذب المتبعين للطريق لمحبتهم زين لهم إبليس أن يدهوا
معرفة الكيمياء ليتوجه المرید إليهم بذلك فكثرت أتباعهم بذلك ووقعوا في النصب
والتبليس وحولوا نفوسهم للنفى من بلادهم ولم يروى إذا كان الواجب على المرید في بداية
أمره أن يرمى ما عنده من الدنيا ، فكيف يأخذها الشيخ في حال نهايته بل الشيخ من
مقامه أن يكون أبعد الناس عن الدنيا .

وسمعت سيدي علي المرصفي رحمه الله يقول :

كل شيخ سافر في طلب الدنيا مع وجوده للرغيف ومستر العورة في بلاده فهو دنياوى
لم يشم للطريق رائحة لأن كل ما يشغل على الله تعالى فهو مذموم إلا أن يكشف أبعده
عن رزقه في الروم مثلاً ، وهو متوقف على حضوره فنزل هذا يسافر لرزقه ، ولا حرج عليه
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم تسارى الذهب والتراب بمعنى فى الميل إليه فى حال بدايتهم
ومنى رجح أحدهم الذهب على التراب فى المحبة ، فهو خارج عن طريق المریدین .
فليمتحن من يدهى أنه من المریدین الصادقین نفسه فإن وجدها ترجح الذهب على
التراب ، فهو من أبناء الدنيا :

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول :
كان السيد عيسى عليه الصلاة والسلام لا يسمى العبد صالحا إلا إن تساوى هنده
الذهب والتراب .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

من زعم أنه مؤمن بكلام الله تعالى ، فليمتحن نفسه بما لوفاته ألف دينار مثلاً ،
وفاته قول لا إله إلا الله مرة واحدة ، فإن رأى نفسه تكدرت لفوات الألف دينار
أكثر من فوات قول لا إله إلا الله ، فهو غير كامل الإيمان لقول الله عز وجل :
« والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً »^(١) ، إذ لو كان كامل الإيمان
يقول الله تعالى « إن ذلك خير » لشكدر لفوات تسبيحه أو تحميدة أو تكبيرة أو تهليلية
أكثر ، وعنده ميزان يعرف بها العبد مرتبة نفسه فى الإيمان السكامل والناقص والحمد لله
وب العالمين .

ومن أخلاقهم إذا مروا على تلال الذهب والفضة من غير تراحم عليها
في الدنيا ولا حساب عليها في ظنهم في الآخرة أن لا يبطأوا
أحدهم لأخذ شيء منها إلا بقدر الحاجة في ذلك اليوم
من أكل أو شرب أو وفاء دين ونحو ذلك

وإذا دخلت البغلة محملة ذهباً ليلاً من مطالب أو غيره ، وليس معها أحد أغلقوها
وأخرجوها ، وأغلقوا بابهم ، ثم لا يرون لهم مقاهها بذلك ، ومتى رجح أحدهم إخراج البغلة
المحملة ذهباً على إخراج ريش من داره ، فهو معظم للدنيا غير زاهد فيها فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدنيا لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة »^(١) أي نادوسه ،

(١) قال الله تعالى : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم
قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجمناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل
الآيات لقوم يتفكرون .

وقال تعالى : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الأرض فأصبح هشياً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرأ ، المال والبنون زينة
الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً .

وقال تعالى : اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي
الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضون وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

وقال تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب .
وقل تعالى : يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور .

وقال تعالى : ألهاكم النساكر حتى زرتم المقابر **ك**لا سوف تعلمون ثم كلا سوف
تعلمون **ك**لا لو تعلمون علم اليقين .

وماذا يخص العبد من جناح الناموسة إذا فرق على جميع هل الأرض ، حتى يرى له مقاما يتركه ، فكأن من بزهد في الدنيا فيما لا يكاد يرى بالبصر لقلته .

وهذا الخلق قل من يتخلق به ، ولم أجده فاعلا من أقراني سوى الشيخ علي الحديدي

وقال تعالى : وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لم هي الحيوان لو كانوا يعلمون . والآيات في الباب كثيرة مشهورة وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصر فنبه بطرف منها على ماسواه : (عن) عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجريتها فقدم بمال من البحرين فسمت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فعرضوا له فنبدس رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا : أجل يا رسول الله فقال : أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقير أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما هلكتهم . متفق عليه .

(وعن) أنى سعيد الحدرى رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال : إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . متفق عليه .

(وعنه) أن رسول الله ﷺ قال : الدنيا حلوة خضرة وأن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء . رواه مسلم .

(وعن) أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة : متفق عليه .

(وعنه) عن رسول الله ﷺ قال : يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله فيرجع إثنين ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله . متفق عليه .

(وعنه) قال : قال رسول الله ﷺ : يؤتى بأكرم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط . رواه مسلم .

أحد أصحاب سيدي محمد بن عنان مر هند السحر على بغلة محملة من مطلب وليس معها أحد فتركها ، ولم يمكن رفيقه من أخذ شيء من الذهب الذي عليها ، ثم مر ، وتركها ، فرضى الله تعالى عنه ونفعنا به .

(وعن) المستورد بن شداد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبه في اليم فلينظر به ترجع . رواه مسلم .

(وعن) جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كنفتيه فر بجدى أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ثم قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا أنه أسك فكيف وهو ميت فقال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم . رواه مسلم . قوله كنفتيه أى : عن جانبيه والأسك : الصغير الأذن .

(وعن) أبى ذر رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع النبي ﷺ في حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد فقال : يا أبا ذر . قلت : لبيك يا رسول الله فقال : ما يسرنى أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضى على ثلاثة أيام وعندى منه دينار إلا شيء أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ثم سار فقال : إن الأكرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم ثم قال لى : مكانك لا تبرح حتى آتيك ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى فسمعت صوتاً قد ارتفع فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي فاردت أن آتية فذكرت قوله لا تبرح حتى آتيك فلم أبرح حتى أمانى . فقلت : لقد سمعت صوتاً تخوفت منه فذكرت له فقال : وهل سمعته قلت : نعم قال : ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت : وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق . متفق عليه . وهذا لفظ البخارى .

(وعن) أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم . متفق عليه . وهذا لفظ مسلم . وفى رواية البخارى : إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه .

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول :

كل فقير كتب له السلطان ألف دينار مثلاً ، ولم يفرح إذا جاء إنسان وسعى في منعه منها ولم يصبر يحبه لأجل ذلك ، فهو لم يشم من طريق الفقراء رائحة لأن

(وعنه) : عن النبي ﷺ قال : تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والحميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض رواه البخارى .

(وعنه) رضى الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فيها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فبجعه يده كراهية أن ترى عورته رواه البخارى .

(وعنه) قال : قال رسول الله ﷺ : الديناسجن المؤمن وجنة الكافر . رواه مسلم .

(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . رواه البخارى .

قالوا في شرح هذا الحديث معناه : لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تهتد نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غيروطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق .

(وعن) أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ولى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد في الناس يحبك الناس . حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بامانيد حسنة .

(وعن) النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال . لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل لليوم يتلوى ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه . رواه مسلم الدقل : بفتح الدال المهملة والقفاف : ردىء التمر .

(وعن) عائشة رضى الله عنها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في يتي من شيء يأكله ذوكبد إلا شطر شعير في دف لي فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى . متفق عليه .

قولها شطر شعير أى شيء من شعير كذا . فسرہ الترمذی .

من شأن الفقير الصادق الذي يصح للناس أن يتبركوا به أن ينقبض خاطره إذا دخلت عليه الدنيا ويكره كل من يستطيعها .

كما أن من شأن الفقير الكاذب أن ينشرح خاطره ، ويحب كل من أتاه بها . انتهى .

(وعن) سمرو ابن الحارث أخو جوبريه بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنهما قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً ، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة . رواه البخاري .

(وعن) خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : هاجرنا مع رسول الله نلتبس وجهه الله تعالى فوق أجرتنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أحمره شيئاً منهم مصعب بن عمير رضى الله عنه قتل يوم أحد وترك الثمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاً . وإذا غطينا بها رجله بدا رأسه فامرنا رسول الله أن تغطي رأسه ونجعل على رجله شيئاً من الإذخر ، ومنامن أينعت له ثمرة فهو يهديها . متفق عليه .

(الثمرة) : كساء ملون من صوف وقوله أينعت ، أى نضجت وأدركت ، وقوله يهديها هو بفتح الباء وضم الدال وكسرهما لغتان أى يقطعها ويجتنبها وهذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها .

(وعن) سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرأ منها شربة ماء ، رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(وعن) أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إلا أن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاة وعالمها ومتعلما ، رواه الترمذى . وقال حديث حسن .

(وعن) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتخذوا الضيقة فترغبوا فى الدنيا ، رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصالنا فقال ما هذا ، فقلنا قد وهى فنحن نصلحه فقال : ما أرى

وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول :

من تغير على من سرق له شيئا من الدنيا ، ولو كان أردبا من شعير فهو من أبناء الدنيا .
فليمتحن من يدعى الفقر نفسه بمثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

الأمر إلا أعجل من ذلك ، رواه أبو داود والترمذى بإسناد البخارى ومسلم ، قال الترمذى
حديث حسن صحيح .

(وعن) كعب بن عياض رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
إن لكل أمة فتنه وفتنة أمتى المال ، رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح .

(وعن) أبى عمرو ويقال أبو عبد الله ويقال أبو لبلى عثمان ابن عفان رضى الله عنه
أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه وتوب
يوارى عورته وجانف الحبز والماء ، رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح .

قال الترمذى سمعت أبا داود سليمان بن سالم البلخى يقول : سمعت النضر بن شميل يقول :
الجانف ، الحبز ليس معه إدام ، وقال غيره هو غليظ الحبز ، وقال المروى المراد به هنا
وعاء الحبز كالجوالق والخرج والله أعلم .

(وعن عبد الله بن الشخير بكسر الشين والحاء المشددة المعجمتين رضى الله عنه أنه
قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألها كم التسكار قال : يقول ابن آدم مالى ،
مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت وتصدقت
فأمضيت ، رواه مسلم .

(وعن) عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم :
يا رسول الله والله إني لأحبك فقال : انظر ماذا تقول قال : والله إني لأحبك ثلاث مرات .
فقال : إن كنت تحبني فأعد للفقر تحجفا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى
منتهاه . رواه الترمذى .

وقال حديث حسن . النجفاف بكسر الناء للثناء فوق وإمكان الجيم وبالفاء المسكرة
وهى شئ يلبسه الفرس ليتقى به الأذى وقد يلبسه الإنسان .

(وعن) كعب بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان
جائعان أرسلتا فى غنم بأفسدهما من حرص المرء على المال وللشرف لدينه . رواه الترمذى .
وقال حديث حسن صحيح .

(وعن) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا يا رسول الله : لو اتخذنا لك وطاء فقال ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . رواه الترمذى .

وقال حديث حسن صحيح

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام . رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح .

(وعن) ابن عباس وعمران بن الحصين رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء . متفق عليه : من رواية ابن عباس رواة البخارى أيضا من رواية عمران بن الحصين .

(وعن) أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قمت على باب الجنة فكان مائة من دخلها المساكين وأصحاب الجدد محبسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار . متفق عليه : والجدة : الحظ والغنى وقد سبق بيان هذا الحديث في باب فضل الضعفة .

(وعن) أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد . ألا كل شيء ما خلا الله باطل . متفق عليه .

وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ : تَوَرَّعَهُمْ عَنِ الْأَكْلِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ وَقْفِ الصُّوفِيَّةِ

لأن الصوفي هو من يسكون على قدم الجنيد ، وغيره من المشايخ المذكورين في رسالة القشيري ، وحلية الخافض أبي نعيم ، وأى فقير يدعى وصوله إلى مقام أحد من هؤلاء

وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

الصوفي في لسان السلف الصالح هو العالم العامل بما هلم على وجه الإخلاص لا من لبس الصوف ، وتجلس بجلال الفقراء ، وقبل هدايا العمال ، ومشايخ العرب ، والكشاف وأرسل قاصده إليهم يسأل قمحا أو عسلا أو أرزا وغير ذلك ، فإن هذا مخالف لطريق المشايخ الذين يزعم أنه خليفة لهم أو على طريقهم

قال : وقد جاء فقيه مرة برغيفين من خبز الخانقاه سعيد السعدا إلى سيدي عبد الله المنوفي شيخ الشيخ خليل المالكي صاحب المختصر رضى الله عنهما ، وقال له : يا سيدي كل من هذين الرغيفين ، فإن واقفهما كان أميرا صالحا .

فقال : صحيح يا ولدي ، ولكن ذلك وقف هلى الصوفية وأنا لست بصوفي عند نفسي ، ولم يأكل منهما

فرضى الله تعالى عن أهل الورع ، وقد تقدم ذلك في الكتاب مرارا والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم إذا وقف أحد من لا يتورع على أحد شيئا فيه حق
للغير ولو جزء ضعيفا أن لا يقبل ذلك

وقد سمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

من الواجب على الفقير إذا رأى في الوقف عليه أو على ذريته أو زاويته شيئا
للسلطان ولم يعلم بذلك أهل الديوان أن يرسل يعرفهم بذلك ، ويقول لهم :

بلغنى أن فى وقف زاويتى شيئا لجهة مولانا السلطان ، والمـؤل أنكم تفتشوا
مكاتبى وأصولها ، وتردوا إلى كل ذى حق حقه

ويقول لهم : لا تخافوا من دعاء الفقراء عليكم إذا أخرجتموها للسلطان ، فإن الفقراء
هم السائلون فى ذلك خوفا أن يأكلوا حراما ، وأبضاً فإن الفقراء قد نبت لهم من
ذلك ومن أكل حراما ولو فى نفس الأمر يوقف دعاؤه عن الإجابة مثل ما قل بعض
العارفين وقالوا : إن الحرام كالسم فكما أن السم يمرض صاحبه ، ولو لم يعلم به ،
فكذلك الحرام

فليحذر الفقير من أن يعلم فى وقفه ريبه ، ويسكت على ذلك ، أو يبرطل أصحاب
الديوان على أنهم ييقونونه فى يده ، فإنه يفسق بذلك ، ويخرج عن طريق الشرع والعرف
وقد أرسلت بحمد الله تعالى مكاتب زاويتى أيام باشاه خصرف ، لما بلغنى أن
فيهم رزقة لا أصل لها فى الديوان ، فتعجب الباشاه ، وجاءته ، وقالوا : إن الإنسان
يبرطل الدولة حتى أن يسكتوا عنه ، فكيف يرسل هذا مكاتبه من غير سؤال ، ولا
هلم منا أن فى مكاتبه ريبه ، وأعتقدونى بسبب ذلك أشد الاعتقاد ، ولم يفعل ذلك
أحد من أفرانى ، ولما جاء النفثيش ثانيا فى أيام هلى باشاه أرسلت للمكاتب كذلك
وقلت : أخرج ماتراه لجهة السلطان ، ولو جميع الجهات ، ولا تخف من دعاء الفقراء ،
فإن من يأكل الحرام لا يقبل له دعاء ، فاعتقدونى غاية الاعتقاد ، وأرسل جماعة الديوان
وقال لهم : قولوا له : قد حكك الباشا فى هذه المسألة . فاحكم بين الفقراء ، وبين
السلطان ، فرددت الأمر إليه ، فأخرج عن جميع الجهات من خير غرامة فلوس يأخذها
فالحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم أنهم يمرضون لمرض ولالة أمورهم ثم يخلصون من المرض
إذا شفى ولا تهم من مرضهم

ووقع لى ذلك مرات مع مولانا السلطان سليمان فرضت لمرضه وشفيت لشفائه
وأفطرت فى رمضان لأجل ذلك المرض عشرة أيام ، ثم جاء الخبر أن أيام فطرى
كان السلطان فى أشد المرض ، وكذلك وقع لى مع داود باشا ، ومع على باشا ، وذلك
لشدة ارتباط الفقراء بإمامهم

وكان على هذا القدم سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص رحمهما الله
تعالى .

ولم أجد أحد من أقرانى من تخلق بذلك الا قليلا والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم كثرة الشفقة على خالق الله عز وجل بطريقة الشرعي

حتى إنهم يحرقون كل يوم وليلة جميع الولاة الذين يظلمون الناس ؛ ويمسكون رؤسهم بين أيديهم ؛ ويضعون يدهم عليها ؛ ويتلون عليها الآيات ؛ والاختيار حتى لا يظلموا أحدا من رعيتهم

ويحرقون رعيتهم ليصبروا تحت حكم ولايتهم ، ولا يتنقلوا ، فإنهم مساعون عليهم بحسب أعمالهم

وكذلك يحرقون زروعهم ، حتى لاتأكلها الدودة إن شاء الله تعالى في تلك السنة وجسورهم حتى لاتقطعها العصاة قبل أوانها ، فتشرق البلاد

ويحرقون نهر النيل ؛ حتى تيم زيادته كالعادة

وكذلك يحرقون بيوت الناس وحوانيتهم ، إذا غابوا عنهم في مثل يوم الحمل أو في مولد الشيخ ، ونحو ذلك ، حتى لا يسرق اللصوص من أمتعتهم وهم غافلون

وكذلك يحرقون الغافلين عن الله تعالى كل يوم في سائر : أقطار الأرض ، حتى لا ينزل عليهم بلاء حال غفلتهم عن ربهم عز وجل ؛ وكذلك يحرقون زهر الفاكمة إذا حصل حر أو برد شديد يرمى الزهر ؛ فيضيع رأس مال كل من صاحب البستان ؛ ومن استأجره

وكانت هذه التحويطات من وظائف سيدي إبراهيم المتبولي ؛ وتلميذه سيدي علي الخواص ولم أر بعدهما أحدا يخاف بهذا المقام خيري ، فلا أنام كل ليلة ، ولا أصبح ، حتى أحوط جميع المسلمين ، وأموالهم ، وما يجلب الأموال إليهم كل ذلك عملا بمحدث الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم

فعلم أن كل فقيه قرب من زوجته أيام نزول البلاء بأحد من المسلمين ، أودخل الحمام أو لبس ثوبا ، مبخرأ أو تفرج في البساتين ، أو هرس شجرا ، أو بنى دارا ، ونحو ذلك

فما عنده من مقام الفقراء رائحة ، فإن حكم من يهتم لأمر المسلمين حكم من مات ولده
العزیز الذی لیس له غیره مع وسع ماله ، وكثره دوره ، وبساتينه ، وأقباله هلی الدنيا فهو
لا یجد داعية تدعوه للضحك ، ولا للجماع ، ولا غیر ذلك مما ذكرناه اللهم الا أن یكون
ذلك الفقیر من أهل التمكين کسیدی عبد القادر الجلی . وسیدی أحمد بن الرضا ،
واضرا بهما بمن حزنه فی قلبه ، فیعطی كل ذی حق حقه فلا اعراض علیه ، واسكن
أین ذلك الفقیر الذی هلی قدم هؤلاء فی التمكين والحمد لله رب العالمین

ومن أخلاقهم : أن لا يحبوا شيئاً إلا إن بلغهم أن الله تعالى يحب منهم
أن يحبوا ذلك الشيء

حتى إنهم لا يحبون العفو عن سيئاتهم إلا لعلمهم بأن الله تعالى يحب العفو عن عباده
ولو لا ذلك لما أحبوا العفو عنهم ، بل كانوا يتلذذون بالعقوبة

وهذا الخلق غريب في الفقراء ، ولم أجد أحداً تخلق به من أقراني إلا قليلاً كل
ذلك من غلبة التفرغ إلى الله تعالى والتسليم له ، وعدم التدبير لنفسهم لكون
نفسهم ملكاً لله تعالى ليس لهم فيها ملك ^(١) فالحمد لله رب العالمين

(١) يقول أبو نصر السراج الطوسي في كتاب اللمع باب مقام التوكل : قال الشيخ رحمه
الله : وللتوكل مقام شريف ، وقد أمر الله تعالى بالتوكل وجعله مقروناً بالإيمان لقوله تعالى
« وعلى الله فليتوكل المتوكلون » .

وقال في موضع آخر : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » فخص توكل المتوكلين من
توكل المؤمنين ، ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال : « ومن يتوكل على الله فهو
حسبه » لم يردهم إلى شيء سواه كما قال لسيد المرسلين وإمام المتوكلين : « وتوكل على الحي
الذي لا يموت وكفى به » ، « وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم » الآية .
فهم على ثلاث طبقات :

فأما توكل المؤمنين فشرطه مائلاث قال أبو تراب التخشي رحمه الله حين سئل عن
التوكل فقال :

التوكل : طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمانينة إلى الكفاية ،
فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضياً موافقاً للقدر .

وكما سئل ذو النون رحمه الله عن التوكل فقال : التوكل ترك تدبير النفس ، والانخلاع
من الحول والقوة .

وكما قال أبو بكر الزقاق رحمه الله : التوكل رد العيش إلى يوم واحد ، وإسقاط هم غد .
وسئل رويم رحمه الله عن التوكل فقال : الثقة بالوعد .

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله ، عن التوكل فقال : الإسترسال مع الله تعالى على ما يريد .
وأما توكل أهل الخصوص فكما قال أبو العباس بن عطاء رحمه الله : من توكل

على الله لغير الله لم يتوكل على الله حتى يتوكل على الله بالله لله ، ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر ، أو كما قال أبو يعقوب النهرجوري رحمه الله ، وقد سئل عن التوكل فقال : موت النفس عند ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة .

وقد قال أيضاً أبو بكر الواسطي : أصل التوكل الفاقة والإفتقار وأن لا يفارق التوكل في أمانيه ، ولا يلتفت بسرّه إلى توكله لحظة في عمره .

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله أيضاً عن التوكل ، فقال التوكل وجه كله وليس له قفا ، ولا يصح إلا لأهل المقابر .

فهؤلاء أشاروا إلى حقيقة توكل المتوكلين وهم الخصوص .

وأما توكل خصوص الخصوص فعلى ما قال الشبلي رحمه الله حين سئل عن التوكل فقال : أن تكون لله كما لم تكن ويكون الله تعالى لك كما لم يزل .

وكما قال بعضهم : حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من خلقه على السكّال ، لأن السكّال بالسكّال لا يكون إلا لله ، جل جلاله . وسئل أبو عبد الله بن الجلاء عن التوكل فقال : الإيواء إلى الله وحده ، في جميع الأحوال .

وسئل الحنيد رحمه الله عن التوكل فقال : اعتماد القلب على الله تعالى .

وقد حكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه قال لأحد بن أبي الحواري ، رحمه الله : يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك فإني ما نمت منه راحة ، وليس لي منه مشام الريح .

وقال بعضهم : من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً ويدفنها فيه ، وينس الدنيا وأهلها ، لأن حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كماله والتوكل يقتضي الرضا . باب مقام الرضا وصفة أهله :

قال للشيخ رحمه الله : الرضا مقام شريف ، وقد ذكر الله عز وجل الرضا في كتابه فقال : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وقال : « رضوان من الله أكبر » فذكر أن رضا الله عز وجل ، عن عباده أكرم وأقدم من رضاهم عنه .

والرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل .

وسئل الحنيد رحمه الله عن الرضا ، فقال : سكون القلب بمر القضاء .

وسئل ذو النون عن الرضا فقال : سرور القلب بحر القضا . وقال ابن عطاء رحمه الله :
الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله ، تعالى ، للعبد ، لأن يعلم أنه اختار له الأفضل فيرضى به
ويترك السخط .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله استعمل للرضا جهدك ؛ ولا تدع الرضا يستعملك .
فتكون محجوباً بلذته ورؤية حقيقته : غير أن أهل الرضا في الرضا على ثلاثة أحوال :
فمنهم من عمل في إسقاط الجزع حتى يكون قلبه مستوياً لله عز وجل فيما يجري عليه من
حكم الله من المكاره والشدائد والراحات والمنع والعطاء :
ومنهم من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل ، برؤية رضا الله عنه ، لقوله تعالى :
« رضى الله عنهم ورضوا عنه » فلا يثبت لنفسه قدم في الرضا وإن استوى عند الشدة والرخاء
والمنع والعطاء .

ومنهم من جاوز هذا وذهب عن رؤية الله عنه ورضاه عن الله لما سبق من الله تعالى
لخلقهم من الرضا ، كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : ليس أعمال الخلق بالذي يرضيه
ولا بالذي يسخطه ، ولكنه رضى عن قوم فاستعملهم بعمل أهل الرضا ، وسخط على قوم
فاستعملهم بعمل أهل السخط .

ومن أخلافهم : عدم بداية أحد من إخوانهم بالزيارة إذا هلموا بقراثن
الأحوال أنه يكافئهم ويأتى إليهم

وربما اشتاق أحدكم إلى أحد من المحبين له من أمير أو عالم أو صالح ، فلا يزوره
خوفاً من تكليفه ، وربما أتاها أمير زائر ، فزاروه بعد ذلك ألف مرة ، ولا رأوا أنهم
كافؤه على زيارته لهم تلك المرة الواحدة

وما رأيت أحداً على هذا القدم بعد سيدى على الخواص الا قليلاً

فعلم أن كل فتير تسبب في زيارة أحد من الأكابر له . حتى زاره لغير غرض شرعى
ثم لم يكافئه على ذلك . فهو لم يشم لتواضع الفقير رائحة بل هو نصاب الا أن يكون
له عند شرعى

وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى إذا علم من أمير أنه عازم على زيارته
يذهب هو إليه ويقول :

أنا الفقير الذى عزمت على زيارتى ويقبل رجل الأمير ويسله الدعا وينصرف فقيل
له كيف تقبل رجل الأمير وأنت فقير ؟

فقال : المنهى عنه إنما هو تقبيل الفقير رجل الغنى لينال من ماله شيئاً هو خير محتاج
إليه ، وأنا والله لو عرض على جميع ماله ما قبلت منه درهما واحداً ، وأيضاً فإن تقبيلنا
وجل الأمير إنما هو أدب مع الله عز وجل الذى رفع قدره علينا فى هذه الدار ، وجعل
أعمالنا تحت حكمه ، وربما كان فى الدار الآخرة أكبر منا أيضاً كما قال تعالى للآخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلاً^(١)

فاعلم يا أخى بهذا الخلق تنل بر كته ، ولا تتسبب قط فى زيارة أحد من الأمراء
بل إن كنت محتاجاً إليه ، فإذهب له والا فملاً للأمير والفقير والحمد لله رب العالمين

ومنى أخلاقهم كنزه شكرهم الله تعالى إذا نزل بهم بلاء في
دينهم أو مالههم

وكثرة توبتهم وأستغفارهم إذا نزل عليهم بلاء في دينهم ولا يحتجون بالقضاء والقدر
فيقولون : إن ذلك قدره الله علينا قبل أن نخاق فإن في ذلك راحة إقامة الحجة على
الله تعالى ، ولا يخفى ما فيه من سوء الأدب إذ من شأن العبد إلقاء سلاحه ، وعدم
تدبيره بين يدي مولاه ، وما كل شيء يعلم يقال بل فيه ما يقال ، وفيه مالا يقال ومن
تأمل بعين البصيرة وجد الحق تعالى يتعرف لعبده متعطفاً عليه بكل شيء وودمته إليه ،
فيعرفه مقدار الوصل تارة ومقدار الهجر تارة ويستغفر تارة ، وكذلك من تأمل أفعاله
تعالى وجدها عين الحكمة ، وربما كان هو المبادر إليها أى إلى تلك الحكمة إلا أن
تكون معصية ، فإنه لا يجوز المبادرة إليها والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم أنهم لا يتداوون من مرض إلا إن هجزوا عن تحمله
فإن اشتد عليهم الوجع بحيث يشغلهم ذلك عن كمال الإقبال في الحضور مع الله
تعالى وذلك لأخدم بالعزائم دون الرخص والترفا
ومادام أحدهم يقدر على الحضور مع الله تعالى في عبادته من غير التفات فلا يتداوون^(١)
وسياتى في الكتاب أنه لا ينبغي الدعا للمريض ، حتى يأخذ في نقص المرض سواء كان
كفارة أو عقوبة أو رفع درجه ، وإن ذلك هو الأدب إلا أن يسأل له الشفا من باب
الفضل والمنة مع شهوده أن الله تعالى أرحم بعبده منه ، وأنه تعالى عليم حكيم .
فمثل هذا لا بأس به والحمد لله رب العالمين

(١) بهامش الصحيفة في موضع للتداوى مانعه ، كما أن سيدنا أيوب على نبينا وعليه
الصلاة والسلام لما كان الصبر على البلاء حجابا له يشغله عن كمال الحضور مع الله قال :
رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فافهم .

ومن أخلاقهم : كراحتهم لخطاب الله تعالى إذا كان على بدنهم نجاسة
أو وقع من بعض أعضائهم معصية ، ولم يتوبوا منها أو تابوا ولم يظنوا قبولها ، وذلك
كله أدباً مع الله تعالى ، وكلما استحضر أحدهم أنه بين يدي الله تعالى تعاطى أسباب
الغفلة بتحديثه أحداً بأمور الدنيا أو نحو ذلك ، فلا يزال كذلك ، حتى يزول ذلك القدر
الخطي ، أو المعنوي من شهوده

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول :
من أدب العبد أن لا يخاطب ربه الا على أكل حال طهارة الظاهر والباطن ، وكذلك
غرش الأكابر السجادات في مصلاص تعظيماً لحضرة الله تعالى ووضعوا عليها الطيب ،
ونحوه ، وغالب الناس من ذلك بمزلة ، وربما نسبوا فاعل ذلك إلى التكبر ، ونسوا
حديث « إن الله تعالى في قبلة أحدكم » فإنه أشار إلى أن العبد لنقصه وهجره عن
الإحاطة يجعل الحق تعالى متخيلاً في موضع السجادة دون غيره من الجهات ، وإن كان
الحق تعالى لا يحويه الجهات فافهم

وقد وقع للشيخ أبي العباس السيارى رحمه الله تعالى أنه كان يذكر الله تعالى كل ليلة
على سور بلد من العشاء إلى الصباح ، فترك الذكر ليلة فقالوا له في ذلك
فقال . تذكرت كلمة قبيحة قلتها في صغري فلم أتجرأ أذكر الله تعالى بلسان
تمكلمت به تلك الكلمة انتهى فتذكر ذلك الخلق وأعمل عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : خضوعهم لله تعالى بقلوبهم إذا تناولوا شيئاً من
شهوات النفوس من أكل وشرب وجماع ولبس ثوب نظيف ونحو ذلك
عملاً بحديث « إنما الأعمال بالنيات » فلذلك كانوا لا يفعلون شيئاً من المباحات
إلا بنية صالحة

فينوى أحدهم بأكل تلك الشهوة المباحة التقوى على العبادة مثلاً ، أو مداوات
للنفس ، حتى تطيع صاحبها في بعض الأوقات ، فإنها تقول لصاحبها : كن معي في بعض
أفراضي والاصرعك

وهذا خلق غريب في هذا الزمان فقل من يستحضر أنه بين يدي الله تعالى وقت
أكل الحلوى والفاكهة والجماع أو أن ذلك من جملة نعمة الله تعالى عليه ، وأنه ناظر
إليه حال الأكل ، أو الجماع إنما الغالب على الناس الغفلة عن الله تعالى في مثل ذلك
والحمد لله رب العالمين

(١) وتنام الحديث : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت
هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة
ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) متفق عليه .

ومن أخلاقهم : مراعاتهم اليتيم بالإحسان إليه والإكرام له أكثر مما كانوا
يكرمونه أيام حياة والده

وذلك ليميزوا من كان صار في كفالة الحق جل وعلا .

وكذلك توعد الله تعالى بالنار من يأكل مال اليتيم ، وأنه إنما يأكل في بطنه نارا
زجرا للناس ، وتنفيرا لهم عن أن يأكلوا أموال اليتامى ظلماً لكونهم في كفالة الله
هز وجل ، وليس لهم أب ولا أخ براعونهم لأجله .

فعلم أن من لم يزد اليتيم إكراماً وإحساناً ، فما قام بواجب حق الله تعالى لكونه
ساوياً بينه تعالى ، وبين خلقه في المراعاة ، ولم يزد في إكرام من هو في كفالة
الحق تعالى .

وكذلك من أخلاقهم :

أن يزيدوا في غض البصر من النظر إلى المرأة التي غاب عنها زوجها أكثر من
غضهم عنها إذا كان زوجها حاضراً .

وذلك لأن الله تعالى خليفة للسافر على أهله كما ورد في الحديث من قوله ﷺ :
« اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل »

ونظير ذلك النظر إلى الشريفة أو ابنة ولي من الأولياء ، فينبغي زيادة الغض في
النظر إليها لحاجة زيادة عن الغض عن غيرها أدباً مع سيدنا رسول الله ﷺ ، وأدباً
مع ذلك الولي .

ومن ساوى في الغض بين المذكورات وغيرهن ، فقد أساء الأدب مع الله تعالى ،
ومع رسول الله ﷺ وأوليائه ، فإذا كان هذا في عدم زيادة الغض عن جارية الإنسان
إذا زوجها مع أنها معه كالحارم في النظر ، فكيف بمن ينظر عمداً أو يسارق النظر
إلى زوجة جاره الغائب كالمتمصص نسأل الله العافية والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : نفرتهم من كثرة اعتقاد الناس فيهم إلا لغرض شرعى

لا سيما الأمراء والأكابر ، وإن وقع أن أحداً مدحهم عند ذلك الأمير ، ورفعهم فوق أقرانهم تسكروا لذلك ، ثم توجهوا إلى الله تعالى في أن يحول اعتقاد ذلك الأمير فيهم ، ويرسل لهم هدوا من أعدائهم ينقصهم عنده ، ويسىء اعتقاده فيهم طلباً لراحة نفوسهم فإن كل فقير اعتقد فيه أمير لا بد أن يتبعه الناس في الشفاعة عنده ، وأنه لا بسم الفقير من الله تعالى إلا أن يشفع ، ولا يمكن الأمير أن يجيب الفقير في كل ما يشفع فيه كما تقدم بسطه .

ومن تأمل من الشافعين الآن في نفسه وجد ضرره لذلك الأمير الذى يشفع عنده أكثر من نفعه لأنه يقيم عليه بشفاعته الحجة عند الله تعالى يوم القيامة في كل شفاعة ردها فيهلكه ، وهو يحسب أنه ينفعه .

وقد قالوا من أدب الشفاعة أن يكون المحمل قائلها ، وإلا صبر الشافع حتى يزول الغضب من الأمير مثلاً ثم يشفع ، فيقبل إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا جلسوا للوعظ أن يأخذوا جميع معاني ما يعظون به الناس أولاً في حق نفوسهم لينعظوا ثم بعد ذلك يعظون غيرهم

عملاً بحديث : « الأقرّبون أولى بالمعروف » ولا أقرب للإنسان من نفسه ثم بعد ذلك أهلهم وجيرانهم الأقرب منهم فالأقرب .

لذلك كان الواعظون الصادقون يخجل يحصل لهم غاية الخجل من الله تعالى ثم من الأولياء ، الذين يطلعون على ما في بطونهم من الحاضرين .

فقل مجلس يكون فيه خير إلا ويحضره أحد من أولياء الله تعالى من الإنس ، أو الجن ليحفظوا الواعظ ، وأهل مجلسه من الآفات ، ويسمّون أولياء الرحمة ، وهذا الخلق قل من يتنبه له من مسلكي هذا الزمان ، وربما ينسى أحدهم نفسه حال الوعظ ، ويجعل الكلام لغيره جزماً وما هكذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم .

وقد كان الحسن البصري رضي الله تعالى عنه يعظ الناس ويقول لهم :
لولا حديث بلغني أنه سيأتي على الناس زمان يكون واعظ القوم فيه أذلهم ما وعظتكم .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

حكم من يعظ الناس ، وينسى نفسه حكم من وقف على شفا جرف هار أيام زيادة النيل وجعل ظهره للبحر ، ووجهه للناس ، وصار يقول للناس : إياكم أن ينهار بكم الجرف حتى وقع به هو الجرف ، فليتنبه الواعظ والخطيب عن مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن أحدهم لا يقول لمريده إذا قرب منك الشيطان

فاصرخ عليه باسمي فإنه يهرب

إلا إذا علم أحدهم من الله تعالى أنه لم يجعل لإبليس على جماعته سبيلاً تبعاً لشيخهم ،
وأما إذا كان إبليس يلعب بالشيخ نفسه كالسكرة في يد اللاعب ، فكيف يهرب ممن
ذكر اسمه ووالله ما ظهرت الأشياء المحققون حتى هددوا بالسباب إن لم يظهروا له وحتى
لو انقلب لأحدهم النهر لبناء هناك يضرب الحق تعالى عليهم وعلى جماعتهم سرادقات
الحفظ من سائر الشياطين والآفات .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : آفة مسلكى هذا العصر
أن أحدهم يقول لمريده إذا قرب منك الشيطان فاصرخ عليه باسمي إلا أن (١)
بحكم الإرث للإمام عمر رضى الله تعالى عنه فإن الشيطان كان يهرب من ظله رضى
الله عنه انتهى .

وسمعت سيدى على المرصفى رحمه الله يقول :

ليس السر الذى يطرد إبليس يكون من الشيخ ، وإنما السر فى صحة ارتباط المريد
بالشيخ واعتقاده فيه أن الله تعالى يطرد عنه إبليس ببركة شيخه ، وقد قال الله تعالى :
« أنا عند ظن عبدي بي » انتهى .

وهو كلام نفيس ولكن من كمال الشيخ أن يكون على قدم الاستقامة ليس عنده ميل
إلى معصية ، فإن الشيطان لا سبيل له على من لا يميل إلى المعاصى جملة من المصومين
والمحفوظين ، وأما غير المحفوظ ، فله هليه السبيل ، وإذا كان لإبليس على الشيخ سبيل
قل النفع به ضرورة ، وذهبت خصوصيته التى صار بها شيخاً .

وأما قول الأستاذ أبى القاسم الجنيد :

وكان أمر الله قدراً مقدوراً لما قيل له أيزنى العارف فهو فى غاية التحقيق ، فإنه رضى
الله تعالى عنه ترك باب عدم الحفظ الولي أدباً مع القدرة الإلهية مع أن ذلك نادر وقوعه
جداً من أهل ولاية الاصطفا الذين منهم مشايخ القوم فى كل عصر قائم والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثرة زجرهم لأصحابهم من الأمراء والمباشرين وغيرهم
إذا سمعوا أحدا منهم يجعلهم من الأولياء والصالحين

لأن ذلك من الغرور أو الجهل وإن كان ذلك مطلوباً من المرئيين كما تقدم بسطه
أوائل الكتاب ، ومن أين يعرف أحد من الأمراء أو التجار أو المباشرين الولي
والصالح ، وأحدهم لم يدخل دائرة الولاية قط ، ولا أشرف عليها .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :
من آثر أحد من إخوانه على اعتقاد الولاية فيه جزماً ومال إليه جره ذلك إلى المقت
وسمع مرة فقيها يدعو عقب قراءة الختم بقوله :

اللهم ثواب ذلك فى صحائف شيخنا القطب الفوت سيدى أفضل الدين ، فصاح به
صبيحة كاد أن يشق قلبه .

وقال : لو لا أعرف أنك جاهل ما حصل لك معى خير ، فإن حكم أحدنا إذا نسب
إلى الولاية حكم من يخرج فى باب الخيال فى صفة قاضى أو أمير ، فيضحك الناس عليه ،
ولو لا أن أولياء الله تعالى من أصحاب النوبة يحملون هؤلاء المتمشيين وأصحابهم
كأهل باب الخيال ، لأدبهم ، ومقتوم لأنهم لا يحملون إقامة ميزان الأدب عليهم انتهى
فإياك يا أخى ثم إياك أن يبول الشيطان فى أذنك وتظن أنك صرت من أولياء الله
تعالى ، فإن ذلك جهل وغرور فإن الجمهور كلهم أجمعوا على أنه لا يصح لولى أن يعرف
بولاية نفسه ، ولو علمها كان من الأدب أن لا يدعيها فى نفسه إلا أن يؤمر بذلك ،
كسيدى عبد القادر الجبلى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافهم محبتهم لكل من أحب طائفة القوم وإن لم يلحق بهم
ويحبون جماعة أفرانهم ، ويودون لهم كل خير في الوجود ، ويسألون الله تعالى
لإخوانهم أن يرفع إسمهم ، ومقامهم في الدنيا والآخرة على مقامهم وإسمهم ، وذلك من
أكبر علامات صدقهم في الطريق .

عكس ما عليه الكذابون الذين ظهروا في هذا الزمان
فقل ما ترى أحدا من أصحاب شيخ يجب جماعة الشيخ الآخر بل ينظر أحدهم إلى
أخيه شررا كأنه في دين غير دينه

وقد كان سيدى على المرصفي رحمه الله تعالى يقول :

من علامة انتفاع المريد بشيخه أن تذهب عنه رعونات نفسه ببركة صحبتته ، وبصير
هادى الطيبة كالملائكة ليس له لسان ، ولا يد ، ولا يقع في نقيصة في أحد بل يعتقد
الكمال في الناس كلهم وأما من خرج مقراضا من صحبتة شيخ في الناس من أهل الخرقه
وغيرهم لا يعجبه أحد فذلك من علامة استحكام المقت فيه ولو كان شيخه حاضر النبأ
منه ومثل هذا لا ينتج على يد أحد ولو كان من أكمل الناس انتهى .

وقد ظفرت في عمرى كله بثلاثة أنفس من أهل الصدق ، بمن لا يعتقد في أحد من
أقرانه سوءا وهم سيدنا ومولانا سليمان الخضيرى ، والشيخ شهاب الدين السبكى ،
والشيخ إبراهيم الداكر رضى الله عنهم ، فما سألتهم قط عن أحد من شرار الناس إلا
قالوا : ونعم من فلان ، ثم يذكرون صفاته الحسنة عكس ما يذكروه جميع الناس عن
ذلك الشخص والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يكتنموا عن إخوانهم حوائجهم

حتى يخفون عنهم كون أحدهم يريد أن يشتري قمحا أو حطباً ، ونحو ذلك من سائر ما يحتاجون إليه ، إذا علموا من أصحابهم أن أحدهم يبادر إلى شراء ذلك من مال نفسه ، أو يساعدهم في ثمنه حملاً للكلفة ، والمشقة عن أصحابهم ، وربما تكاف أحدهم واشترى ذلك بدارهم فيها شبهة أو بغير نية صالحة ، فيؤذى الشيخ ، ويؤذى نفسه ، ويضيع ماله بغير طريق شرعي ، وفي الأثر : « أن الله تعالى لا يقبل من العبد إلا ما كان طيباً وابتغى به وجه الله تعالى » انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن لا يفتح أحدهم على نفسه باب قبول
الرفق من الناس ثم يفرق ذلك على الناس ولا يأخذ منه شيئاً

فإن إبليس بالمرصاد لمثل ذلك ، فربما استدرجه إلى محبة نشر صيته بالزهد ،
والورع ، والعفة ، فتميل نفسه إلى ذلك فيهلك ، ومحل ذلك أن يتكدر إذا باغى
هن أحد من أعدائه أنه يحمله على الرياء ، والنفاق ويقول : إنه لبق في العبد ، وما كل
أحد يعرف بصطاد الحرام والشبهات مثله ، فإن تكدره من مثل ذلك يدل على ريائه ،
إذ الصادق هو من لا يبالي يذم الناس فيه .

فليمتحن من يدعى الصدق في ذلك نفسه بهذه الميزان فإن رأى نفسه تتكدر من
مثل ذلك فليستغفر الله تعالى وليتب من ذلك كما يتوب من الرياء بل أعظم .
وقد بسطنا الكلام على ذلك أواخر الباب الخامس عشر من كتاب المنن
الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن لا يتعاطوا سبباً يميل إليهم أبناء الدنيا

إلا لغرض صحيح شرعي

لأن كل ما لا يبتغى به وجه الله تعالى ، فهو مضمحل .

فليحذر الفقير من أن يكثر من مجالسة أبناء الدنيا ، وبقصرهم على الكلام اللغو فإن ذلك ربما جرهم إلى الغيبة في الناس ، وربما يقول لمن بعد له في مثل ذلك إنما أسامحهم في ذلك ليميلوا إلى ، حتى أسارقهم بالنصح والتربية ويستدل بأنه ﷺ كان يجالس أصحابه ، وكانوا إن تكلموا في أمر الدنيا تكلم معهم ، وإن تكلموا في أمر الآخرة تكلم معهم ، وكان لا يحزرم إلا عن حرام لأننا نقول له : هات لنا جماعة مثل رسول الله ﷺ ومثل أصحابه ، وأين الشياطين من الملائكة ، وأبن المعصوم أو المحفوظ بما يلعب به إبليس^(١) .

وقد قال العلماء :

من شرط القياس أن يكون بين المقاس والمقاس عليه صلة جامعة فافهم والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول الإمام القشيري : ومن شأن المريد : التباعد عن أبناء الدنيا ، فإن صحبتهم سم مجرب ! ! لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم ، قال الله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » .

وأن الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقرباً إلى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الحلق وللعارف من القلب تحقيقاً بالله تعالى .

ومن أخلاقهم : إذا توسط أحد لهم في شيء للفقراء من قمح أو عسل
أو رزقه أو جوالى أو غير ذلك أن يشركوه معهم في ذلك
بشرط الحل فيه فإن ذلك من الإنصاف

وهذا الخلق قد يخل به كثير من الطامعين المنتشبهين بالفقراء ، فينصب لهم شخص
هند الأمراء وغيرهم ، ويوصل إليهم ذلك بتمامه ، وكأله ، ثم يحرمونه منه ، ولا يعطونه
شيئاً لأولاده ، فيملاً الدنيا عليهم ، ويمزق أعراضهم .

وقد رأيت بعض الفقراء الملاح إذا أتاه شخص بشيء من نحو ذلك يقول له :
يا أخى هذا من كسبك وتعبك ، وأنا لم أتعب فيه ، فخذ ، ثم بعد ذلك إن سمحت
نفسه وأعطاه شيئاً منه قبله ، وإلا أعرض عنه .
فكن يا أخى من أهل الإنصاف والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم في حال كمالهم طالب جوائزهم من الله تعالى
في الدارين من باب الفضل والمنة

لا في مقابلة (١) خلقكم وما تملكون ، فالفضل للخالق الذي
هدى إليه الخلق محلاً لتعريفه فيهم بما أخبر عن نفسه بأنه يحبهم من التوبة والطهارة
مثلاً في نحو قوله تعالى : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (٢)
ومحك الصدق في التخلق بهذا الخلق أن لا يحس بتقريبه بالطاعات زيادة على حاله
عند فقدها بل يتساوى عنده الحالان ، وحتى وجد أساوة تقريباً في الطاعات أو فقد
ذلك بفقدها فهو لم يشم من مقام السكال ذرة .
ومن كلام ابن عطاء الله :

من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل انتهى .

فإذا بلغ العبد مقام السكال رجع الطاعات على المعاصي بترجيح الحق جل وعلا
لا بنفسه ، وإن كان السكال خلقه تعالى فافهم .

وقد قدمنا أن من أخلاق النصارى أن يفتحوا العمل الصالح كله على اسم سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث أن الثواب له بالإصالة ، فلا يرون العمل ، وثوابه
لهم أصالة ، ثم يهدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتم فيه كثير من الناس لأن
ذلك يطرق صاحبه لأنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ما في ذلك من سوء
الأدب ، فلي كل حال ليس للعبد أن يشهد له استحقاقاً لذلك الثواب بالعمل الواقع على
يديه ، لأنه لا يجوز أن يشهد كونه خلقاً لله تعالى ، ولا ثواب له ، وبالإصالة اسيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ثواب له أو كونه عبد الله فالعبد لا يستحق على سيده

(١) مطموس من الأصل .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٢

شيتاً وما بقي إلا أن يطلب ذلك الثواب من باب المنة والفضل لميزانه السابق آنفاً أظهاراً
للمتقراء والفقاه .

ومن قال لا حاجة لي بثواب فهو كاذب مع اظهاره الغنى بذلك عن فضل الله تعالى ،
ولا يخفى ما في ذلك من سوء الأدب وقد قال تعالى : يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله
والله هو الغني الحميد^(١) فافهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم محبة كل من زاد عليهم في الطاعات من إخوانهم أكثر من
محبتهم لنفوسهم تبعاً لله عز وجل

فإنه يفضل من بينهم من كان أكثرهم طاعة له ، فكل من أحب نفسه أكثر مع
كونها أقل طاعة فقد خالف طريق القوم .

وهذا الخلق لا يصح التخلق به إلا لمن زال عنه حب الرياسة ، والا فن لازمه غالباً
النكدر ، ممن يزيد عليه في الطاعات فضلاً عن محبته له لكونه يطفى نوراً بين الناس ،
ولا يصير له كبير طاعة يتميز بها .

فلم مما قورناه أن من علم من نفسه يقينا أن طاعاته لله تعالى أكثر من أخيه ، فلا
حرج عليه في محبته نفسه من حيث كونها أكثر عبادة لربها من التجريد في المعاني
والبيان فشاباش^(١) للفقراء الصادقين الذين يريدون وجه الله تعالى ويدورون مع كل
شيء يحبه الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

(١) نوع من النجبة للفقراء الصادقين .

ومن أخلافهم الفرع بالفتح على مریدهم إذا فارقهم بغير فتح
عقب غضبهم عليه مثلاً

ثم فتح عليه هل يد أحد من أقرانهم ، يفرحون بالفتح لذلك للريد على يد غيرهم
أكثر من فرحهم به إذا وقع الفتح على يدهم ، لأنه إذا وقع على يدهم لا بد في الغالب
من شهود الفقير نسبة الفتح إليه ، ولو لحظة وإن ذلك إنما لحسن تربيته ، ومعرفة بطريق
السلوك ، وفي ذلك راحة من الشرك الخفى بالله عز وجل .

بخلاف ما إذا وقع الفتح على يد غيرهم لا يكاد أحد منهم ينسب إلى نفسه شيئاً
من ذلك .

فليمتحن من يريد معرفة كونه صادقاً نفسه بذلك ، فإن وآها تشرح بحصول
الفتح على يديها فليحكم هل نفسه بالرياء فإنه الصادق ليس مقصوده إلا حصول الهداية
للخلق بأي وجه كان .

وهذا الخلق عزيز وجوده في هذا الزمان اللهم إلا أن يشرح بحصوله بفضل الله
تعالى ، ورحمته عليه حيث جعله أهلاً يفتح على يديه لأحد ، فهذا لا حرج عليه ولا يقدح
في إخلاصه إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن ينشرح صدر أحدهم إذا بلغه أن الناس يقولون عنه أنه

لم يرث من مقام شيخه إلا الدعاوى فقط وإن فلانا هو الذى

ورث حال الشيخ ومصره

ومنى انقبض خاطر أحدهم ممن يفضل على أقرانه الذين أخذوا عن شيخه عليه ،
فهو دليل على الرياء والنفاق .

فإن الصادق من شأنه أن يحب نسبه إلى الرياء ونسبة أقرانه إلى الإخلاص لأنه
لا يراهم ، ولا يراقب إلا الله تعالى دون الخلق ، فكلمنا نسبوه إلى الرياء انشرح ،
وكلمنا نسبوه إلى الإخلاص انقبض كل ذلك خوفاً على نفسه أن تميل إلى مراعاة الناس
مع الله تعالى ، فيشرك به .

فليمتحن الصادق نفسه بما إذا سمع الناس يقولون عنه ، وعن جماعته أنهم شياطين
أبالسة نصابون ، وأنه ما ورث شيخهم فى المقام إلا فلانا وجماعته .
فإن انشرح لذلك فهو صادق ، وإن انقبض ، فهو مدع كذاب .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

من علامة اخلاص الفقير إذا مات شيخه وبرز شخص من أقرانه بعده أن يتلمذ هو
له ، وجماعته ويقول :

الحمد لله الذى كفانا هذا الأمر وحال بيننا وبين آفات التصدرو والمشيمة بوجود أخينا
فلان ^(١) انتهى والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول الإمام القشيري :

ومن آفات المرید : ما يتداخل النفس من خفى الحسد للإخوان ، والتأثر بما يفرد
الله عز وجل به أشكاله من هذه للطريقة ، وحرمانه إياه ذلك وليعلم أن الأمور قسم ، وإنما
يتخلص العبد عن هذا بإكفائه بوجود الحق وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه .

• • • • •

فكل ما رأيت أيها المريد قدم الحق سبحانه ، رتبته فاحمل أنت غاشيته ؛ فان الظرفاء
من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم :
واعلم أن من حق المريد إذا اتفق وقوعه في جميع إتيار الكل بالكل ، فيقدم الجائع
والشبعان على نفسه ويتلمذ لكل من أظهر عليه للتشيخ ، وإن كان هو أعلم منه ، ولا يصل
إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوته ، وتوصله إلى ذلك بطول الحق ومثته .

ومن أخلاقهم : عدم مبادرتهم للخروج مع الناس في الاستسقاء

فلا يخرج أحدهم حتى يفتش نفسه ، ويتوب ، ويندم على كل ذنب فعله طول عمره ، ثم يخرج ، وهو خجل من الله تعالى مستشعر أن سبب القحط والفلاء الواقع بالناس ، إنما هو ذنوبه فقط كما درج عليه السلف الصالح ، كمالك بن دينار ، والفضيل بن عياض ، وسفيان الثوري ، واضرابهم .

وقد تقدم أنهم طلبوا مالك بن دينار مرة ليخرج معهم للاستسقاء ، فأبى . وقال : أخاف أن تظروا السماء نارا أو حجارة على الناس بسبب خروجي معهم ، وأخرجوه مرة كرها ، فصاروا يستسقون ، فلا يسقون . فقال : أنتم تستبطون المطر ، وأنا استبطل الحجر .

وكان سيفان النوري إذا أمطرت عليه سحابه ، وهو على الحديث يسكت . ويقول : اصبروا حتى تمر هذه السحابة فأني أخاف أن يكون فيها حجارة يرينا بها . فأياك يا أخي أن تخرج إلى الاستسقاء فيمطر الناس ، فتظن أن ذلك بركة دعائك ، فإن ذلك غرور ، فإن الدعاء لا يقبل إلا ممن كان الله تعالى عنه راض كما قال تعالى « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ^(١) » .

وكل من عصى ربه تعالى استحق رد دعائه إلى أن يتوب ويقبل الله توبته ، ومن أين يعلم أن الله تعالى قبل توبته ؟ . وقد تقدم بسط ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إجابتهم إلى الولية التي فيها أحد من أقرانهم وفرحهم
أكثر من انعدام دعوتهم بالحضور

لأن الصادقين يعدون الاجتماع بإخوانهم يوم هيد، ثم إذا دخل أحدهم، ورأى أحدا
من أقرانه قد سبقه لا يجلس، حتى يقبل رجله أو ركبته، ويظهر الذل والسكينة بين
يديه، حتى يفهم الحاضرين أنه لا يصلح تلميذاً له، ثم يجلس بين يديه لا يجنبه، حتى
يعزم هو عليه بذلك، ويجعل الحضرة كلها له.

وهذا الخلق لا يفعله إلا من تصفى من الرعونات كلها.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى إذا دعى إلى وليمة، وقد حضر فيها أحد
من مشايخ العصر لا يدخل، حتى يستأذن ذلك الشيخ، وتارة يؤثره على نفسه بالمشيخة
في تلك الوليمة، ثم يستأذن صاحب الوليمة، ويرجع منشراحاً سائلاً ربه عز وجل أن يستر
ذلك الشيخ في ذلك المحفل، وربما يظن بعض الناس أن بين الشيخين وقفة، حين رأوه
رجع، وليس كذلك.

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: كل فقير لا يصلح أن يخرج
مع الناس في الاستسقاء تنكسر نفسه أن يتلمذ لأحد من أقرانه، فهو متكبر لا يصلح
أن يخرج مع الناس في الاستسقاء، ولا أن يعتقد فيه الصلاح، لأنهم ربما منعوا المطر
بسببه، فابتدأ هذا الشيخ، ثم يخرج، وليحذر من ظنه أن الناس يسقون بدعائه
فإن ذلك الفقير إذا مر بمكان مر قريباً.

وسمعت مرة يقول: من علامة المدعى بغير حق للطريق أن يرى نفسه هو الشيخ
الحقيقي في البلد مثلاً، وغيره هو المدعى لها بغير حق انتهى.

وقد رأيت شيخاً دعى إلى وليمة.

فقال لهم: من هناك من المشايخ.

فقالوا له: فلان.

فرجع وقال : مثلى لا تطمع له طالعة .

فقلت له : فلأى شىء تطلب أن تطمع لك طالعة لم لا جعلت نفسك من أتباعه . ؟

فقال : للمؤمن لا ينبغي له أن يندل نفسه .

فقلت له : ليس فى مثل ذلك ذل إنما هو تواضع ، فلم يصنع إلى قولى ، ورجع ، فمثل

هذا خارج عن الطريق من كل طريق ، فالحمد لله يغفر لنا وله والحمد لله رب العالمين ..

ومن أخلاقهم عدم إظهارهم الوقفة بينهم للناس.

سترا للخرقه فإن إظهار ذلك في غاية القبح لا سيما إذا دخل شيخ إلى وليمة ، فخرج الشيخ الذي كان دخل قبل ، فإن الناس يلوثون بهما ، ويقعون في غيبتهما ، ويحصل لصاحب الوليمة غاية التشويش ، فعلى كل من الشيخين اللوم في عدم رياضة نفسه إذ لو راض أحدهما نفسه لوسع الآخر ، فكان الذي سبق لا يخرج ، والذي دخل لم يدخل حتى صالح الآخر ، ثم دخل فدخوله عليه بلا تقدم مصالحة قلة سياسة .

وقد كان بين حسن بن صرحان والشريف بن هاشم وقفة فأنشد حسن :

أنا ونسيبي الشريف بن هاشم محبين جهورا مبغضين السرايرة

فانظر يا أخى إلى أخلاق العرب كيف يظهر كل واحد منهما المحبة لأخيه بين الناس ، حتى لا يشمت به عدوه ، مع أنهم معدودون من جملة الجهلة ، فأهل العلم والصلاح بهذا الخلق أولى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يحذروا أصحابهم على تنبيههم لهم كلما وقعوا في شيء من الأحوال الناقصة ليتوبوا منه كما هلبه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء

فعلم أن كل من قال لأصحابه احموني على المحامل الحسنة فقد أغلق على نفسه باب النصيح من إخوانه ، وذلك خلاف ما كان عليه السلف الصالح .

وقد كان الإمام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يذهب إلى دار حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه ، ويقول له :

يا حذيفة أنظر هل فى شيء من النفاق ، فإنك كنت تعرف المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فيعول له حذيفة : والله يا أمير المؤمنين لا أعلم فىك شيئاً من النفاق .

فيعول الحمد لله ، ثم يرجع .

وقال يوماً لأصحابه : ماذا تفعلون بى إذا عوججت عن الطريق ؟

فقالوا : كنا نضرب هامتك بالسيف إن لم تستقم^(١) .

(١) قال تعالى : (إنما المؤمنون إخوة)

وقال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام (وأنصح لكم) وعن هود عليه السلام (وأنا لكم ناصح أمين) وفى الحديث : عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟

قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (رواه مسلم وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : (بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) متفق عليه .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) متفق عليه .

فقال : هكذا كونوا مع أصحابكم .

وتقدم عن سفیان الثوري أنه كان يقول لأصحابه : لا تقتدوا بي في جميع أحوالي فإني رجل مخلط في ديني .

وأما ما نقل عن بعض أهل الطريق ، من أنهم حثوا أصحابهم على الاعتقاد فيهم ، وعلى حملهم على المحامل الحسنة ، فذلك ليخلصوا أصحابهم من سوء الظن بهم ، فلا يحصل لهم بعد ذلك نفع علي يدهم ، أو ذلك في حق من كان محفوظاً من الرذائل ، كالشيخ هبة القادر الجيلي وسيدى أحمد بن الرفاعي وأضرابهما ، فن وصل إلى مقام هذين الشيخين ، فله أن يقول مثل ذلك لأصحابه .

وقد أخبرني من أثق به أنه شهد شخصا من المدهين أنه يقبل المرأة الأجنبية ، ويقول لأصحابه : إياكم أن تنكروا علي ، فإن لي حالا مع الله تعالى خلاف ما ترون انتهى .

ومثل هذا من جملة حزب إبليس الداهين إلى الضلال ، ويجب على كل من بلغه خبره أن ينفر الناس منه بقدر طاقته والحمد لله رب العالمين .

وعن أنى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : (ياينا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى آثرة علينا وعلى أن لا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان وعلى أن تقول بالحق أبنا كما لا نخاف في الله لومة لائم) متفق عليه .

ومن أخلاقهم عدم اغترار أحدهم بكثرة أتباعه
بل يحزنون إذا كثرت أتباعهم ، لإيمانهم بأنهم يستألفون عن حقوفهم يوم القيامة هل
وفوا بها أم لا ؟ .

فمن شأنهم أن ينظروا للذي عليهم أولاد دون الذي لهم أولاد إلا على وجه الشكر لله
تعالى في تكبيره لأحدهم بين العباد من حيث جعله رأساً وله أتباع .

وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول :
من علامة المفترين أن يفرح أحدهم بجماعته إذا كثروا ، وينقبض خاطره إذا
قلوا الاغرض شرعى .

وسمعت يقول أيضاً : لو أن الشيخ بالغ في نصيح الفقراء الذين حوله لنفروا بأجمعهم عنه
ولكنه غشهم ، فكثروا حوله ، وقد وقع لبعض أخواننا أنه نزل الريف يطوف
البلاد على اسم أنه يرشد الناس للطريق ، فصار الناس يطبخون له الطعام الواسع ،
ويتكافون له في بلاد الغربية ، فدعاه جماعة من بلاد الشرقية أيام الشعير ، فصاروا
يحمصون للشعير ، والفريك في الفرن ، ويطبخون له الفول الأخضر بالرب ،

فتفرق عنه أصحابه ، وكانوا نحو ثلاثمائة فبقى معه واحد اسمه أويس ، فغافله وهرب
الآخر هكذا حكى له ، فعلم أن جميع من كان حوله في بلاد الغربية إنما كان حوله
لأجل بطونهم لا غير ، وإن دعواهم أنهم من المحبين للشيخ كذب محض .

وقد أجمع الأشياخ على أنه ماتم حالة للعبد اعلا من اشتغاله بالله وحده ، وإن اشتغال
العبد بإرشاد الخلق ، وإن كان فيه خير ، ففيه رائحة اشتغال بالسكون عن الله تعالى
فثم مقام كامل ومقام اكمل ، ومن فهم معنى سورة : « إذا جاء نصر الله والفتح » علم
ما قلناه يقيناً والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم كثرة البكاء والنوح على عدم البكاء عند تلاوة القرآن الكريم
لا سيما في الأسحار ، فإن ترك البكاء من قساوة القلب ، وذلك من أكبر
علامات الشقاء .

وقد قل المتخلق بهذا الخلق ، حتى لاصرت لا ترى با كيا من الفقراء الا قليلا .
وقد بكى جماعة من الفقراء في مجمع ، وهناك فقير لم يبكي .
فقالوا له : لم لا تبكي مثل اخوانك .

فقال : هؤلاء أقوام ضعفاء الحال ، ونحن بحمد الله قويننا على تحمل مثل ذلك ، فيبني
النسليم لمثل هذا ، وهو أولى من تكذيبه بين الناس .

وقد كان في وجه الإمام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خطان أسودان ، وكذلك
عثمان وعبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهم .

وكان الرسول ﷺ إذا صلى في الليل يسمع لصدرة أزيز كأزيز القدر المغلى فيه الماء ،
أو الرحي من شدة كتمه البكاء ^(١) .

وبكى السيد داود عليه الصلاة والسلام من خشية الله تعالى ، حتى نبت العشب
من دموعه .

(١) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ (اقرأ على القرآن) .

فقلت : يا رسول الله ، اقرأ عليك وعليك أنزل .

قال : إني أحب أن أسمعه من غيري .

فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة
بشاهد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) .

قال : حسبك الآن .

فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان (متفق عليه) .

وكان الإمام عمر بن عبد العزيز إذا بكى ينثر دموعه حوله حتى يظن الداخل أن ذلك من ماء الوضوء ، وبكى مرة فوق سطح ، فجرى للماء من دموعه ، حتى نزل من الميزاب على وجه ضيف كان نائماً تحت الغرفة .

وقد بسطنا القول في البكائين خوفاً من الله تعالى في كتاب هدى السلف الصالح فراجعوا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إخراجهم للضيف ما يجدونه ولو كسرة يابسة من جريش الشعير
ولا يستحيون من إخراجها ، ولو لا كبار الأمراء .

وإذا كان الضيف ممن يعتقد الصالحين ، فإنه يجد في تلك الكسرة لذة عظيمة
لا يعادلها لذة .

وقد أخبرني الشيخ سليمان الخضيرى : أن جماعة من كبار الدولة دخلوا على شيخه
سيدى أحمد للرحومى زائرين ، فأخرج لهم كسرا يابسة وقتها لهم في طعام بايت ، فأبت
نفوسهم أن يأكلوا من ذلك ، فلاحقهم القولنج في الطريق فنزلوا من على دوابهم ،
واضطجعوا من شدة الوجع ، فأرسلوا قاصدا للشيخ ، فأرسل لهم الطعام البايث ، وقال :
كلوا منه تشفوا ، فأكلوا منه فشفوا لوقتهم ، فتأبوا ، واستغفروا ، ومن ذلك اليوم ما قدم
لهم فقير شيئا حلالا إلا وأكلوا منه فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة حنهم للفقراء المقيمين في زاويتهم على
كثرة الذكر لله تعالى وتلاوة القرآن العظيم وقراءة
الحديث والفقه من حيث كونهم رعيته

ولا يمكنهم من القراءة على غيرهم إلا اضرورة ، ويرسلهم ان يكون من أهل
العمل بما يعلم دون المجادلين بغير عمل فإن القراءة على مثل هؤلاء يزيدهم جدالا ، وعدم
احتمال بالعمل بما يعلمون إذ الولد سر أبيه .

وكان الشيخ أبو العباس الغري يرسل جماعته للشيخ أحمد بن الأنطاع البرلسي رضي الله
عنهما يقرءون عليه ، لكونه كان رجلا صالحا يأكل من عمل يده من الحياكة ، وكانوا
يقرؤون عليه في فقه الأربع مذاهب ، وهو في النزول يبيع القطن ، ولا صرف ، وتارة
يرسل وواء إلى المحلة الكبرى ، فيقيم عنده الأشهر ، والناس يقرءون عليه ، وإعسا
كان سيدي أبو العباس لا يقرئ جماعته لاشتغاله بمهمات الناس من المكروبين .

وأیضا فإن الشيخ إذا اشتهر سار أميرا لأرباب الأحوال والمواجيب ، والشفاعات ،
فلا يصير له وقت فراغ لإقراء علم ، وإلا فقد قدعنا أول الكتاب أن من شرط الشيخ
أن يكون عالما بالكتاب والسنة بحيث يكفي أصحابه في العلوم الشرعية ، وإن من
لم يكن عالما بهما فليس بشيخ ، وما لنا معه كلام والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم حنهم لأصحابهم على كثرة تلاوة القرآن الكريم احتساباً بالله عز وجل
ولا يأخذون عليه عريضة من الدنيا إلا الحاجة شرعية خوفاً من نقص أجورهم ، فإن
من قواعد طريقهم أن يقصدوا بكل عبادة التقرب إلى الله تعالى دون الأغراض
الدنيوية ومن يقرأ القرآن الكريم بالفلس ربما نقص أجره .

وقد كثرت قراءة القرآن الكريم بعوض في هذا الزمان ، حتى من شيخ الحضور في
في الزاوية ، وذلك ينافي شهامة أهل الطريق ، وهو خلاف ما درج عليه مشايخ الطريق ،
والذين أدركناهم في النصف الأول من القرن العاشر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي
المعظم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم اعتمادهم على معلوم من رزقة أو جوالى أو هدية
من حلال أو نحو ذلك بل هم معتمدون على الله
تعالى دون الأسباب

وقالوا : إذا أقبل العبد على عبادة ربه خالصاً سخرت له الدنيا وأهلها وأخذ منها
كفايته وإن شاء ردها وطوى الأيام المتوالية خوف الفتنة فإن الفقراء إنما يتركون الدنيا
في بدايتهم إختياراً لا اضطراراً وذلك لأن من تركها اضطراراً لا يسمى زاهداً فيها
والزهد فيها أعظم أركان الطريق إذ لا يصح لعبد السكال في شيء من عمل الآخرة إلا
بعد الزهد فيها وفي جاهها ، ورياستها .

فاعلم ذلك يا أخى واسلك طريق المتوكلين الذين لا تهمة عندهم لربهم في رزقهم والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم كثرة حياتهم وخبلمهم من سيدنا ومولانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا كان لهم ورد في الصلاة عليه
في وقت مخصوص وحصل لهم تعويق
عن فعله في ذلك الوقت

من حيث أنه صلى الله عليه وسلم ربما يصير منتظراً لذلك العمل بتقدير التفاته إليه
وكثيراً ما يقع لي مثل ذلك ، فأصلي عليه أضعاف ما كنت أصلي عليه في ذلك
الوقت ، ولا أرى أنى وفيت بحقه صلى الله عليه وسلم من حيث استشعاري انتظاره
صلى الله عليه وسلم لصلاتي عليه .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يكره توقيت الأذكار التي لم يعين الشارع
لها وقتاً ، ويقول :

من الأدب : أن العبد يذكر الله تعالى كلما وجد عنده داعية ، وإلا فربما صار يذكر
بحكم العادة من غير حضور فلا يحصل له به مقصود الذكر فاعلم ذلك يا أخي واعمل به
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حسن سياستهم لزوجاتهم وعدم الغفلة عن تعليمهن
أحكام دينهن من طهارة وصلاة وصوم

وقد قالوا يعرف قدر نفع الفتيور لإخوانه من رؤية نفعه لزوجته ، وجيرانه الأقربين
به بشرط نصيحهم^(١) قال الله تعالى : « وذكروا أن الله كرى تنفع المؤمنين^(٢) » . فمن
لم تنفعه الذكرى ، فإيمانه ضعيف ، وليس على المذكر إثم بعد أن ذكر من
كان غافلا .

فذكر يا أخى زوجتك واذكر لها عقوبة ترك الصلاة إن لم تقبل ، وعقوبة جوارحها
إن لم تسكنها عن محارم الله تعالى .

وهذا الباب قد أخفله غالب الفقراء ، وطلبة العلم فتجد أحدهم يمانق زوجته ليلا
ونهارا ، وهى جنب لا تغتسل ولا يحنى ما فى ذلك من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر والمنع من دخول الملائكة بيته ، واستحقاق العقوبات فى الآخرة والحمد لله
رب العالمين .

(١) عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ : قال : (كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده
فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .
(٢) سورة الذاريات آية ٥٥

ومن أخلاقهم كثرة شكرهم لله تعالى إذا جعلهم خداماً
للفقراء القاطنين عندهم

ولا يخطر ببالهم قط منة عليهم بل يرون المنة للفقراء عليهم الذين أهلواهم لخدمتهم
من طبخ ، وغرلة قمح وطحين وخبز وهجن وغير ذلك .
وقد من الله تعالى على بهذا الخلق من نحو سبعة وثلاثين سنة إلى وقتي هذا ،
فلا أرى لي بحمد الله تعالى فضلاً على أحد منهم بل أرى استعماله تعالى لي في ذلك غاية
الفضل لأنه عنوان على محبة الله عز وجل كما أشار إليه خبر (الخلق عيال الله وأحبهم
إليه أنفعهم لعيله) فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تخصيص أحدهم نفسه بغير طريق شرعى بشيء من الهدايا التى تأتى إلى الزاوية لاسراً ولا جهرًا

وبذلك تدوم محبة الفقراء للإقامة عندهم ، فإنهم إذا رأوهم يتخصصون عنهم نفرت نفوسهم منهم ، ومن الإقامة عندهم ، وقل اعتقادهم فيهم ضرورة .
وقد تناظر كلب السوق ، وكلب الصيد .

فقال له كلب السوق : أنت كلب وأنا كلب فلائى شيء يطردونى إذا رأونى ،
وأنت يجلسونك فى مجالسهم ، وعلى فرشهم ، فما الفرق بينى وبينك .
قال : الفرق ظاهر فإنى أصطاد لهم ، وأنت تصطاد لنفسك انتهى .
فالماعل من اعتبر والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : مساعدة الخادم والنقيب في تنقية الطحين وعجنه
وتقريبه وورسه وخبزه إذا رأوه محتاجين إلى مثل ذلك

وكان على هذا القدم سيدي إبراهيم المتبولى وسيدي هتمان الخطاب وسيدي أبو
الحسن الغمري . وقد رأيتهم وأنا مجاور عنده يقرص العجين ويوقد تحت الفرن ويفسل
الأواني ويكنس البيت ويقطع اللحم بالسكين ويقول :

هكذا رأيت والدي رحمه الله يفعل وكذلك (^(١)) وسيدي
أحمد الزاهد رضي الله عنهم أجمعين .

وفي ذلك فوائد منها :

مشاركة الخادم في الأجر كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل .

ومنها رفع كفاتهم خدمتهم له .

ومنها تنشيط قلوب الفقراء للخدمة إذا رأوا الشيخ يخدم .

فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين .

(١) معطوس من الأصل .

ومن أخلاقهم محبتهم لمجاورة العميان والأيتام والعرجان
والأرامل وكل عاجز هندهم

لأن أحدهم إن كان صادقاً في الطريق ، فهو يرى نفسه في المقام تحتهم^(١) ليكون
الحق تعالى عندهم كما قال الله تعالى : « أنا هند المنكسرة قلوبهم من أجلى » .

وإن كان غير صادق في الطريق ، وإعما هو من النصابين كان هؤلاء العاجزون أعون
له على النصب ، لأنهم له كالشبكة للصياد يصطاد بهم الدنيا من الصدقات ، والهدايا ،
ويصير الناس يقولون : فلان له هائلة كثيرة ، ولا لهم شيء يقوم بهم ، وما في زوايا
البلد فقراء أكثر من فقراء زاوية فلان ، ومن هنا كره بعض العارفين إقامة
المجاورين عنده .

وقال : من لبس مرقعه ، فقد سأل ومن جلس في زاوية بالفقر فقد سأل انتهى .
ولكن ينبغي أن يقال في مثل ذلك : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل
أمرى ما نوى .

وتقدم أن دليل القوم في إقامة المجاورين عندهم تقريره صلى الله عليه وسلم أهل
الصفة على إقامتهم في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى ذلك في الباب الحادى عشر
أيضاً والحمد لله رب العالمين .

(١) عن حارث بن وهب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ألا أخبركم
بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل
جواظ مستكبر) (متفق عليه) والعتل الغليظ الجافى والجواظ بفتح الجيم وتشديد
الواو وبالظاء المعجمة والجمع المنوع وقيل الضخم المختل في مشيته .

ومن أخلاقهم : خزنهم قوت السنة فأكثر لأجل ضعفاء اليقين
من الأراامل والعاجزين القاطنين عندهم

فإنهم لا تهدأ نفوسهم وتسكن من الاضطراب وتقبل على الاشتغال بالعبادة
إلا بمنزلة ذلك .

وكان سيدي مدين وشيخه الشيخ أحمد الزاهد لا يخزنان شيئاً من القوت وآلات
الطعام ويقولان : إن الفقير إذا صار عنده قوته يصير الحق تعالى على يده أكثر مما
لو احتاج إلى شيء وإذا خزن كل ما يحتاج إليه عنده ربما يندى ربه عز وجل قال الله
تعالى : « وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان
يدعوا إليه من قبل ^(١) » .

وقال تعالى : « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا
عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره ^(٢) » .

وقال تعالى : « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ^(٣) » .

ولا شك أن نسيان الله تعالى من أكبر الكبائر عند القوم ، ومن هنا استنخار
صلى الله عليه وسلم لأهله أن يكون رزقهم قوتاً ، وفي رواية كفافاً ، وذلك ليدوم
توجههم إلى ربهم بالفاقة والحاجة ، فإن القوت الذي لا ينضل منه شيء في خداه ولا
هشاه ، والكفاف هو ما يكف أحدهم عن سؤال الناس ، ولا كل مقام رجال والحمد
لله رب العالمين .

(١) وتام الآية : (وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه
نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل الله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً
إنك من أصحاب النار) سورة الزمر آية : ٨

(٢) وتام الآية : (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا
عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره كذاك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) سورة
يونس آية : ١٢

(٣) سورة الملق آية : ٦

ومن أخلاقهم كثرة ترقية الثياب والعمائم

إذا لم يجدوا شيئاً يلبسونه جديداً من وجه يرتضونه ، أو ترقيةها لأجل إظهار إخوانهم
عليهم بلبس الجديد ، أو ليقضى الناس بهم في القناعة من الدنيا باليسير ونحو ذلك
من الأغراض الصحيحة .

وكذلك من شأنهم الطي والجوع إذا لم يجدوا شيئاً يناسبهم في الأكل من حيث
الحل لا سيما أواخر أعمارهم .

فإن الفقير إذا دخل في معترك الدنيا لا يصير كل طعام يناسبه أكله من حيث اللزاج .
وكذلك ينبغي للفقير إذا طعم في السن أن يزيد في الورع لآتيه الموت على ذلك .

وكل فقير لا يحصل له جوع ولا هري ، فهو من أبناء الدنيا ليس له في طريق الفقراء
نصيب بل بعض الفقراء ربما كان أكثر أكلاً وشرباً وملابس من كثير من التجار
والمباشرين .

ولما بلغ سيدي محمد الحنفى الشاذلى رضى الله عنه ما بلغ من اللباس والمأكـل
وأتى الملوك إلى زيارته ، حتى كان الملوك عنده كآحاد الناس فكان تارة يأذن لهم في
الدخول ، وتارة لا يأذن لهم فسأل الله تعالى أن يعينه على قوارع الطرق ، ومضاجمة
الكلاب ، وأن لا يموت ، حتى يضرب القمل يسبح في ثيابه ، ورأسه ولحيته ، فأجاب
الله تعالى سؤاله ، ومات على هذا الحال ، وكان ذلك من جملة هناية الحق تعالى به ، حتى
لا ينقص له رأس مال والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم الأكل من وقف زاويتهم إذا كان فيه شبهة

كأن وقفه أحد من الأمراء الذين لا يتورعون

ثم إن كان أحدهم ناظرا عليهم صرفه كله للمستحقين ، ولا يأخذ منا شيئا لنفسه
إلا لضرورة شرعية .

وكان سيدى على الخواص يقول :

لا يلبنى لشيوخ الزاوية أن يخص نفسه بشيء عن الفقراء القاطنين في الزاوية بل ،
ولا يلحس منه لحسة .

وهذا الخلق قل من يفعل به في هذا الزمان بل يفرح أحدهم إذا وقف أحد من
الظلمة على زاويته شيئا .

وقد وقع أن شخصا أخبرني أن في وقف زاويتنا شيئا أخذ من غير وجه شرعى ،
فسألت الله تعالى أنا والفقراء أن يعطل تلك الجهة التى فيها شبهة ، فاستجاب الله تعالى
دعانا وعطل من الوقف جهتين ، فلم يقدروا أحد من الجباة يأخذ منهما شيئا إلى وقتنا هذا
فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حسن سياستهم لإخوانهم القاصرين من أهل الزاوية حتى يصيروا
يردوا ما يأنسهم من هدايا الولاة بطيبة نفس لآخياء من الشيخ أو خوفًا منه

وذلك بأن يمهّد لهم قواعد السلف الصالح في الورع ، وينذّرهم ما أعدّه الله تعالى لمن
تورّع في مطعمه وملبسه كما ورد من أن الله تعالى يجلبهم ، ويستحقّ منهم يوم القيامة أن
يوقفهم للحساب كل ذلك لكونهم كانوا يخافونه بالغيب في الدنيا ، فلا يجمع عليهم خوفين
وينذّرهم أيضًا تعظيم الملوك لمن زهد في الدنيا ، وتقبيّلهم أرجاءهم بخلاف الراغب في
الدنيا ، فإن الشيخ حكيم الزمان ، فيرغبهم في الورع تارة بالخطوط الدنيوية ، وتارة
بالخطوط الآخروية إلى أن يقوى إيمانهم (١) الله تعالى يتورّع امتثالًا لأمر
الله تعالى لا غير واعلم أن هذا الخلق صار غريبًا في هذا الزمان في غالب الأشياء مع أنه
من أخلاق المرّدين .

وقد رأيت شخصًا يلوّ من لم يعطه من الزكاة كما أعطى غيره ، وذلك من أقبح ما يكون
لأن من شرط الشيخ أن يكون أعف الناس ، حتى لا يقتدى أحده في شراهة النفس ،
وإن قدر أن الشيخ قبل الدنيا ليفرقها على جماعته لصاحبة وآها ، فلا ينبغي له أن يأخذ
من ذلك لنفسه ولأولاده شيئًا لئلا يصير في دنياه الهمة كآحاد الناس ، فيخرج عن مرتبة
المشايخ الذين يزعمون أنه منهم والحمد لله رب العالمين .

(١) مضموس في الأصل .

ومن أخلاقهم : عدم رضام بقراءة اخوانهم القرآن بالفلوس ليلة الجمعة
في البيوت والقبور إلا بنية صالحة

فإن الفقير إذا رضع قلبه من محبة الدنيا عسر هلى الشيخ فطامه ، ولم يسكن ذلك فى
جماعة الأشياخ الذين أدركناهم فى النصف الأول من القرن العاشر إنما حدث ذلك فيمن
بعدم ، حتى أنك ترى غالب الزوايا الآن تخلوا ليلة الجمعة ، وصباحها من قارىء أو
ذا كر اللهم إلا أن لا يكون فى الزاوية ما يقوم بأحدهم من اللقمة والخلفة كما أشرنا إليه
بقولنا إلا بنية صالحة .

فمثل ذلك لا يقدر فى الفقر إلا سيما إن ابتلى أحدهم بعيال وأولاد . وقد أشار إلى
نحو ذلك حديث : « أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله تعالى » فإنه نكر الأجر
فيه ، فشمّل الأجر الدنيوى والأخروى .

وإذا أراد الله تعالى عبداً لشيء هيأ له أسبابه ولا سبيل إلى فطامه عنه وقد سألت
الله تعالى لـكل مجاور يقيم عندى بنية الدنيا أن يحرمه الأكل مما يجمع عقوبة له ، فإنه
لا ينبغي أن يجمع الدنيا إلا من كان يتاجر فيها بالبيع والشراء ، وأما الفقير الذى يظهر
التجرد من الدنيا والزهد فيها وطعامه وشرابه موجود فى الزاوية شتاء وصيفاً فماله ولجمها
ولذلك قال ﷺ فى فقير مات ووجدوا فى داخل إزاره دينارين فقال : « كيتان من
نار » أى لأنه جمعهما على نية إمساكهما شحاً على نفسه أو غيره ، ولو أنه أخذهما على
نية إنفاقهما فى مرضاة الله تعالى من غير تلبيس لما كانا عليه كيتين من نار والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم حسن سياستهم لمن شرد عنهم من أصحابهم واشتغل
بالدنيا وتشرب قلبه حبها

وصار له زوجة جميلة ، وثياب حسنة ، وسبح في الدنيا كسباحة فقراء الفقهاء ، وصار
يجرى ليلا ونهارا^(١) ، فلا يقولون لمثل هذا إنك قد ارتددت عن طريق الفقر وانسلخت
من الخير ، وصار على وجهك ظلمة وإنما يقول أحدهم له :
يا أخى إنك أوحشتنا كثيرا وكما أتأمل في الجماعة وهم يقرؤون في الحزب ولا أراك
يحصل لى وحشة فإنى أحب أن يكون وردنا كل يوم فى صحائف جميع أصحابنا
ونحو ذلك .

فليحذر الشيخ من أن يزجر من تخرج عن طاعته من المجاورين ، واستغنى عن الأئمة
والجبة التى كان يأخذها من وقف الزاوية ، فربما فجر على الشيخ ، وصار يحيط عليه
فى المجالس وما حذرتك إلا مما رأيت من بعض أصحابى ، فإنه لما خرج عن أحكام
المجاورة وصار يغيب الأيام للتواليمة ، ويفوت قراءة العلم والورد معنا ، ويقم الحجة على^٢
ويقول : لو طلبتمنى بالقلب لحضرت وكثيرا ما يأتينى ، فأصير انكساف التبتسم ،
وأكلمه الكلام الحلو كما أفعل بالأجانب لعلمى بأتى لو كلمته كما أكرم المريد الذى هو
تحت الطاعة لم يحمل ، والله تعالى يصلحه أو يبعده عن الزاوية لئلا يتناف بقرية فقراء
الزاوية فاعلم ذلك واعمل به والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول الإمام القشيري : وإن ابتلى مريد بجهل ، أو معلوم ، أو صحبة حدث ، أو
ميل إلى إسرأة أو استنامة إلى معلوم ، وليس هناك شيخ يدلّه على حقيقة يتخلص بها من
ذلك ، فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع ، ليشتوشن على نفسه تلك
الحالة . ولا شيء أضر بقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خلود بشرتهم .

ومن أخلاقهم إلقاؤهم بالهم إلى الفقراء القاطنين عندهم

وتحولهم بالموعظة الحسنة ، وينبغي لهم أن لا يكلفوا الفقراء إلى ترتيب ورد زائد ، فإن النفس من شأنها الميل إلى الكسل ، والراحات ، والغش لصاحبها ، فذلك كان لأشياخهم الذين يرتبون لهم الأوراد التي تستغرق غالب الليل والنهار ، والشيطان للفقراء بالمرصاد ، فرجما وسوس للشيخ وقال له :

لا تمنهم على الاشتغال بالكلية ينفروا . منك في هذا الزمان بل اجعل الأمر كرا وفرا ، فأصغى الشيخ إلى كلامه ، فأثلف جماعته ، وأهلكهم من كثرة الكسل ، حتى صار أحدهم يستثقل المسك في مجلس الذكر عكس ما كان في الزمن الماضي ، وإن جلس أحدهم فيه لا يجد للخير طعما .

فينبغي للشيخ شدة حث الفقراء على الخير ومعاتبتهم على كل خير فاتهم ، وهيبات أن يعملوا بقوله .

وقد من الله تعالى علي بجماعة في الزاوية يقرؤون القرآن ، ويدكرون الله تعالى ليلا ونهارا على التواصل فلا يغفل أحد إلا ويذكر آخر ، ومما وقع لي أن ثلاثة من الملائكة دخلوا علي الخلو ليلا في المنام ، وفيهم واحد طوله نحو سبعة أذرع وألوانهم كألوان الزعفران .

فقال الطويل للقصيرين :

قد طعمت الليلة جميع الأرض مشارقها ومغاربها فهل رأيتم أكثر اشتغالا من أهل هذه الزاوية ؟

فقالا : لا .

ثم قال لهما : ما تقولان في حماية مجلس الذكر الذي عندهم إلى أين يبلغ من ناحية

القبلة ؟

فقالا : يبلغ إلى حد باب جامع الحاكم الذى من ناحية باب النصر
فقال : ومن الشرق .

فقالا : إلى حد باب الشعرية الذى على يسار الخارج منه .
ثم استيقظت حامداً لله سبحانه شاكرًا فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إذا عمر أحدهم زاوية أن يحرز النية الصالحة في عمارتها ليدوم

الخير فيها بعده

فقد قالوا : إن الخير يدوم في مكان الفقير بقدر هزمه في الخير ، ونيته الصالحة أي غالباً ، وإلا فقد يختار الشيخ عدم الشهرة في مكانه وخلوته كحال في حال خيانه كسيدي أحمد الزاهد وسيدي يوسف العجمي ولا أعلم الآن خارج مصر من قراها أكثر اشتغالا من زاوية سيدي أحمد البدوي وبعمده زاوية شيخنا محمد الشناوي رضي الله تعالى عنه في محلة روح وأما مصر فليس بعد جامع الأزهر فيها مكان أكثر خيراً ولا اشتغالا بالعلم والقرآن من جامع سيدي أبي العباس الغمري ، فإنه عمره بإشارة سيدنا رسول الله ﷺ على لسان شخص من أولياء الله تعالى كان يبيع لبن المعز الحليب كما أخبرني بذلك الشيخ أمين الدين الإمام به ، فقد أرسل سيدي محمد الغمري خادمه إلى باب النصر وقال : قف بعد الصبح فإذا دخل إنسان معه ، عز يقول : يا ابن حليب فقل له : إن محمد الغمري يسلم عليك ويقول لك : شاور له رسول الله ﷺ في عماره جامع بمذق السكتان قريباً من سوق أمير الجيوش فقال له : هاودنى خدأ ، فعاوده فقال : قد أذن لك فعمر ، وتوكل على الله تعالى ، وإياك أن تبني فيه طوبة فيها شبهة . انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن اخلاقهم منع مریدهم من زیارة غیرهم مصلحة له

إذ لا یطلب مرید زیارة غیر شیخه إلا لعلة نفسانية ، وأصل ذلك عدم رؤيته فی شیخه السکال أو اعجاب المرید بنفسه من جهة كثرة عبادته فی شهوده فتقول له نفسه : **ور فلانا لیظهر حالک ، ویشکرک بین جماهته ، فیزدادون نشاطاً ، فیمخرج حينئذ للزیارة أنها بنية صالحة ، فیمحصل له العکس ، والمقت ، ولو أنه غیر معجب بنفسه لما اشتمت نفسه قط زیارة أحد بل کان يستحی أن یقابل الناس ، ویؤیده قوله ﷺ : « أعدوا لساوئکم یلزم قعور بیوتهم » . انتهى .**

وسمعت سیدی محمد الشناوی رحمه الله تعالى یقول : قلت لشیخی سیدی محمد السروی یوما مرادی أزور فلانا ، فنظر إلی شذرا ، وقال : یا محمد إذا لم أکن أملاً هینک فلائی شیء جعلنی شیخاً لك .

وسمعت سیدی علی الخواص رحمه الله تعالى یقول :

من حکم المرید الصادق أنه كلما ازداد عبادة كلما ازدادت نفسه تواضعا عنه عند نفسه ، حتی یصیر کالذی کبسوه بفاحشة وجرسوه فی بلده ، وعلم به الخاض والعام . انتهى .
وقد سمعت أن فقیر کان صاحب المطاوعة وترك المطاوعة طریقهم ، فصار بتعبید بین الفقراء فلا یقیمون له وزناً ، فاشتبهت أن یزور أحدا ممن یشکروه ، ویحمده فخرج للزیارة فرجع مراكوباً لا بلایس فنزع ثیابه وطلب أن یكون مجذوباً بنفسه من غیر وارد إلیه ، فلولا حصلت فیه شفاة لتمزق إلی المات .

فلا تظن یا أخى أن أحدا من الفقراء الصادقین یمنع مریده من الزیارة لغرض نفسانی أبدا حاشاهم من ذلك كما مر بسطه مرارا والحمد لله رب العالمین .

ومن أخلاقهم إذا عاتبوا مربدا أوائل محبته لم فلا يعاتبوه إلا بعد
تمديد لهم بساطا بحيث يفهم منه محبة الشيخ له

فإن العتاب للمريد المذكور على غفلة ربما لا يحتمله ، فيصير يبحث عن نفسه ،
فلا يحصل له بالعتاب فائدة .

وقد قالوا : كل مريد لا يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من والديه ، ومن نفسه ،
فبعيد عليه أن ينتفع بنصح شيخه أو بعتاب له ، فياستعادة من قبل نصيح مربيه ، وقلده ،
ويا شقاوة من أجاب عن نفسه ، فإن مربيه قد خرق ببصره إلى الدار الآخرة ، وعرف
ما يقبل من الأعمال ، وما يرد ، وما يفرح العبد يوم القيامة ، وما يحزنه ، والمريد محجوب
عن ذلك .

فكل شيخ يود لمريده ما يفرحه يوم القيامة كما يود له خرق الحجاب الطبيعي ليرى
من التعب .

وقد قالوا : كل مريد لم ينخرق حجابيه ، فيأطول تعب شيخه فيه فاعلم ذلك أيها الأخ
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم متبحراً في العلوم

بحيث يدرس في المذاهب الأربعة حتى لا يخرج مريده إلى القراءة على غيره كما مر بسطه مراراً .

ومن لم يقدر على تدريس مريديه في المذاهب الأربعة ، فهو ناقص ، وربما قال للمريد :
تمذهب بمذهبي حتى 'أدرسك فيه فلا يرضى المريد أن يوافقه على ذلك فيحتاج المريد
إلى القراءة على غيره فتختلف عليه المشارب ، فلا يحصل له العلم من الشيخ فيمنع المريد
بنفسه أنه أعلم بمذهبه من شيخه فتذهب حرمة شيخه من قلبه .

وقد درج السلف الصالح كلهم على الاشتغال بالعلم حتى يصير أحدهم يقطع العلماء
في مجالس المناظرة ، وذلك ليسكن في العلم من تلمذه من أهل سائر المذاهب^(١) .

وهذا الخلق قد صار غريباً في هذا الزمان ، فلم أن كل شيخ لم يكف مريده ،
ونسكدر منه إذا قرأ على غيره ، فهو صاحب رعونته لا يصلح أن يكون من أهل الطريق
والحمد لله رب العالمين .

(١) والعلم الكسبي من أهم شروط التصوف بل إن حديث (من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم) يدل على ذلك فكيف يتأتى له العمل بما لا يعلم وهذا الحديث يعتبر من
أساسيات المدخل إلى علم التصوف الإسلامي .

ومن أخلاقهم : حماية أصحابهم ممن يظلمهم

لأنهم ما استندوا إلى أحد من غالباً إلا ليحميهم من يؤذيهم في دار الدنيا لما رأوا
الأمراء والأكابر يعتدونهم ، وبترددون إليهم .

فمن لم يحم مريده من يؤذيه ، فهو ناقص الهم إلا أن يكون المريد له صبر على تحمل
الظلم ، والأذى ، فمثل هذا لا ينبغي للشيخ أن يتوجه إلى الله تعالى في حمايته ، لقوته
وصبره .

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول :

لا ينبغي لفقير أن يظهر للناس كرامة في هذا الزمان إلا بقدر حماية أصحابه بين
الناس ، فإن من لا كرامة له لا يحمي له صاحب .

وقد وقع لسيدي إبراهيم الجعبري أن جماعة الوزير حبسوا حول صابون جماعته
لأجل المكس فأرسل للسلطان أن يحميهم من المكس فأبى ، وقال : هذا مال المسكر ،
فتوجه سيدي إبراهيم إلى الله تعالى فحبس بول السلطان ، فاحتالوا على ادرار بوله بكل
طبيب ، فما قدروا ، وصار السلطان يتلوى كالنعبان ، وهو صائح ، فقالوا له : اهف من
صابون أصحاب الشيخ فعفى عنه ، فبلغ الشيخ ذلك ، فأرسل له ابريقا من ماء وقال
استنج منه ففعل ، فأطلق بوله في الحال فمن ذلك اليوم لم يعارض أحد من جماعته
في شيء .

وكذلك وقع لسيدي محمد الحنفي أنه حبس بول السلطان ، حتى استغاث به ، فأرسل
له رخيما مبسووسا ، فأكل منه فبرئ من وقته ، فإن كان معك يائئى حال وتصريف في
رفع الظلم والناس تستند إليك ، فأتخذك أصحابا والافلا تصحب أحدا خيرا والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حمل تبعه زواياهم إذا كانوا نظارا عليه من تحكيم
الظلمة والمفتشين على جباته ومباشريه

وذلك إما بالحال أو بصرفه في مصارفه الشرعية ، وعدم تخصيص أحدهم بشيء
لنفسه أو ولده عن الفقراء ، فإن الناقد بصير .

وإيضاح ذلك أن الحماية الإلهية لا تقع إلا لمن هو واقف في مصالح العباد من الفقراء
والمنقطعين أمان وقفه في شيء من أمور الدنيا لمصالح نفسه فقط ، فلا يستحق من الله
تعالى حماية .

وقد من الله تعالى على بالحماية لوقف زاويتي بمشي فيه بنور الله تعالى أنا وناسي
والحياة له وقدر رأينا غيرنا معه مربعات السلاطين ، ومع ذلك ، فلا يتدر على حماية وقفه
من الظلمة ، لكونه يتخصص بغالبه ، ويتزوج منه ، ويلبس ، ويركب الخيول المسومة ،
ويلون المطاعم .

وأخبرني بعض جباته أن ثلث مال الوقف يخرج براطيل ومغارم للكشاف ، ومشايخ
العرب ، والفلاحين ، حتى يصلوا إلى تخليصه ، وأنا أعلم وأتحقق أن لو تخصصت بشيء
منه كغبري لم يقدرني الله على حماية شيء منه ، وكثيرا ما يزور فقراء الزوايا على
المكاتبات للمكاسبين ، ويشون لهم على اسمي ، حتى قال اليهودي : مجلس المكس
ببولاق للشيخ عمر نائبي في النظر :

نحن نستكثر شيئا من القمح والعسل والسمن الذي يأتي زاويتكم لعلنا بأن الشيخ
لا يتخصص عن الفقراء بشيء بخلاف غيرهم ، فإنهم يأخذونه على اسم الفقراء ، ويأكلونه ،
ويبيعون ما فضل عن حاجتهم ، فلذلك نأخذ منهم المكس لأن السلطان أولى بذلك ،
فمن يتخصص ويحب الدنيا لا تصح حمايته منا انتهى .

فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم توقّف أحدهم في وزن ما عليه من حقوق الناس ولا يخرجون من له عليهم حق بأن يقف بهم على حاكم شرعي أو سيادي

بل لو نازعهم أحد في دار بنوها وهي جديدة لأعطوها له من غير وقوف على حاكم فالدنيا في عين أحدهم لا تساوي جناح بعوضة ، فما يخص أحدهم من جناح البعوضة إذا فرقت على جميع أهل الأرض ، حتى يقف لأجله على حاكم .

وقد بلغنا أن سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه عمر له دارا ورواقا في بلدة أم عبيدة ، فذاعه واحد في أرضها يوم انتقاله إليها فأخرج الشيخ أمتعته ، وعباله منها في الحال ، فلما رأى المدعي شدة عزمه على النقلة منها ،

قال : يا سيدي ليس لي فيها حق وإنما امتحنتك لأعرف ميلك إلى الدنيا أو زهدك فيها ، ثم قال له : يا سيدي تخرج من دارك التي تعبت على عمارتها بمجرد دعواي من غير وقوف على حاكم .

فقال له : يا ولدي الدنيا أهون عندنا من أن نقف من أجلها على حاكم انتهى :

وقد رأيت مرة شيخا مربوطا مع رسول القاضى ليدعى عليه بسبب عثماني في كل شهر أخذه بغير حق :

فقلت له : أف عليك بهدلت الطريق ، وكان له شعرة وعذبة ، فصار رسل القاضى يقولون له : في سبيل الله شعرتك وعذبتك ، وأنت تحوج الناس إلى أن يشكوك من أجل عثماني كل شهر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقد رخصت والله الطريق وأهلها .

وقد سمع الشيخ نور الدين الحسني من خلوته في مدرسة الساطقان حسن شخصا يقول : يا قفة شيوخ بعثماني ، فأخذه من ذلك ما أخذ ، وترك تلميذين الذكرك من ذلك اليوم ، وكان مع الشخص خشبة الشيوخ التي يهرح بها النساء الكتمان ، فعلم أنه ينبغي لمن لم يقدر على شروط أهل الطريق أن لا يتظاهر بلبس زيهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : معرفتهم باسم الله الأعظم

ولولا معرفتهم به ما صح لهم تصريف في أحد من ولاية أو عزل أو غير ذلك وذلك دليل على انصافهم بكتمان الأسرار .

ولولا علم الله تعالى بقدرتهم على الكتمان ما علمهم اسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى فما دخل النار في الدنيا من دخل من الأولياء ولا نضره النار إلا به ولا مشى أحد على الماء إلا به ، وكذلك جميع الأفاعيل .

ولكن ما كل أحد يقدر على حفظ نفسه من التعريف به في خير المحل الممتنع له ولذلك يبخل به الأشياخ على أكثر مرديهم لخوفهم أن يتصرفوا به في كل من أغضبهم ، فيهلكوه أفيمقتهم الله تعالى كما وقع لبلعام بن باهورا وقد خدم شخص ذا النون المصري رحمه الله تعالى سنين ليعلمه اسم الله الأعظم ، فلم يفعل .

فقال له يوما : يا سيدي لي في خدمتك سنين ، وأريد أن تعلمني اسم الله الأعظم .
فقال : إن شاء الله تعالى .

ثم إن الشيخ دخل البيت ، ووضع له فارا في طبق ، ووضع له مكبه ، ومد عليه بمخديل .

وقال له : أوصل هذه الهدية إلى صاحبنا بمصر العتيق .

فبينما هو على الجسر الذي كان بين الجزيرة والروضة إذ أحس بخفة في الطبق .

فقال : إن الشيخ يسخرني وليس في الطبق هديه .

فحل للمخديل ورفع المكبة فجري الفأر ، ودخل في شق ، فرجع بالطبق .

فقال له الشيخ : إذا لم تؤمن هل فأر فكيف أعلمك اسم الله الأعظم ، وأخرجه من خدمته^(١) .

(١) يروي سيدي أبو الحسن الشاذلي عن شيخه سيدي عبد السلام بن مشيش

وقال له شخص يوما : يا سيدي علمني اسم الله الأعظم .
فقال : فأرني الأصغر كان الشيخ يزجره عن مثل ذلك ويعلمه أن أسماء الله تعالى كلها
هظيمة انتهى .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول :
اسم الله الأعظم هو كل شيء عرف الابد من أين صدر انتهى .
وأخبرني الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بأنه رأى الباري جل ودلا وشخص
ليه أن يخضع عليه شيئا من قدرته .

فقال له الباري جل وعلا : لا تحمل القيام بحق ذلك فإني حلیم على من عصاني صبور
على من آذاني وأنت لو أعطيتك ذلك لأخربت الوجود انتهى .
وقد من الله تعالى علي بمعرفة اسمه تعالى الأعظم ، ولكن لم أتصرف به قط
إلا في العفو والعافية والموت على الإسلام والحمد لله رب العالمين .

(ورأيت له خرق عادات كثيرة - يقصد الشيخ بن مشيش - فنها أني كنت يوما جالسا بين
يديه وفي حجره ابن صغير يلعبه فخطر بباله أن أسأله عن اسم الله الأعظم ، قال : فقام
إلي الولد ، ورمى يدي في طوقي ، وهزني ، وقال : يا أبا الحسن ، أنت أردت تسأل الشيخ
عن اسم الله الأعظم ، ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم ، إنما الشأن أن تكون
أنت هو اسم الله الأعظم بمعنى أن سر الله مودع في قلبك .
قال : فتبسم الشيخ وقال لي : جاوبك عنى فلان .

ومن أخلاقهم كثرة كسوتهم لآخوانهم من خير توقف
ولو كان من أنفس ثيابهم

فالحلة التي تساوى ألف نصف عندهم كالثوب الخاق علي حد سواء فلا تظن يا أخي
أنه خلق عظيم عندهم كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إقبالهم على المريد بقدر إقباله عليهم

بل دون إقباله عليهم اظهرا لعزة الطريق ، فربما كان المريد يستهين بالطريق ، وأهلها
إذا أقبل الشيخ عليه وأظهر له المحبة لأنه محبوب عن ما يريد الشيخ أن يدهوه إليه ،
فليكن الشيخ حكيما يقبل عليه تارة ويدبر عنه أخرى بحسب ما يرى من المصلحة
للمريد .

وقد جربت أنا غالب أصحابي .

فرأيت بعضهم كلما قربته قل انتفاعه .

وبعضهم كلما أبعدته زاد انتفاعه .

وبعضهم أسأله مخافة شره وأظهر له المحبة ، والحال أنه من أبغض الخلق إلى الله
تعالى لإعراضه عن الله وقد قال تعالى « فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد
إلا الحياة الدنيا »^(١) .

فشمّل الإعراض بالقلب والوجه معا ، وذلك فيمن حقت عليه الشقاوة .

وأعرف جماعة ممن ينتسبون إلى صديق يحضرون مجالسي في الورد ، ولا أعلم نفاقا خوفا
من أن يلوث أصحابي بهم ، فيحضر أحدهم ، ليدفع عن نفسه ظن الناس أنه غير وبدل
للمحبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا محبة في .

وربما يحضر أحدهم منتقدا لي منسكرا على الباطن فيزداد مقنا إلى مقته .

وهذا أمر وقع فيه كثير ممن انسلخ عن المجاورة ، وخالط أبناء الدنيا وأحب النسبة
إلى لغرض من الأغراض الدنيوية فقط .

وقد رأيت من يؤذى شيخه وأولاده بلسانه ويده ، ثم إذا احتاج إلى حاجه عند
الولاء يكتب في قصته أنه من جماعته ، وينتسب إليه ، حتى تقضى حاجته ، لئلا يعلم أن

الولاية إذا علموا أنه انسلخ من طاعة شيخه لا يقضون له حاجة .

وقد وقع مثل هذا لجماعة من المجاورين بالزاوية ، فمنهم من مات على مقتنه ، ومنهم من هو تابع في الأثر ، وما كان هذا مرادى ، ولكن جرت سنة الله تعالى في عباده الداعين إليه أن تنقسم أصحابهم بحكم الإرث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى شقي ومعيد بحسب القسمة الإلهية ، فيجعل الله تعالى ذلك الداعي آلة لحصول المقت في جماعته ، فلا يقال لو أن الشيخ نظر إلى ذلك المريد بالالطف ، والمحبة ، لكان أطاهه ، ولم يمقت لأنا نقول لا أحد أكل شفقة ، ولا سياسة ، ولا رحمة من سيدنا رسول الله ﷺ ، ومع ذلك فقد طلب إسماعيل عمه أبي طالب ، وجماعة من قومه ، فلم يجبه الحق سبحانه إلى ذلك .

فليكن المريد على حذر من مخالفة شيخه وايمكن الشيخ على حذر من مقت جماعته بسببه ، ومن استجلابه لقول الناس إن الشيخ مقت فلانا فلم يفلح والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن لا يدخلوا في صحبة أحد حتى يعرضوا على أنفسهم حقوقه
فإن رأوها تقوم بحقوقه صحبوه ، وإلا سالوه ، وأحبوه محبة الإسلام العامة .
ومن أشد الأصحاب حقوقا وأصعبها على الفقير حقوق الظلمة ، وأهوانهم ، والولاء
وأهوانهم ، والمتشيخون بأنفسهم ، أو بالآباء والجود أو المتفانون في طريق القوم الذين
هم المتصوفة لا الصوفية .

فأما حقوق الظلمة وأهوانهم والولاء فلا يصح اعتير صاحبهم إلا مع مداومة النصيح
لهم ليلا ونهارا ، وردم عن أفعالهم الخارجة عن قواعد الشريعة ليلا ونهارا ، ويحمل
كل ما أخلوا به بعد النصيح من عقوبة المعاصي ، ومظالم العباد أو التوجا فيها إلى الله تعالى ،
فيسأله تعالى أن يغفر ما لهم ، أو يحولها إلى صحيفته ، وإذا أصابهم هم أو كدر بسبب
تحويل نعمة عنهم من مال أو ولد أو ولاية لا يهدأ ، ولا ينام ، ولا يأكل ولا يشرب ،
إلا كالضطر ، ولا يجامع ، ولا يضحك ، ولا يعصى ربه ، ولا يغفل عنه ليلا ولا نهارا ، حتى
ترجع عنه تلك البلية ، وترجع له النعمة ، ومن يطيق تحمل مثل هذه الأمور .

وأما حقوق التشيخين بأنفسهم أو بالآباء والجود الذي تصوفوا بالدعوى ، ولم يصلوا
إلى مقام الصديق في الطريق ، ولا يسكاد من يصحبهم أن يقوم لهم عوجا ، ولا أن ينزاهم
عن مقامهم الذي ادعوه ، ولا أن يتلذذوا له ، فلام يعرفون الطريق بأنفسهم ، ولا هم
يرجعون إلى من يرشدهم ، وربما تلفف أحدهم بعض كلمات من حكم القوم وحفظها
وصار يطرزها المجالس ، حتى يظن من لا معرفة له بالطريق من التجار والمبائثرين أنه
من محققى الصوفية ، وهذا الأمر قد كثر وقوعه في غالب فقراء هذا الزمان ، فلا تسكاد
تجد لأحدهم شيئا حقيقيا إنما يستندون إلى قوائم صحبنا الشيخ الفلانى ، والشيخ
العلانى ، ويعينوا جماعة كانوا في عصرهم والجال أنهم لم يأخذوا عنهم ، وأعرف منهم
شخصا ادعى أنه صحب شيئا من مشايخنا ، فكذبه أصحاب شيخنا ، فانتفى إلى شيخ

آخر ، فكذبه أصحابه ، فادعى بعد ذلك أن سيدى عليا المرصفي أتاه في المنام ، وقال له : ابرز للناس ، فأرشدتم ، وربما كان ذلك إبليس ، فإن سيدى عليا كان كالجبل الراسى فى مصر لا يزلله زعازع الرياح .

وقال لى مرة : أنا لا آذن لأحد من جماعى ينصير للمشيخة إلا بعد وقوع الإذن لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقول هذا المدعى إن الشيخ أتاه فى المنام كذب ، وزور لمخالفة ذلك لحال الشيخ الذى كان عليه حال حياته من الاحتياط فى ذريته ، ومهادق ذلك نفرة الناس عنه بعد مدة قليلة ، فلم يبق حوله الآن أحد ، وانكشف حاله لهم لعدم من يمدده من مشايخ السلسلة ، فإنه دعى لا أب له فيها ، ومعلوم أن الطريق ترفض غير أهلها بالخاصة فأعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم هفلاتهم عن ارشاد هذه الأمة إلى طريق الرشاد

قارة بالوعظ على السكروسي ونارة بالتسليك لهم على طريق مشايخ الطريق عملاً بقوله تعالى أنبيه صلى الله عليه وسلم : « رذ كر فإن الذ كرى تنفع المؤمنین ^(١) » ولما قربت المساهة تأكد عدم الغفلة عن ارشاد الناس لكثرة الضلال وتزلزل قواعد الدين ^(٢) .

(١) سورة الذاریات آية : ٥٥ .

(٢) إذا كان لنا أن نأخذ صورة عن مجالس الصوفية في تعليم الناس فإن أوضح صورة يمكن لنا أن نأخذها هي صورة الإمام أبی الحسن الشاذلی .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : يقول سیدی عبد الوهاب الشعرانی : بلغنا أن للشيخ الكامل أبا الحسن الشاذلی لما فی اختياره مع الله مكث ستة أشهر لا يتحرى أن يسأل الله فی حصول شيء .

ثم نودی فی سره : إسألنا عبودية لا ترجیع فیها للعطاء عن المنع .

قال : فسأل الله ورجوته امتثالاً لا تحجيراً علیه ، فإنه یخلق ما یشاء ویختار ، ولیس معه اختیار . اهـ

لقد فی اختیار أبی الحسن مع الله ، وهذه المرتبة لا یتأتى للانسان أن ینالها فی ابتداء حیاته السائرة إلى الله ، لابد أن يسبقها جهاد شاق کیف وصل أبو الحسن إلى أن یترنسل مع الله على ما یرید فننی إرادته فی إرادته . واختیاره وأن یكون بالله إیراداً وإصداراً ؟ لقد كان الجانب العلمی من العناصر التي حدثت شخصية الشاذلی .

لقد بدأ الدراسة والتحصيل صغیراً ، فنشقف كأحسن ما یكون المثقف .

لقد تشقف على الطريق العادی لحفظ القرآن ، ودرس الفقه ودرس العلوم الدينية : وسائل وغایات « ولم یدخل فی علوم حق كان یعد للمناظرة فی العلوم الظاهرة » . وكان (ذا علوم جمة)

وهو صاحب العلوم الغزيرة : «

ولقد تدرج فی هذه العلوم سلماً فسلماً ، ثم أخذ یختار الكتب التي یدرسها ویشرحها ویصحق بقراءتها ، ویحبب فی أصحابها ، وكان منها :

١ — كتاب ختم الأولیاء للحکیم الترمذی ، وهو كتاب أقام الجوّ الثقافی وأقده حين صدوره ، وكان سیباً فی صعوبات كثيرة إعترضت المؤلف بسبب الآراء التي احتوى علیها .

وقد سمعت سيدي علي الخوص رحمه الله يقول :

من نعم الله تعالى على عباده كونه تعالى لا يخلو الأرض من قائم له بحجة في دينه رضيـه

وهو كتاب أنار إهتمام الإمام الأكبر محي الدين بن عربي بإثارة كبرى ، فأفرد له كتاباً خاصاً ، ثم أفرد له صفحات وصفحات من كتاب الفتوحات ، وحاول أن يجيب على ما ورد فيه من أسئلة ، ووضع نفسه أيضاً بهذا موضع التجدي وكأنه يقول : هاءنذا أجيب على الأسئلة متحدياً في ما يتعلق بصحة الأجابة .

لقد كان الشاذلي يلتقي دروساً في شرح هذا الكتاب ، واقد بلغ من روعة هذه الدروس أن كان أبو العباس المرسي يحرص كل الحرص على حضورها لما كان لها في نظره من الأهمية ، وحينما يكون على سفر في شائ من شئون الدعوة فإنه يلتبس كل وسيلة تمكنه من حضورها .

ولقد كان كتاب ختم الأولياء مفقوداً إلى عهد قريب ، ثم عثر الأستاذ عثمان محي عليه فطبعه في بيروت طبعة محققة مع دراسة عن الترمذى .

ويقول ابن عطاء الله للسكندري رضى الله عنه عن أبي العباس المرسي :

« وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الإمام الرباني محمد بن علي الترمذى ، وكان لكلامه عندهما الحظوة الثامة وكان يقولان أنه أحد الأوتاد الأربعة » اهـ .

وقبل أن نتحدث عن كتاب آخر نذكر هنا ما رواه ابن عطاء الله السكندري قال :

قال الشيخ ، قيل لي :

ما على وجه الأرض مجلس في الفقة أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ولا على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم ، ولا على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك .

٢ - وكتاب « المواقف والمحاطبات » من تأليف الشيخ محمد بن عبد الجبار النفري وهو كتاب ليس بالسهل ، لأنه يعبر عن حالات روحية عالية لا يتأني لغير أصحاب الأذواق العالية فهم الكثير منها ، وهو كتاب للخاصة ، وأراد أبو الحسن أن يسره لكل من عنده استعداد ، وأن يفتح مغاليقه لكل من يستشرف عالم الحكمة .

يقول ابن عطاء الله عن الشيخ أبي الحسن :

لولايته ، واختاره لمعاملته يبين به دلالاته ، ويوضح به طرقانه فطوبى لمن كان كذلك
في هذا الزمان الذي خفي فيه نور العلماء ، وقد أخذ الله تعالى الميثاق والعهد على العلماء

« كان يوماً في القاهرة في دار الزكي السراج ، وكتاب المواقف للنقري يقرأ عليه فقال :
« ابن أبو العباس ؟ »

قلما حضر ، قال الشيخ . »

تسكّم يا بني ، تسكّم بارك الله فيك ، تسكّم ولن تسكت بعدها أبداً
قال أبو العباس :

فأعطيت لسان الشيخ من ذلك الوقت « ١ » .

ولقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة :

٣ — كتاب قوت القلوب لأبي طالب الملكي .

٤ — كتاب الإحياء للإمام الغزالي .

وهذان الكتابان من واد واحد ، ولقد تأثر الإمام الغزالي في كتاب الإحياء بأبي

طالب الملكي ، وذكر أنه قرأ كتاب قوت القلوب كوسيلة من الوسائل التي تعرفه
بالتصوف ، وذلك قبل أن يأخذ من الجانب العملي والرياضة الصوفية .

لقد نصح الشاذلي بقراءتهما : فقال عن قوت القلوب : عليكم بالقوت فإنه قوت .

وقال عن الكتابين :

كتاب الإحياء يورثك العلم ، وكتاب القوت يورثك النور . ولقد كان الشيخ أبو

الحسن يقول :

إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد .

٥ — ومن قبيل الكتابين السابقين كان الإمام الشاذلي يقرأ أيضاً الرسالة التفسيرية

ويشرحها ، وقد سبق شيء من الحديث في ذلك وسيأتي أيضاً حديث عنه .

٦ — وكتاب الشفاء للقاضي عياض من الكتب المباركة التي نالت تقديراً كبيراً في

أوساط كثيرة ، وكان يقرؤه أبو الحسن وينصح بقراءته .

٧ — وكتاب أبي الحسن المفضل في التفسير هو كتاب « المحرر الوجيز » لابن عطية

وهو كتاب يشرحه عنوانه ، فهو محرر : كلماته منسقاء فتحريره ، عمرة وعباراته دقيقة .

وهو وجيز وإن لم يكن في إيجاز تفسير الجلالين أو البيضاوي .

بتبين الحق وعدم كتمانهم ومن قدر على ذلك وتركه فهو خاص لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم انتهى .

وقد بدأ طبعه الآن في المغرب ، فطبع منه الجزءان : الأول والثاني .
هذه هي الكتب التي ورد ذكرها فيما كتب عن أبي الحسن في المصادر القديمة ، وهي كتب مختارة في غاية النفاسة ، تدل على مشرب عال في التفسير والسيرة النبوية والتصوف .
وليس بغريب بعد ذلك أن ينقل الإمام الشيرازي رضي الله عنه في الطبقات عن شيخه علي الخواص أنه قال :

« كانت القاعدة عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، والشيخ أبي العباس تاج الدين بن عطاء الله ، والشيخ ياقوت العرشي ، في قبول الطلاب : ألا يدخل أحد الطريق إلا بعد تبحر في علوم الشريعة ، وألاها بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة .
فإذا لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد » .

إن العلم عنصر من عناصر شخصية الإمام الشاذلي وهو عنصر من عناصر طريقته أيضاً وصلى الله وسلم على من أمر أن يقول : (رب زدني علماً) .
وسبحان القائل :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وتقدس الذي يقول :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

ويصل أبو الحسن إلى الذروة حينما يعتبر الجهل والرضا به من الكبائر بل حينما يستجده من أكبر الكبائر ويقول :

« لا كبيرة عندي أكبر من أنين : حب الدنيا بالإيثار ، وللقام على الجهل بالرضا » .
لأن حب الدنيا أساس كل خطيئة .

والقام على الجهل أصل كل معصية .

ولا يتأني أن يجاوز الجانب العلمي دون نذكر مثال نبين به مدى ما وصل إليه أبو الحسن من عمق عميق ، ومن فهم دقيق في المسائل العلمية .

ونحن كلما رأينا إشارات من علم أبي الحسن الذي ألبس فيه العلم الرسمى نسيم الأرواح وألبست فيه معارج الأرواح صورة العلم الرسمى .

فإياك يا أخى أن تنكر على أحد يعظ الناس فى هذا الزمان ، أو تنكر عليه لـ كشاره من
الوعظ فى المساجد المتعددة ، فإن ذلك منك غاية الجمل لأنه قايم هن العلماء الناركين

أقول كلما رأينا ذلك أسفنا كل الأسف على ما حصل من إهمال فى تقييد دروس أبى
الحسن ومع ذلك فإن أبى الحسن قدر بى رجالا بدلا أن يخرج كتباً ولقد سئل رضى الله عنه :
لم لا تضع الكتب فى الدلالة على الله تعالى وعلوم القوم ؟ فقال رضى الله عنه :
كتبى أصحابى (١) .

ومع إيماننا بأنه ربى رجالا نشروا علمه ، وأذاعوا طريقته ، فقد كنا تمنى أن
اهتم أحد مريديه بتقييد نقائسه ودرره . والمثال الذى نذكره الآن مأخوذ من رسالة
طويلة كتبها لأحد أصدقائه بتونس هو سيدى على بن مخلوف .
وهذا المثال عن الروح وقد ورد فى القرآن الكريم قوله تعالى « ويسألونك عن
الروح قل الروح من أمر ربى » .

هذه الآية الكريمة كانت مثار خلاف شديد بين المفسرين من مختلف النزعات :
وذلك أن كثيراً من المفسرين رأوا أن الآية إنما هى منهى عن البحث فى الروح ، بمعنى
النفس الإنسانية ، لأنها من أمر الله سبحانه ، وهى من أمره ، هو وحده العالم بها .
وعارض هؤلاء كثيرون يرون أن الروح فى الآية الكريمة : إنما هو القرآن الكريم ،
بدليل سياق الآيات السابقة واللاحقة ، فإنها كلها فى القرآن الكريم ، والقرآن يسمى
روحاً كما أن جبريل عليه السلام روحاً .

هل الآية نهى عن البحث فى الروح أم أن الروح فى الآية شىء آخر غير النفس
الإنسانية ؟ ولم يأخذ أبو الحسن بهذا الرأى أو بذاك ، وإنما أدلى برأى تشهد بأصالته
وهمته ودقته ، يقول رضى الله عنه :

« ومن ظن أن هذا العلم : أعنى علم الروح وغيره ، مما ذكر وما لم يذكر لم يحط
به الخاصة العليا أهل البدء الأعلى فقد وقع فى عظيمين :

جهل أولياء الله إذ وصفهم بالقصور عن ذلك ، وظن بربه أنه منعهم : وكيف يجوز أن
يظن على مخصوص ، وسرى به النكذيب إلى القدرة والشرع بقوله عن اليهود أو عن
العرب كما تضمن الخلاف :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » .

لذلك بفرض كفاية ، وإياك أن تحمل الواظ على أنه إنما قصد بذلك غير الله تعالى ،

فما الدليل لك منهما على جهل الصديقين وأهل خاصة الله العليا .
والكشف عن هذا أن السؤال يقع بأربعة أحرف : بهل ، وكيف ، ولم ، ومن ،
فهل يقع بها السؤال عن الشيء أم وجود هو أو معدوم .
وكيف ، يقع بها السؤال عن حال الشيء .

ولم ، يقع السؤال بها عن العلة .
وليس في الآية شيء من هذا . فإنك إن قلت فيها معنى هل ومعنى هل يقتضى هل الروح
موجود أو معدوم وقد عرفوا وجوده من قبل ، ولو لا ذلك لما قال (ويسألونك عن
الروح .) فثبت أنهم عرفوا وجوده فبطل هذا .

وليس فيها سؤال عن الحال كيف هو ، ولا سؤال عن العلة لم كذا وكذا ولو كان
سؤالهم عن هذين لما قنعوا بقوله : « قل للروح من أمر ربي » ولشغبوا وتردوا إذ ذاك
شغلهم ومادتهم وإرادتهم ، فثبت أن السؤال إنما كان عن الشيء من أين هو بدليل الجواب
والبيان الظاهر الشافي بقوله :

« قل للروح من أمر ربي . » إذ الرسول عالم بما سألوا عنه فأجاب عن الله بذلك كما
تقول آدم نسألك عنه وفهم المسئول للسؤال فقال : آدم من تراب ، فإذا رضى الجواب
قنع وليس يرجع العدو إلا بفهم عظيم من الحصن العظيم الذى لا مرد له .
فكيف يزعم الزاعم أنه لا يعرف ولا يجوز أن يعرف .

فقد أوجب الله علينا معرفته ولا مثيل له ولو ، ضيعناها لكنا كفاراً أو عصاة ،
فكيف بموجود مخلوق أمثاله كثيرة . هذا عين الجهل أن يقال لا يجوز أن يعرف من له
المثال والنظير وهو الروح ، ويوجب معرفة من لا شبيه له ولا نظير . فتعوز بالله من
جهل الجاهلين وظلم الظالمين .

والذى أقول به إن الله أسراراً لا يسع فيها الرسم . ولا يليق بها الکتيم . أن لا ترسم
في الدواوين لعمى البصائر وضعفاء النجائر . ولا يليق بها الکتيم ، لوضوحها وشدة
ظهورها . فلا تعبان بهم مع كثرة حججهم وذل للحض ، واخضع له فيها هم فيه .
وأعرض عنهم فيما لا علم لهم به . وقد أمر الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ بالإفتداء
بإبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام ، وهو الفاضل الذى لا يصل إليه أحد .

فإنه حرام عليك ، فإن الزمان كما أظلم طراب العلماء بكثرة السرج العلمية ، ابيضوا
هلي الناس بها ، ولو في حال مماتهم لارحظ فقط وما على الواعظ من نسيانهم للوعظ إذا

ويقول قد شاركتم في النبوة والرسالة والمداية والأمور الطارئة على النفوس
والأبدان والقلوب والأرواح ، واقتد بهم فيما فيه الشركة وما خصصنا به : فقينا وإلينا ،
كذلك أيضاً من فهم هذا السر بها وأن لله مع عامة المؤمنين ومع أوساطهم ومع الأعلين
وفارقهم فيما هو خاص بالمخصوصين .

فإن تكن منهم فازدد بملك وعملك فقرا إلى الله وتواضعا لمباده . واعطف بالرحمة
على عامة المؤمنين وإن كانوا ظالمين إلا حيث أسرك الله بالغلظة . عليهم مع الدعاء الصالح
والدفع عنهم » اهـ .

وأظن أنه لا غرابة بعد هذا في أن يروى ابن كثير - كما يذكر صاحب المفاخر - أن
الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان يحضر مجلس الأستاذ أبي الحسن فيسمع تقريره
للحقائق ويشاهد حسن إفصاحه عن العلم اللدني فعند ذلك يحصل له وارد من جانب الحق
وبركته على قدميه طربا مع المريدين ، ويقول : (تأملوا هذا التقرير فإنه قريب من ربه) اهـ
ولقد لمس المؤرخون لأبي الحسن والشعراء المادحون له هذا الجانب العلمي عنده ،
ورأوا ما فيه من اصالة وعمق ، فأشاروا به . ومن هؤلاء الإمام البوصيري صاحب البردة
الذي يصفه في قصيدة يمدحه بها بأنه : « بحر العلم » .

أما ابن الملق فيقول عن أبي الحسن :

لقد كان بحرأ في الشرائع راسخا ولا سيما علم للفرائض والسنن
ومن منهل التوحيد عب وارتوى فله كم روى قلوبا بها عن
وجاز علوما ليس تخص لكاتب وهل تحصر الكتاب ما جاز من فنن
وقد سبق أن ذكرنا ما قاله ابن عطاء الله السكندري في وصف هذا الجانب العلمي .
وما من شك في أن أبا الحسن :

(كان عالما عارفا بالعلوم الظاهرة ، جامعا لدقائق فنونها ، ودفنتها لأبكار المعاني
وعيونها من : حديث ، وتفسير ، وفقه ، وأصول ، ونحو صرف ولغة ومعقول وحكمة ، وآداب .
وأما علوم المعارف الإلاهية : فقطب رحاها ، وشمس ضحاها) ونظم هذا الجانب العلمي
عند أبي الحسن بقول صاحب المفاخر العلمية عنه : (وهو صاحب الإشارات العلية
والعبارات السنية ، جاء في طريق القوم بالأسلوب العجيب والمنهج الغريب الذي جمع بين

فارقوا مجلسه من شيء قال الله تعالى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ، ولكن ذكري لعلمهم يتقون ^(١)) .

وسمعت سيدي عبد القادر الدشوطي رحمه الله تعالى يقول :

لا يجوز لمن أودعه الله علما وعقلا وفهما وبصيرة في الدين أن يكتنم ذلك عن الناس الخائرين إلا بعذر شرعي بل الواجب عليه دعوة الخلق إلى سلوك طريق الحق ، فيرشد الضال ، ويهدي الجاهل ، وينذر العالم ، ويحذر العارف انتهى .

قلت : قول الشيخ إلا بعذر يقع فيه بعض العلماء ، والجمهور على وجوب النصيحة والإرشاد ، وإن علم أن المحل غير قابل إما بالقرائن أو بالكشف قال تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ^(٢) » ، وما ورد في الآيات من الإهراض عن الكفار إن لم يجد الداعي إلى الله تعالى أمارات القبول منسوخ والله سبحانه أعلم .
وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول :

من قال : إن الوعظ بدعة فهو المبتدع ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يذكر أصحابه ، ويخوفهم ، ويأمر بعضهم أن يقرأ عليه القرآن ، ويبسكي في مجلسه ، ويدعون له ، ويدعوا لهم ، ولم يزل العمل بهذه السنة في المدينة والأمصار .

وسمعت أخى الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

من قال إن الوعظ بدعة ، فراده بذلك التسمية فيقول ذكري ولا يقول وعظ لأنه لم

للعلم والحال ، أو الهمة والمقال ووتخرج بصحبته جماعة من الأكابر مثل أبي العباس المرسى وأبي العزائم ماضى وغيرهم وتلمذ له أعيان كثيرة من أعيان أهل الله تعالى .

ويقول شارح القاموس المحيط ، السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس : (ومن كان يحضر مجلسه العز بن بن عبد السلام وابن دقيق العيد وناهيك بهما والحافظ المنذرى ، وابن الحاجب ، وابن الصلاح ، وابن عصفور وغيرهم بالكاملية بالقاهرة) .

(١) سورة الأنعام آية : ٦٩ (٢) سورة الكهف آية : ٢٩ .

يرد ومن أنكر الذكري فهو جاهل لأنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ، وقد ورد أنه كان لعبد الله بن رواحه مجلس على عهد رسول الله ﷺ يذكر الناس فيه إذا انصرف النبي ﷺ ولم يزل الأمر على ذلك بين الخلفاء الراشدين إلى عصر سيدي أحمد الزاهد إلى عصرنا هذا لكن كان سيدي أحمد الزاهد يخص النساء بوعظه دين الرجال ، ويقول : إنهن مخدرات في البيوت لا يجالسن الرجال في دروس العلم ، ولا يخالطن الرجال من طلبة العلم بخلاف الذكر انتهى .

وثبت أيضا أن عمر بن الخطاب أذن لتيم الداري رضي الله عنهما أن يذكر الناس ، وكان عمر يجلس إليه في مجلسه ذلك ، وأذن عثمان لسكب رضي الله عنهما أن يذكر الناس ، وبعث عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود إلى أهل الكوفة لينذركمهم ويعلمهم أحكام دينهم وكذلك بعث أباهريرة إلى البحرين ، والأندلس في جماعة يسكنون تعدادهم لكن ينبغي لكل واعظ وكل مذكر أن لا يعظ أحدا ، ولا يذكره إلا بعد عمله بما وعظ الناس به ، وذكريهم به ، ولينأمل في قول خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنتمكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ^(١)) .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

ينبغي لكل داع إلى الله تعالى في طريق الظاهر والباطن من المدرسين والمسلمين أن لا يصدر لذلك إلا بعد تضلعه من علوم الكتاب والسنة ، ومعرفة أقوال العلماء ، وآدابهم ومعرفة المعاني والإسناد وبعد عرضه نفسه بين الجنة والنار في كل منطوق وبعد علمه أنه مسئول عن كلامه ماذا أراد به ويستعمل بالجواب عن ذلك يوم القيامة فلا يتكلم بكلمة إلا مع علمه بأنه بعين الله عز وجل في كل همة وطرفه ومسر وعلانية ويقبح علي من يعظ الناس أن يكون مرتكباً أمراً يخالف ما يدهوا إليه انتهى .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول :

ينبغي لداعى إلى الله تعالى أن يكون حكيم زمانه ، فيدعوا كل صنف من الناس
من طريقهم اللائق بهم .

فيدعوا للملوك والأغنياء ، وأهل الاغترار من طريق الخوف والانتقام .

ويدعوا الفقراء من طريق الصبر ، والرجا .

ويدعوا أهل العافية والسلامة من طريق الإيثار والشكر على النعم .

ويدعوا أهل البلايا والحن من طريق الصبر وحسن الظن بالله تعالى .

ويدعوا العلماء من طريق خوف المبكر والاستدراج .

ويدعوا الجهال من طريق فرض العلم والقيام بالواجبات .

ويدعوا المرابين من طريق المجاهدة للنفس ، ومفظ الجوارح من الآثام .

ويدعوا المتوسطين من طريق مخالفة الهوى ، والهروب من الحفظ .

ويدعوا العارفين من طريق الحياء من الله تعالى .

ويدعوا الصديقين من طريق الإجلال والتعظيم ، فيذكر كل قاصد من طريقه ،

ومخاطبة عقله من موضع عقله عملاً بحديث « أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم »

وهذا يقتضى أنه لا يلغى أن يعظ الناس إلا أكابر الأولياء فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يشهدوا فضل الفقير إذا قبل منهم صدقة ويروا له اليد العليا عليهم
عكس ما يشهد به غيرهم ، فإنهم يشهدون ببادي الرأي فضلهم على الفقير ، ويقولون :
الحمد لله الذي جعلنا نعطي ولا نحتاج إلى أحد .

وهذا المشهد وإن كان نفيسا فالأول أنفس منه .

وكذلك من أخلاقهم استقلال ما أعطوه ، وتعظيم ما أخذوه ، فإذا تصدقوا بألف
دينار ، فهي عندهم ، كالخصاة ، وإذا أخذوا بأقله مسوسة كانت عندهم كالجبل العظيم .
وهذا الخلق غريب في قراء هذا الزمان بل ربما تصدق أحدهم بصدقة ، فتبعتها
نفسه ، وصار يتحدث بها زمانا ، ولو أن أحدهم كان مخلصا لم يتكلم بمثل ذلك ،
واكتفى بعلم الله عز وجل لأن المخلص لا يعامل إلا الله عز وجل .

وقد قالوا الفقراء كالمملوك لا يستكثرون لهم عطاء .

ولذلك ورد مرفوعا في أبي داود (لا تسألوا الناس شيئا وإن كان أحدكم ولا بد سائلا
فلا يسأل الصالحين أو ذا سلطان) انتهى ؛ أي لأن الصالحين والمملوك لا يعتنون بما أعطوه ،
لشرف نفوسهم ، وحقارة الدنيا في أعينهم .

فعلم أن الأجر والثواب مركب من وجود المعطي ، والأخذ ، والحمل منهما الفضل
على صاحبه .

وقد بسطنا القول في ذم السؤال وعلى فضل الإسرار بالصدقة في كتاب المنن الكبرى
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم تشوف نفوسهم إلى مكافأتهم على هديتهم لإخوانهم إذا
جاؤا من الحجاز أو الشام مثلا وأهدوا شيئا لإخوانهم

وإن علموا من أحد من أخوانهم المكافأة بعثوا يقولون له مع القاصد : قد حلف
فلان أن لا يقبل مكافأة من أحد من أخوانه في هذه السفرة ، وذلك حتى يدخل على
قلب أخيه الراحة ، ويريمه إن كان بخيلا من قوله : والله ما كان لي حاجة بما أهداه إلى
فلان ، وأنا حائر أن أكافيه بماذا ؟ .

وهذا الأمر قل من يتنبه له من المهدي والمهدي إليه .

فعلم أن كل فقير تلتفت نفسه إلى مقابلة على هديه فهو مدع كذاب ، وهو دنيأوى
خالص ، ولو عامل الله تعالى لم يطلب عبادته هديته عوضا ، وقد قالوا : من شكر المسافر
أهداؤه شيئا إذا رجع شكر السلامة ، فكيف يطلب مكافأة الناس له على ذلك ، ومنفعته
راجعة إليه هو والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم قطع برهم وحسنهم للناس إذا علموا الخير وكفروا بواسطتهم
ولم يروا لهم فضلاً عليهم بل يزدون في برهم واحسانهم إليهم
لأنهم يكفرونهم واسطتهم قد وفروا لهم الأجر أوزاد وهم قريبا من الله تعالى إن كانوا
عبيد الله تعالى بخلاف من يشكرهم ، ويمدحهم في المجالس ، فربما ذهب أجرهم
بذلك للدح .

فليستغنى كل من يعامل الله تعالى البر والإحسان إلى من كفر نعمته بطريقة الشرع ،
ثم إن المعبين لهم على العمل بهذا الخلق كونهم لا يرون لهم مع الله ملكا في الدارين فلا يرون
لهم فضلا على أحد إمامهم كالغلام الذي قال له سيده : اذهب بهذه الهدية إلى فلان ،
فالفضل للمهدي لا للغلام .

وايتأمل الذي قطع بره وحسنه عن ولده أو تلميذه مثلا نفسه في معاملة الحق تعالى له
كيف الحق تعالى يطعمه ، ويسقيه ويكسوه ليلا ونهارا ، وهو يعطيه وإذا خالف أى أمر
لا يقطع عنه بره ولا احسانه بل ربما فرغ من المعصية فوجد العيال قدهيؤاله اللحم
الضاني والدجاج وذوبوا له السكر في الأواني الصيني فالعاقل من يعامل عبيد الله تعالى
كما يعامله الله تعالى من الصفح والمغفرة وقد شفع الحق فقال عن سيدنا أبي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه في مسطح لما وقع في عائشة وخاضر مع أهل الادك بقوله تعالى :
﴿ ولأيمقروا ولأيصفحوا ﴾ (١) .

(١) وتنام الآية (ولا يأنل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليمقروا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله
غفور رحيم) سورة النور آية : ٢٢ .

هذا وقد وردت قصة الإفك في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بما يدرأ أى قول
سوء عن الرسول ﷺ والسيدة عائشة رضوان الله تعالى عليها يقول الله تعالى : إن الذين
جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل إمريء منهم ما
اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لو لا إذ معتموه ظن المؤمنون

فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : بلى أحب أن يغفر الله تعالى لى وأجرى على مسدح ما كان قطعه عنه من البر فافهم والحمد لله رب العالمين .

والؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفاك مبين ، لولا جاء وعليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولائك عند الله هم الكاذبون ، ولولا فضل الله عليكم ورحته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم ، إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم ءؤمنين ، ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحته وأن الله رءوف رحيم ، يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه يأسر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ، ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم .

وهذه الآيات نزلت فى السيدة عائشة دفاعاً عنها وبياناً لكذب هذا الحديث وصيانته لعرض الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن كثير : (إن الذين جاءوا بالإفاك عصبة منكم) أى جماعة منكم يعنى ما هو واحد ولا إثنان بل جماعة ، فكان المقدم فى هذه اللانة عبد بن أبى سلول رأس المنافقين ، فإنه كان يجمعه ويستوشبهه حتى دخل ذلك فى أذهان بعض المسلمين فنكلموا به وجوزوه آخرون منهم ، وبقى الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن .

أما بيان ما ورد فى الأحاديث من ذلك فيقول الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعائقة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله تعالى ، وكلهم قد حدثنى بطائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً : ذكروا أن عائشة رضى الله عنها

زوج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، قالت طائفة رضى الله عنها : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، وخرجت مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجى وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل ، فقامت حين آذن بالرحيل ، فشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلى ، فلمست صدرى فإذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتفت عدى فخبسنى إبتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونى ، فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيره الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه .

قالت : وكان للنساء إذ ذاك خفافا لم يثقن ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقمة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبشوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فسيمت منزلى الذى كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدونى فيرجعون إلى .

فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عيناي فتمت ، وكان صفوان ابن المعطل السلمي ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش ، فأدلى فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتانى فمررنى حين رآنى ، وقد كان رآنى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فغمرت وجهى بحجابى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها ، فانطلق يقودنى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى شأنى ، وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى سلول ، ففدنا المدينة ، فاشتكى حين قد منها شهر اولئاس فيضون فى قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يرينى فى وجهى أنى لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذى أرى منه حين اشتكى ، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول (كيف تيكم) ؟

فذلك الذى يرينى ولا أشعر بالشعر ، حتى خرجت بعدما نكمت ، وخرجت معى أم مسطح قبل المناضع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول فى التزء فى البرية وكنا نأذى بالكنف أن

تتخذها في بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم ابن المطلب ابن عبد مناف ،
وأما ابنة صخر بن عامر خاله أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أنانة بن عباد بن
عبد المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل يتي حين فرغنا من شأننا ، فعترت
أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح .

فقلت لها : بأسماء قلت ، تسبين رجلا شهد بدرا ؟

فقالت : أي هتاء ألم تسمعي ما قال ؟

قلت : وماذا قال ؟

قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك .

فازددت مرضا إلى مرض ، فلما رجعت إلى يتي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم ثم قال : (كيف تبيكم ؟) .

فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبوي .

قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتبعن الخبر من قبلهما .

فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي .

فقلت لأمي : يا أمتاه لما يتحدث الناس به ؟

فقالت : أي بنية هونى عليك فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها
ضرائر إلا أكثرن عليها .

قالت : فقلت : سبحان الله وقد تحدث للناس بها ؟

فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، قالت :

فدما رسول الله ﷺ على ابن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي ،
يسألها ويستشيرها في فراق أهله .

قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براة أهله ،
وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال أسامة : يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيرا .

وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ،
وإن تسأل الجارية تصدقك .

قالت : فدما رسول الله ﷺ بريرة فقال : (أي بريرة هل رأيت من يربك من عائشة) ؟

فقلت له بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجبين أهلها فتأني الداجن فتأكله .

فقام رسول الله ﷺ من يومه ، فاستمذر من عبد الله بن أبي سلول .

قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : (يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى ، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خير وما كان يدخل على أهلى إلا معى) .

فقام سعد بن معاذ الأنصارى رضى الله عنه فقال :

أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الحزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

قالت : فقام سعد بن عباد وهو سيد الحزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتمائه الحمية ، فقال لسعد بن معاذ :

كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل .

فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عباد :

كذبت لعمر الله لنقتله ، فإنك منافق تجادل عن المنافق .

فتناور الحبيان الأوس والحزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر ،

فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ، وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : وبكيت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ، ولا أكنهل بنوم وأبرأى يظنان أن

البكاء فالق كبدى .

قالت : فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى إذ استأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت

لها فجلست تبكى معى ، فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس .

قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل ، وقد لبثت شهرا لا يوحى إليه فى شأنى شيء .

قالت : فتشهد رسول الله ﷺ بين جلس ، ثم قال : (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى .

هناك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت أئمت بذنب فاستغفرى الله

وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه) .

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة .

فقلت لأبى : أجب عنى رسول الله .

فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت لأمي : أحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن :

والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث - حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، قلتن قلتم لكم أني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني ، ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أني منه بريئة لصدقني ، فوالله ما أجدي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : (نصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) .

قالت : ثم تحولات فاضجعت على فراش ، قالت : وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة ، والله تعالى مبين براءتي ، ولكن والله ما كنت أعظ أن ينزل في شأني وحى ينزل ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في أمري ينزل ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد ، حتى أنزل الله تعالى على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من الدرق ، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه .

قالت : فسمي عن رسول الله ﷺ وهو يصحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال : (أبشري يا عائشة ، أما الله عز وجل فقد برأك) .

قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه .

فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي .

وأنزل الله عز وجل : (إن الذين جاءوا بالإلحاد طغية ، منهم) النضر آيات الأولى كلها : فلما أنزل الله هذا في براءتي قل أبو بكر رضى الله عنه ، وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقراهته منه وفقره : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قل لعائشة ، فأنزل الله تعالى : (ولا تأتوا أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى - إلى قوله - ألا نحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) .

فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي
كان يتفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .
قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمرى
فقال : (يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟) .
فقالت : يا رسول الله أحى سمى وبصرى والله ما علمت إلا خيراً .
قالت عائشة : وهى التى كانت تسامين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فوصفها الله
تعالى بالورع ؛ وطفقت أختها حنة بنت جحش نحارب لما فهاكت فيمن هلك .
قال ابن شهاب : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط ، أخرجه البخاري
ومسلم في صحيحهما من حديث الزهري .

ومن أخلاقهم الرحمة والشفقة على من كان على التقوى من أصحابهم ثم
بدل وغير وصار فاسقا شريرا يستعبد الناس من شره

فإن أحوج ما يكون إليك أخوك إذا عثرت دابته .
فإذا الأحوج أولى بالرحمة منك من المستقيم لعدم حاجة المستقيم إلى من يأخذ بيده .
وهذا الخلق من أعظم أخلاق الفقراء الصادقين .

وأما الكاذبون ، فربما مقتوا من غير وبدل ، ونفروا منهم ، ومن أصحابهم كل
التنفير ، حتى صار يحط في الشيخ ، وفي أصحابه هذا كل من رآه عن سبب مفارقتهم لهم
ويقول : لو رأينا منهم خيرا ما فارقناهم ، فيهلك نفسه بالزكية لنفسه ، والتنقيص لشيخته
وأصحابه ثم يرجع إلى ذلك على الشيخ وأصحابه لقله سياستهم .
وقد بسطنا الكلام على ذلك في المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم طيب نفوسهم بإعطاء القط أو الكلب ورك الدجاجة
أو قطعة اللحم إذا وقف ينظر إليهم وهم يأكلون

لا سيما إن كان للهرة أو السكابة أولادا صغار ، فإنها تحتاج إلى ما يكثر لبنها لأجل
كفاية أولادها وفي الحديث : « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » .

وكذلك من أخلاقهم أن لا يتبعوا الهرة أو الكلب إذا خذف الأوزة أو الدجاجة
المحمرة ، ويرون أن تلك الدجاجة إذا أرحبو الهرة أو السكابة مثلا لا تجبى كفارة لأربابها
ثم إنهم يرجعون بعد ذلك على أنفسهم باللوم ويقولون لها لولا معرفة الهرة بمخاك وعدم
افتقادها كلما وقفت بين يديك وأنت تأكلين ما خطفنت شيئا فاللوم عليك لا على الهرة .
فعليك يا أخى الإحسان إلى الحيوان حتى النمل بالطريق الشرعى ، فإنه ما أقام عندك
الا يرجو إحسانك وعطفك إليه .

فأرم للهرة أو الكلب شيئا منه ، وخل لها على المظام بعض لحم وحقق ظمها
فيك الخير .

ثم إن أولى الناس بالعمل بهذا الخلق الفقراء ، وحمله القرآن لأنهم قدوة للناس^(١)
والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول رسول الله ﷺ : (إنما أنا رحمة من مهداة) ولهذا تعتبر الرحمة من أهم
أهداف الرسالة الإسلامية ، وقد تمثلت في سيدنا رسول الله ﷺ تمثلا كاملا ، وما كان
قول الله سبحانه وتعالى عنه بدعا من القول عندما خاطبه قائلا : (وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين) .

لقد شملت رحمة رسول الله ﷺ كل العوالم التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، ولم تقتصر
على الأهل والأصدقاء كما هو المعتاد بل لم تقتصر على بنى الإنسان فحسب بل تعدت رحمته
إلى الحيوان كذلك .

والله سبحانه وتعالى الذى يصف نفسه بالرحمة فى كل شيء كما ترى ذلك فى مفتتح كل
سورة (بسم الله الرحمن الرحيم) بل وفى مفتتح كل شيء (بسم الله الرحمن الرحيم) .

يقول عنه : (وكان بالمؤمنين رحيمًا) .

والله : (خير الراحمين) .

وهو سبحانه (خير الغافرين) .

والله سبحانه وتعالى : (كتب على نفسه الرحمة) ويطلب الله سبحانه وتعالى ألا تنقطع

من رحمته : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) .

أما إذا قنط الإنسان من رحمة ربه فإنه يكون من الضالين :

قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون .

إن الله سبحانه يصف نفسه بالرحمة في أكل معانيها فكان رسوله الذي اختاره هداية

للعالمين بمنزلة الرحمة في أكل معانيها أيضا .

يقول رسول الله ﷺ وسلم مخبرا عن نفسه (إنما أنا رحمة مهداة) .

ويروى الإمام مسلم في صحيحه : قيل يا رسول الله أَدْعُ عَلَى الْمَشْرِكِينَ ، قال : (إني لم

أبش لمانا وإنما بشت رحمة) .

والواقع أن النبي يمثل هذه الصفة في سيدنا رسول الله ﷺ أصدق تمثيل قول السيدة

خديجة رضوان الله عليها لسيدنا رسول الله ﷺ - فيما رواه البخاري : (إنك لتصل

الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب الممدوم ، وتقرى الضيف وتمين على نوائب الحق) .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه رحيمًا بالصغار :

(رأى أحد الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل أحد أحفاده فقال باستغراب :

أتقبلون أبناءكم ؟ إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم قط .

فأفهمه صلى الله عليه وسلم باستهجان أن الله قد نزع الرحمة من قلبه) .

وكان صلوات الله وسلامه عليه رحمة بالحيوان :

(مر رسول الله ﷺ على بستان رجل من الأنصار فدخل فإذا جبل يئن وتذرف

عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فسح عليه فسكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : من وب هذا الجمل ؟ .

فجاء قتي من الأنصار فقال : هذا لي يا رسول الله .

فقال له : ألا تتقى الله عز وجل في هذه البهيمة التي ملكك الله ؟ إنك تهجمه وتؤديه .
فخجل الأنصارى .

على أنه إذا كانت هذه صفات سيدنا رسول الله ﷺ بالنسبة للرحمة في شخصه فإن رسول الله ﷺ كان رحمة مهداة للعالمين ، كان يحث على الرحمة ويدعو إليها وما كان قول الله تعالى عنه : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) جزافا من القول ، فإن هديه ﷺ بالنسبة للرحمة كان مستمرا في كل وقت وفي كل حين .

في بعض المرات كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث القوم عن الرحمة ويحث عليها فقال له بعض أصحابه إنا نرحم أزواجنا وأولادنا وأهلينا .
ولكن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أن هذا الفهم قاصر عن الصورة التي يريدونها فعقب عليهم بقوله :

ما هذا أريد إنما أريد الرحمة العامة .

إنه يريد أن تغلغل الرحمة في كيانهم حتى تصبح طبيعتهم في حد ذاتها .
ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في حديث قدسى : « اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي فأني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأني جعلت فيهم سخطي » .
ويقول صلوات الله وسلامه عليه : لا تزع الرحمة إلا من شقي » .
ويقول : الراحمون يرحمهم الرحمن .

ومن أخلاقهم حضورهم بقلوبهم مع الله تعالى حال أكلهم وشربهم
وشهودهم أن ذلك من جملة فضل الله تعالى عليهم ، وأنهم لا يستحقون شيئاً من ذلك
ذرة بل لا يقومون بواجب حقه تعالى لو سفوا الرماد .

ثم إن وقع أن أحداً منهم أكل أو شرب غافلاً استغفر الله تعالى .
وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

ما أسبغ الله تعالى علينا النعم بالأصالة إلا ليجمع قلوبنا عليه ، ونراه هو المحسن
الحقيقي ، فلا نعمل على أحد من خلقه ، فن لم يحضر مع الله تعالى بقلبه ، فقد أخطأ
الطريق ، وربما حول الله تعالى عنه النعمة ، وأنزل به ما يـوءه ، ليرجع إليه قال الله
تعالى (وبلوكم بهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون)^(١)

وسمعت سيدي على الخواص رحمه الله أيضاً يقول :

الطعام كالصلاة في حضور القلب مع الله تعالى ، وكفى بالمرء كفراناً أن لا يحضر بقلبه
بين يدي من أحسن إليه .

وسمته أيضاً يقول : ما واطب أحد على الحضور في أكله وشربه إلا أضر له ذلك
القناعة والرضا من الله في الدنيا .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم تكدرهم ممن ذهبوا إلى زيارته فلم يأذن لهم في
الدخول عملاً بقوله تعالى « وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا
هو أمركم لكم ^(١) »

فشىء جعله الحق تعالى أركى لهم كيف يليق بمؤمن أن يتكدر منه .
وهذا الخلق لا يكون إلا لمن كملت رياضة نفسه ، حتى لم يضر يرى أحداً دونه في قلة

(١) وتام الآيات : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنوا
وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم : إن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركى لكم والله بما تعملون عليم ، ليس
عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون »
الآيات ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ من سورة النور .

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات : هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده
للؤمنين ، وذلك في استئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي يستأذنوا .
قبل الدخول ويسلموا بعده ، وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات ، فإن أذن له وإلا انصرف ،
كما ثبت في الصحيح . أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً ، فلم يؤذن له انصرف ،
ثم قال عمر : ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ائذنوا له .

فطلبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال : ما أرجعك ؟ قال : إني استأذنت
ثلاثاً فلم يؤذن لي ، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً
فلم يؤذن له فلينصرف » .

فقال عمر : لتأنيني على هذا بينة وإلا أوجعتك ضرباً ، فذهب إلى ملا من الأنصار
فذكر لهم ما قال عمر ، فقالوا : لا يشهد لك إلا أصغرنا ، فقام معه أبو سعيد الخدري
فأخبر عمر بذلك ، فقال : ألمأني عنه الصنق بالأسواق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبر عمر عن ثابت عن أنس أو غيره أن النبي
صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عباد فقال : « للسلام عليكم ورحمة الله » .

فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله ، ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم
ثلاثاً ورد عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتبه سعد فقال :

الدين ، وأما من لم يرض نفسه فمن لازمه غالبا التكدير ، ولا يكاد يتذكر قول الله تعالى
أن ذلك أزكى له أبدا .

وربما رجع يهجو صاحب الدار ويقول : أنا الظالم الذى أمتشى إلى مثل فلان .
وكل ذلك جهل كما وضحناء فى كتاب المهن الوسطى والحمد لله العالمين .

يا رسول الله بابى أنت وأمى ما سلمت تسليمة إلا وهى بإذنى ؛ ولقد رددت عليك السلام
ولم أسمعك ، وأردت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ، ثم أدخله البيت فقرب إليه زيباء
فأكل نبي الله فلما فرغ قال « أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة وأفطر
عندكم الصائمون » .

ومن أخلاقهم هدم دق الباب على أخيهما الا لضرورة شرعية

عملا بقوله تعالى : (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم)^(١)
وهو وإن ورد في رفع الصوت من وراء الحجرات فدق الباب مثله .

بل وربما كان المقصود بالزيارة في حضور قلب مع الله تعالى في حضرة خشعت فيها الأصوات ، فيكون دق الباب هلى ذلك الفقير أشد من ضربه بالسيف كما جربنا ذلك .
وكثيرا ما يضيق وقت الفقير عليه ، فلا يصبر يقدر على لقاء أحد من الخلق إلا

(١) وتنام الآيات : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ، إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أو تلك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ، إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) الآيات : ٢-٣-٤-٥ من سورة الحجرات قوله تعالى : (لا ترفعوا أصواتكم) في سبب نزولها قولان .

القول الأول : أن أبا بكر وعمر رفعاً أصواتهما فنزلت وهذا قول ابن أبي مليكة .

وقد روى البخارى في صحيحه ٤٥٢/٨ باب (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي .) الآية من حديث نافع عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بنى نعيم ، فأشار أحدهما بالافتراع بن حابس أخى بن مجاشع وأشار الآخر برجل ، آخر ، قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي ، قال : ما أردت خلافتك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ...) الآية قال ابن الزبير : فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ، يعنى أبا بكر . ١٠٠ .

وفى رواية للترمذى : وما ذكر ابن الزبير جده وفى رواية للطبري . وما ذكر ابن الزبير جده يعنى أبا بكر . ١٠٠ .

والحديث أورده السيوطى فى الدر ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر ، والطبرانى عن ابن أبي مليكة .

القول الثانى : أنها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس ، وكان جمهورى الصوت ، وربما كان إذا تكلم تأذى رسول الله ﷺ بصوته) قاله مقاتل .

بتكليف زائد ، فإن أقبل عل الخلق وأعطاهم حظهم من الإقبال ضر نفسه ، وفرق جمعيته وإن لم يقبل عليهم فربما مزقوا عرضه ، فزق الله تعالى أديانهم بل نفس تمزيق عرض أخيمهم تمزيق لأديانهم .

فينبغي للإنسان أن يحمل من لم يجبه من داخل الدار على أحسن المحامل ، فربما كان له ضرورة لا يقدر على إفشائها .

ثم من علامته أن له ضرورة هدم خروجه إلى صلاة الجماعة أو الورد مثلاً والحمد لله رب العالمين .

ورواه الواحدى فى (أسباب النزول) ٢١٨ بغير سند ، ولم يعزه لأحد . وحديث ثابت بن قيس بن شماس رواه البخارى فى (صحيحه) ٤٥ / ٨ من حديث موسى بن أنس ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ افتقد ثابت ابن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده جالسا فى بيته منكسا رأسه ، فقال له : ما شأنك فقال : شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار ، فاتى الرجل للنبى ﷺ فأخبره أنه قال كذا ، كذا ، فقال موسى (يعنى بن أنس) فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : « اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة » ورواه مسلم من رواية حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، وأورده السيوطى فى الدر ٨٤ / ٦ وزاد نسبه لأحمد ، وأبى يعلى فى معجم الصحابة وابن المنذر والطيرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

وسبب نزول « إن الذين يفضون أصواتهم » أنه لما نزل « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » قال أبو بكر الصديق : يا رسول الله آليت ألا أكلمك إلا كاخى السرار حتى ألقى الله .

قال الحافظ بن حجر فى تخرىج الكشاف وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق طارق بن شهاب عن أبى بكر قال . وروى الرواية السابقة .

قال : وأخرجه الحاكم والبيهقى فى المدخل من حديث أبى هريرة قال : لما نزلت « الذين يفضون . . . » الآية قال أبو بكر : والذى أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كاخى السرار حتى ألقى الله عز وجل ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

ومن أخلاقهم : صحة توجههم إلى الله تعالى في دفع الدنيا عنهم كلما أقبلت

المتعبد عليهم من الأمراء ، والأكابر وخدمومهم ، وأهدرا لهم الهدايا ، والتعفف ،
وذلك خوفا أن يكون ذلك حظهم من الأعمال الصالحة .
وقد دخل بعض الصحابة على سيدى رسول الله ﷺ فرأوه يدفع شيئا عن نفسه
ولا يرى أحدا

فقال : يا رسول الله هذا ؟

فقال : الدنيا تطاولت لى فقلت لها : إليك عنى رواء البيهقى انتهى .

وهذا خلق غريب فى هذا الزمان وربما أدعاه أحد بغير حق ، فليمتحن الناصح
لنفسه نفسه بما لو أوصى له شخص بألف دينار مثلا ، فجاء شخص من أعدائه وقال الموصى
هذا شخص فاسق لا يستحق شيئا من ذلك ، وحى اسمه ، وأعطى الألف لأحد من أقرانه
فإن انشراح صدره لذلك ، فهو صادق فى الزهد فى الدنيا ، وإن تكدرت منه شعرة ،
فهو كاذب .

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

كل من لم يزدد محبة فيمن صد عنه الدنيا وأهلها فهو نصاب شيطان انتهى .
وقد وقع لأخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى إن شخصا أوصى له بمائة دينار
وكتب اسمه فى الوصية .

فقال لى : إن رددتها أورثنى ذلك العظيم فى الدنيا وإن قبلتها صار على حسابها
وايكن قل معى يا الله اجعل صاحبها يحولها عنى من ذات نفسه ويعطيها لغيرى فبعد ساعة
جاء شخص وقال له : إن صاحب الوصية حولها إلى غيرك فقال أخى : الحمد لله على ذلك
لو كان أخى المذكور منفعل فى الزهد ما قدر على توجه قلبه إلى محبة تحويل الدنيا عنه
أبدا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافتهم تنبيه الحق تعالى ما يأكلونه من الحرام بعلامات
يعرفهم إياها

فياخذوا في النية إن أمكنهم والا أخذوا في التوبة والاستغفار .

ومن العلامات أن يكون للشرع على ذلك الطعام إعتراض من حيث وضع اليد عليه
ومنها وجود الظلمة في قلوبهم ، والثقل في طبيعتهم ، حتى كأن أحدهم أكل رصاصا .
ومنها أن يقوم أحدهم من النوم ، فيمكث ساجدة حتى يستنفذ كما يقع لمن يأكل الربا
ومنها أن تتعب نفوسهم من أكله فيتقيؤوه قهرا عليهم من خير معالجة ، ويقع لى ذلك
كثيرا لما آكل من طعام المباشرين فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم كثرة الخوف من أكل الحرام والشبهات

خلاف ما عليه طائفة من مشايخ هذا الزمان فقد رأيت شخصا منهم يفطر عند مكاس في رمضان وهذا لا يليق بمن جملة الله تعالى قدوة للناس في هذا الزمان ولما حدثته في ذلك فكان من جوابه البحر لا يسكدره الدلاء ولا ينجسه بول حمار فعلت أنه بحاله هذا مفتون ولو أنه كان شمس رائحة طريق أهل الله تعالى لم ينطق بمثل ذلك .

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه تعالى يقول : للقامة الحرام أو الشربة أثر عظيم في قلوب الآكلين بحسب مراتبهم .

فأثرها في قلوب العوام وقوعهم في أعمال مذمومة لم يكن لهم عادة بفعلها .

وأثرها في طلبة العلم ، والمريد بن قسوة في القاب ، وثقل في الطبيعة .

وأثرها في للتوسطين غفلتهم عما يعود عليهم نفعه من مصالح للدارين .

وأثرها في السكاملين كثرة الخواطر التي لا منفعة فيها لهم .

وأثرها في السكاملين منعهم من دخول حضرة الله تعالى بقلوبهم بصلاة أو غيرها .

وأثرها في القطب والامامين ، والأوتاد ، والأبدال أمور يذوقونها ، ويستغفرون

الله تعالى منها

فإياك يا أخى ، وترك التورع ، ثم إياك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يقولوا بتوجه تام كلما قدم لهم طعام يخافون أن
يكون فيه شبهة

الاهم ليحسنا من الأكل من هذا الطعام ، فإن لم تحمنا فلا تجعله يقيم في بطوننا ، وإن
جعلته يقيم في بطوننا ، فاحسنا من الوقوع في المعاصي التي تنشأ من أكل الحرام عادة ،
فإن لم تحمنا من المعاصي ، فاقبل استغفارنا ، وتب علينا من ذلك ، وأرض عنا : أصحاب
النبعات التي في هذا الطعام في نفس الأمر ، فإن لم ترضهم عنا ، فاهف عنا ، فإن لم تعف
عنا ، فصبرنا على العذاب يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم هدم أطعمهم الضيف شيئا فيه شبهة

فإن الله تعالى لم يكلف أحدا أن يضيف الا من الحلال .

ولو قدر أن الضيف يطلب الضيافة من الشبهات لا يجيبونه إلى ذلك كما لا يجيب الولي

الطفل إلى كل ماهرة إليه نفسه مما يضر بدنه أو دينه .

فلم أنه لا ينبغي العتب على فقير في هذا الزمان من جهة هدم أطعمه الطعام للواردين

عليه ، وربما كان لا يرضى ذلك الطعام للواردين عليه .

ثم إن هذا الخلق لا يقدر على العمل به إلا من خرج عن الحياء الطبيعي وإلا فمن

لازمه غالبا إطعام الناس الحرام والشبهات كمدايا مشايخ العرب والكشاف لذلك الفقير

لاعتقادهم فيه الصلاح ، ونحو ذلك .

وقد كان سيدي على الخواص كثيرا ما يقدم للضيف الإبريق ويقول له :

إن شئت فاشرب فإنى لم أجده لك الآن شيئا حلالا أطعمك منه ، وربما أعطى الضيف

لقمة يابس ، أو ثمرة فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم هدم التفاخر بكثرة إطعامهم الطعام حبسا في نشر
الصيت بذلك

كما يقع فيه من يتمشيخ بغير شيخ ، فإن كثرة طعام الفقير تدل على قلة ورعه .
وقد رسمت مرة للنقيب حين جاءنا قصص كبار وقال لي :
مقصودنا علامة عليها لتعرف إذا سرقت .

فقلت له : أكتب عليها بالنار كبير التمع من قلة الورع ، فـكتبها فلم تزل تلك
الكتابة عليها ، حتى تسكرت ، فـكنت أتذكر فيها قلة ورعي كلما رأيتها . لأنه من
الطعام والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم تقليل الطعام جداً في رمضان لضعف
إرشاد الله إلى الخير ، ولو تسكدر هو من ذلك ، وذننا في المجالس لانتفت إليه ،
وذلك لأن سر الصوم ونوره في الجوع .
وكل من قدم لضعفه في رمضان قدر ما يقدم له أيام الفطر ، فقد أساء في حقه ، وهو
يحسب أنه يحسن صنعا .
فاشفق يا أخى على دين ضعيفك ، ولا تكن سبباً في نقصان أجره ، فإنه ولو خلك في
الدنيا سوف يمدحك في الآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم تكافهم للضيف

وذلك بأن يقدموا إليه مالا تتبعه نفوسهم مما دخل تحت يدهم ، فلا يذبحون دجاجة
زوجتهم ، ولا عناق خادهم مثلا ، ويقولون : نعوض عليكم ، فإن ذلك من التبرد
في الدين

وقد وقع أن سيدي عبد العزيز الديريني ذبح دجاجة زوجته لما زاره سيدي علي
المليجي^(١) فلما استوت وقدمها إليه سمع سيدي علي زوجة سيدي عبد العزيز تقول
ما كان لنا حاجة بهذا الذي أكل الدجاجة التي كانت تبيض الاولاد فتوجه سيدي علي إلى
الله تعالى وقال للدجاجة قومي بإذن الله تعالى فقامت حية وأخذ المرق ففت فيه الخبز
وأكتفى به وقال لسيدي عبد العزيز الديريني ألا يطعم فقير إلا بما ليس فيه شبهة تبعه
انتهى .

وأعلم يا أخي أن من (٢) يكره لقام وهرب ولو على طول .
ثم إن قدر أن نفس صاحب الدار طيبة بذلك ، فالعيال لا يطيقون المداومة على
الطبخ والمجبن والخبيز ، فيصير يكره زوجته مثلا على طبخ الطعام ، وهي داعية ساخنة
فلا يبارك إلا كل منه .
ثم إن أكثر ما يقع في مثل ذلك شيوخ البلاد وأولاد الفقراء الذين يطلبون نصيب
لأغراض دنيوية .

وقد بسطنا على ذلك في كتاب اليهود والحمد لله رب العالمين .

(١) هو سيدي علي المليجي رضى الله عنه : كان من أصحاب الشيخ أبو الفتح الواسطي
الذي كان من أصحاب سيدي أحمد الرفاعي فأشار إليه بالسفر إلى الإسكندرية فكان له
بها كثير من المريدين وكان سيدي علي المليجي معاصرا لسيدي أحمد البدوي رضى الله
عنه وكان سيدي أحمد البدوي إذا أرسل سيدي عبد العال في حاجة له يقول له : إذا وصلت
إلى جزور فاخلع نعلك فإن هناك خيام المليجي وذلك من عظم مقامه رضى الله عنه .

(٢) مطبوس من الأصل .

ومن أخلاقهم عدم الصلاة في ثوب اشتغل الخياط هن الصلاة بخياطته
مهما كان ذلك لأجل استعماله له أو كان من عادته ترك الصلاة .
وكذلك لا يصلون في ثوب بالغهم أن الخياط استعماله في حرام .
وقد وقع لي أن شخصا خاط لي جبة (^(١)) وخطنها عند غيره ثانيا
احتياطا للصلاة فيها .
ولم أر لهذا الخلق فعلا من أقراني إلا قليلا فالحمد لله رب العالمين .

(١) مغموس من الأصل .

ومن أخلاقهم هدم أعلامهم المعارف بما يريدون أن يعملوه من الولايم
فلا يعلمون إلا بعد طبخهم الطعام وذلك خوفا أن يتكلف أحد من معارفهم ،
ويساعدنهم بغير نية صالحة ، فيصير لهم المنة عليهم ، ولا يحصل للمساعد شيء من الأجر
وإن خافوا أن أحدا من النقباء يعلم بذلك المعارف أو صوره بالسكوت عن ذلك ،
وهذا مآدرج عليه السلف الصالح الذين أدركناهم خلاف ما عليه متصوفة هذا الزمان
فإذا أراد أحدكم أن يزوج ولده أو يخننه أو يعمل حقيقة أعلم بذلك سائر المعارف
والأمراء والتجار ومعلوم أن أعلام مثل هؤلاء سؤال في المساعدة عند كل عاقل ، وربما
تكلف أحدكم ، وأرسل بقرة ، أو خروفا ، أو عسلا ، أو أرزا ، أو سمنا ، أو حطباً ،
وصار طعاما مجمعا من حرام وحلال ، ثم يصير سيدى الشيخ يطعم الناس من ذلك وعليه
حسابه يوم القيامة ، وربما يرى لنفسه المنة بعد ذلك على من أكل مع أنه أنلف أديانهم
وسود بآطنتهم بذلك الطعام .

وكان سيدى على الخواص لا يحضر وليمة عملها فقير لا يكلفها ويقول :
إن هذا يأكل بدينه هذا إذا فعل الطعام من غير سؤال الناس لا يفوته المباشرين
ومشايخ العرب والكشاف بل رأيت من يبلى في عمل مولده من حمزة المشاعلى .
فالحمد لله الذى حمانا من مثل ذلك ، وقد علم مما قررناه أن كل من عمل له مولدا
وأخذ كلفته من الناس ، فهو نصاب شيطان مقتر كذاب لم يشم من طريق القوم رائحة
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم شهامة النفس واليقظة لكل ما يدخل جوفهم من طعام للربدين

ولا يأكلون إلا من طعام من يتورع منهم في كسبه ولو أنه غضب منهم لا يلتفتون إليه ولا لقوله كسر ثم خاطروا فإنه جاهل بمقام الأشياخ وهذا الخلق قل من يتمسك به من مشايخ هذا العصر بل رأيت من يأكل من طعام مريده المكاس وإذا سئل في ذلك قال : خفت أن أكسر خاطره ، وما هبب الحق تعالى بشيء أفضل من جبر الخواطر انتهى .

وهذا من الجمل بقواعد الشريعة ولا فرق حينئذ بينه وبين من عزم عليه شخص بأن يشرب معه الخمر فلو قال : إنما شررت جبرا لخاطره حددناه ، ولم تقبل له هذا ، وحسبنا بنفسه فالعاقل من وزن فعاله بالشريعة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم النداءى بإشارة كافر

خوفا أن يوافق ما وصفه الشفا ، فيحصل لهم الميل إليه ، فلا يصير أحدهم يقدر على
هداوته كما أمر الله تعالى وهذه نكته تخفى على كثير من الفقراء الساذجين .
وكانوا إذا لم يجد أحدهم طبيبا من المسلمين صبر واحتسب هذا مادرج عليه
السلف الصالح .

وسمى سيدى أبا السعود الجارحى رحمه الله يقول :

من كان يوفى باليهود فلا يستطب باليهود .

فياياك يا أخى أن تستطب بكافر ، فتقع فى الميل إليه فمرا عليك والحمد لله
رب العالمين

ومن أخلاقهم الرضى بالبلاء والنظر فى عاقبته

وفى الحكمة () (١) الحق تعالى فيه لأنه لا يخلوا إما أن يسكون .

عاقبه لذنب فيسكن البلاء تكفيرا له .

وإما رفع درجات .

فلا يخلوا البلاء عن واحدة منهم ولكل واحدة علامة .

فعلامة الابتلاء عقوبة على ذنب أن يشعر المذنب بالهم والقلق والسيخط .

وعلمة الابتلاء تكفيرا للذنب أن يصحبه الصبر .

وعلمة الابتلاء لرفع الدرجات أن يصحبه الرضى وانشرح الصدر حتى يتمنى دوامه

ثم إن هذه العلامات الثلاث تنوارد على الفقراء إذا لم يمحظوا من المعاصى فإن حفظوا

منها توارد عليهم العلامتان الباقيتان ماعدا الأولى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إذا دخلوا على مريض يعرّضونه أن يتحملوا عنه المرض
أو شيئاً منه من باب تعلق السبب على المسبب

والأفلا يصح لأحد أن يتحمل عن أحد ما قدره الحق تعالى عليه أبداً ، ويحمّله العايد
للمريض حقيقة ليس هو عين مرض المريض ، وإنما هو نظيره ، ومع ذلك فيؤجرون
عليه بالنية الحسنة ، كما يؤجر من عزم على فعل خير ، ثم لم يتم له ، فيعطيه الله تعالى
أجر لنية الحديث « إنما الأعمال بالنيات ^(١) » فإنه قال فيه « وإنما لكل امرئ ما
ماوى » وما قال وإنما لكل امرئ ما عمل .

وهذا ما درج عليه السلف الصالح خلاف ما عليه غالب فقراء هذا الزمان ، فيدخلون
على المريض ، ثم يخرجون من عنده ، ومرضه على حاله ما نقص منه شيء .

ومن أدركته من أهل هذا الخلق سيدي على الخواص ، وسيدي محمد بن عنان ،
والشيخ محمد العدل ، والشيخ عبد الحليم بن مصلح ، فكانوا إذا لم يقدرُوا على التحمل
يدعون له ، ولا يدخلون عليه ^(٢) .

(١) وتام الحديث : عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
ﷺ يقول « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدينه يصيبها أو امرأة ينكحها
فهمجرته إلى ما جرت إليه » رواه البخارى ومسلم .

(٢) قد يستغرب القارئ العزيز هذا الخلق بالنسبة لسادتنا الصوفية ولكننا نعتقد أن
هذا الاستغراب سيزول في الحال بقراءة متأنية للتعليق الذى اخترناه من كتاب المختار من
الأنوار فى صحبة الأخيار للإمام عبد الوهاب الشعرانى ومحقق الدكتور عبد الرحمن
حميرة والأستاذ طلع غنام حيث يبين لنا هذا الكتاب فضل الصحبة فى الله وأسايد الصوفية
لها من الكتاب والسنة وحقوق هذه الصحبة وشروطها بأبلغ بيان .
يقول الإمام الشعرانى :

اعلم وفقنى الله وإياك إلى ما يحب - : أن للصحبة فى الله تعالى من أوثق عرى الإسلام ،
ومن أكبر أبواب الخير ، وقد رغب العلماء فيها صلوا وخلفا .

وقد تقدم قريبا أنه لا ينبغي المبادرة إلى الدعاء للمريض برفع المرض عنه إلا بعد انتهائه سواء أكان مقربة أو كفارة أو رفع درجات لسن هذا خاص بأهل الكشف

وأما من حذر منها وقال : إن العزلة أقرب إلى السلامة من الآفات ، وأبعد من تحمل الحقوق في المخالطات وأجزأ للإشتغال بالطاعات ، فإن ذلك في حق المريد مادام قاصرا ، فإذا انتهى سلوكه وكمل حاله كان الأفضل في حقه « الخلطة » بل - « الخلطة » في حق مثل هذا واجبة كما قال بضمهم .

فعلم أنه لا يقال : العزلة أفضل مطلقا .

ثم لا يخفى أن حجة الأدنى للأعلى ليست بصحبة في الحقيقة وإنما هي تعليم وخدمة ، إذا صاحب الإنسان من هو يشرب من بحره ويحيط بمقامه .
فإطلاق الصحبة بين المريد والشيخ والصحابي والرسول عليه السلام ، إطلاق مجازي لاحتمال بقى .

إذا علمت ذلك ، فنورد عليك شيئا من الأخبار الواردة في فضل المتحابين في الله تعالى لأن القلب يقوى بالاطلاع على الدليل :

روى الشيخان في صحيحيهما : « سبعة يظلمهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : الإمام للمعاد ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معاق في المساجد .
ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه .

ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ! ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

وروى مسلم : « والذي نفسي بيده ! أن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا .. ولن تؤمنوا حتى تحابوا .

أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم .

وروى أيضا : « أن رجلا زار أخاه في قرية أخرى ، فأرصد الله على سرجة ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد .. ؟ .

قال : أريد أخا لي في هذه القرية .

قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أني أحبه في الله .

قال : فإني رسول الله إليك ، إن الله أحبك كما أحبته فيه .

النّام ، وأما من لا كشف عنده ، فيدهوا ، ويرجوا من الله تعالى الإجابة والحمد لله رب العالمين .

وروى ابن عساكر وغيره : « سبعة في ظل العرش » يوم لا ظل إلا ظله :
رجل ذكر الله ففاضت عيناه .
ورجل يحب عبد لا يحبه إلا الله .

ورجل قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياه : ورجل يعطي الصدقة يمينه فيكاد يخفيها عن شماله ، وإمام مقسط في رعيته ، ورجل عرضت عليه امرأة نفسها فتركها لجلال الله ، ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو ، فأنكشفوا ، فحمى آثارهم في حتى نجوا ونجا أو استشهد .

وروى البيهقي في الأسماء : (سبعة يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .
رجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله .
ورجلان نجا في الله .

ورجل غض عينيه عن محارم الله ، وعين حرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله)
وروى أيضاً في شعب الإيمان : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس »
وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة !
ومن كانت له درجة في الجنة فهو في الجنة) .

وروى أيضاً : رأس العقل بعد الإيمان للنسب إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر .
وروى الهارقي : (المؤمن يألف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) .
(وخير الناس أنفعهم للناس) .

وروى أبو داود : (من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان) .

وروى أيضاً : (أفضل الإيمان أن تحب الله وتبغض الله . وتستعمل لسانك في ذكر الله .
وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك . وأن تقول خيراً أو تصمت) .

وروى الإمام أحمد : (أن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي : ؟ اليوم أنظلم في ظلي) .

وروى أيضاً : (المؤمن الذى يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) •

وروى أيضاً : (إن أوثق عرى الاسلام أن تحب في الله وتبغض في الله) •
وروى أيضاً بسند صحيح : (إن المتحابين في الله لثرى غرفهم في الجنة كالكوكب المطالع الشرقى أو الغربى) •

فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله) •
وروى أيضاً : (أحب الأعمال إلى الله الحب في الله ، والبغض في الله) •
وروى أيضاً : (من سره أن يجد حلاوة الايمان فليحب المرء لا يحبه إلا الله) •
وروى الطبرانى : (رأس العقل بعد الايمان بالله التحبب إلى الناس) •
وروى أيضاً : (إن المتحابين في الله في ظل العرش) •
وروى أيضاً : (المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله) •
وروى أيضاً قول الله تعالى في الحديث القدسى (وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتباذلين في والمتزاورين في) •

وروى أيضاً : (لو أن عبيد تحابوا في الله ، واحد في المشرق وآخر في المغرب ، جمع الله بينهما يوم القيامة ، يقول : هذا الذى كنت تحبه فى) •
وروى أيضاً : « ماتحابا رجلان فى الله ، إلا يجلسهم يوم القيامة على منابر من نور ، ينشئ وجوههم النور ، حتى يفرغ من حساب الخلائق » •
وروى أيضاً : « من أحب قوما حشر فى زمرةم » •
وروى أيضاً : « المتحابون فى الله فى ظل الله ، يوم لا ظل إلا ظله ، على منابر من نور ، يفرع الناس ولا يفرعون » •

وروى أيضاً : « إن لله عبداً ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يبعثهم النبىون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله » •

قيل : من هم يارسول الله ؟

قال : ناس من بلدان شتى ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافحوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسهم عليها ، يفرع الناس ولا يفرعون » •

.

وروى أيضاً : « ليعلمن الله أقواما يوم القيامة في وجوههم للنور ، على منابر اللؤلؤ ، يغطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء !
قيل : من هم . . ؟

قال : المتحابون في الله ، من قبائل شتى ، وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله
يذكرونه .

وروى أيضاً : (إن في الجنة غرفا يرى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من
ظواهرها ، أعدها الله للمتحابين فيه ، والمزاورين فيه ، والمتبازلين فيه) .

وروى : (إن في الجنة لعمدا من يافوت عليها غرف من زبرجد ، لها أبواب مفتحة
تضيء كما يضيء السكوكب الدرى !

قال : قلنا يا رسول الله ، من يسكنها . . ؟

قال : المتحابون في الله ، والمتبازلون في الله والمتلاقون في الله)

وروى الترمذى - وقال : حديث حسن صحيح - : (قال الله تعالى : المتحابون في
جلالى لهم منابر من نور ، يغطهم النبيون والشهداء) .

وروى أيضاً : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . من كان الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما .

ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله .

ومن يسكره أن يعود في الكفر ، بعد أن أنقذه الله منه ، كما يسكره أن يقذف في النار)
وروى أيضاً : (المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)

وروى ابن النجار : (استكثروا من الإخوان ، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة) .

وروى الحكيم : (نظر الرجل لأخيه على شوق خير من اعتكاف في مسجدى هذا)

وروى ابن أبي الدنيا : (حقت محبة المتحابين في ، وأظلمهم في ظل العرش يوم

القيامة ، يوم لا ظل إلا ظلى)

وروى أيضاً : (ما أحدث رجل أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة) .

وروى أيضاً : (أصب بطامك من تحبه في الله) .

وروى الحاكم وغيره : « قال الله تعالى : للمتحابون في علي منابر ، ينبطونهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء » .

وروى البيهقي : « من أحب أن يمجّد طعم الإيمان فليحب للمرء لا يحبه إلا لله » .
وروى أيضاً : « إن الله تعالى يقول : إني لأهم بأهل الأرض عذاباً ، فإذا نظرت إلى عمار ييوني ، والمتحابين في والمستغفرين بالأسحار صرفت عذابى عنهم » .
والأخبار في فضل المتحابين كثيرة ونقتصر منها على هذا القدر .

آثار السلف الصالح في المتحابين

ونذكر لك شيئاً منها .

فمن « الحسن البصري » - رحمه الله - قال : « كل من اتبع طريقة طاعة الحق - تعالى - لزمته مودته ، ومن أحب رجلاً صالحاً فكانما أحب الله عز وجل » .

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : لولا محبة الأخيار ومناجاة الحق - تعالى - بالأسحار ما أحببت البقاء في هذه الدار .

وقال أيضاً : لقاء الإخوان ليس يعد له عندي شيء .

وقال مطرف بن الشخير : أوثق أعمالي عندي حب الرجل الصالح .

وقال أبو نصر بشر الحافي - رحمه الله - : عليك بصحبة الأخيار إن أردت الراحة في تلك الدار ، وتنفك من رق الأغيار .

وقال سيدي أحمد الرفاعي - رحمه الله - : مصاحبة أهل التقوى نعمة عظيمة ، من نعم الله على العبد :

وقال « أبو السعود بن أبي العشار » - رحمه الله - : من أراد أن يعطى الدرجة القصوى يوم القيامة فليصاحب في الله .

وقال شيخ الوفاة - رحمه الله - : لا تبع ذرة من الحب لله أو في الله بقناطر من الأعمال .

قال رسول الله - ﷺ - « المرء مع من أحب » .

وقال سيدي علي وفا : إذا أحببت أخاً في الله ، فاحفظه ، تزدد به ممن أحبته لأخيه .

وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلي - رحمه الله - : عليك بشكثير سواد القوم ، فإن من كثر سواد قوم فهو منهم .

وقال أيضاً : إذا رأيت نفسك معرضة عن أهل الله فاعلم أنك مطرود عن باب الله .
وقال أيضاً : عليك بصحبه الفقراء فإنه لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة ، مع ما يحملون عن أصحابهم في الدنيا من المصائب ، لكان في ذلك كفاية ، وكم استغنى بصحبتهم فقير ، وجبر كسير ، وارتفع وضيع ، وستر شنيع ، وهلك ظالم ، وارتفعت مظالم ، وفيهم ورد الحديث : « بهم ترزقون وتمطرون وترحمون » .

وقال الشيخ سليمان الحضيري - رحمه الله - من أراد أن يعطى الخير للكثير فليصاحب أهل للراقة .

وقال سيدي علي الخواص - رحمه الله - : من أراد أن يكلل إيمانه وأن يحسن ظنه فليصاحب الأخيار .

وقال سيدي أفضل الدين - رحمه الله - عليك بالود في الله فقد ورد أن الله يقول لعبده : هل واليت لي وليا أو طابت لي عدوا .

وقال أيضاً : من أراد أن يكون من أكابر أهل المقابر فليصاحب في الله .

قلت : يؤيده ما حكاه الياقعي في كتابه « روض الرياحين » عن بعض الأولياء قال : سألت الله تعالى أن يريني مقامات أهل المقابر ، فرأيت في ليلة من الليالي كأن القيامة قد قامت ، والقبور قد انشقت ، وإذا منهم النائم على السندس ، ومنهم النائم على الحرير والديباج ، ومنهم النائم على الريحان ، ومنهم النائم على السرر ، ومنهم الضاحك ، ومنهم الباكي .

قال : فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة ؟

فنادى مناد من أهل القبور : يا فلان ، هذه منازل الأعمال أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن ، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء ، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون ، وأما أصحاب الضحك فهم الثابتون ، وأما أصحاب البسكاء فهم المذنبون ، وأما أصحاب المراتب فهم المتحابون في الله تعالى .

قال الياقعي : هكذا ذكر في الأصل الذي نقلت منه ، أعني فسر أصحاب المراتب ، ولم يتقدم للمراتب ذكر ، وتقدم ذكر السرر ولم يفسر أصحابها ، فلملحه أراد بالمراتب

.

السمر المتقدم ذكرها ، لأن حقيقة المراتب هي المناصب الشريفة ، والمقامات العالية المتبعة .
ولاشك أن أصحاب السمر أشرف مرتبة وأعلى منزلة عن على الأرض ، وإن كان أهل
المراتب يجلسون على الحرير وغيره مع السمر المذكورة المعدة للإكرام التي لا تخلو من
الفرش الغزيرة غالباً ، وإن لم تذكر معها ، كما قال تعالى : « إخراجنا على سرر متقابلين » .
فلم يذكر سبحانه الفرش في هذه الآية ، ومعلوم أن السمر المذكورة عليها الفرش
المذكورة في آيات أخرى .

وإذ قال قائل : جلس الملك على سريره وجلسنا عنده علم من ذلك شيئا :
أحدهما : أن السمر مفروش . الثاني : أن الملك إنما جلس على السمر ليرتفع على
من عنده ، يرفعه المجلس مع رفعة المملكة ولا يرضى أن يجلس معه على السمر غيره .
قال : فعلى هذا يكون المتحابون في الله أفضل من سائر المذكورين في هذه الحكاية .
وقد ورد حديث الترمذي الصحيح : « قال الله تعالى المتحابون في جلالى لهم منابر
من نور يغطهم النبيون والشهداء » .

وقد ظهر من هذا الحديث ما يؤيد المنام المذكور : أنهم أصحاب المراتب ، وناهيك
بها من مراتب ! وأكرم بها من مناصب احتوت على شرف جل قدره ، وعظم فخره !
مع ما لهم من السلسيل الأهنأ والجمال الأسنى ، والنعم المقيم في جوار المولى الكريم !
وأما ذكر السمر في المنام المذكور ، وذكر منابر النور في الحديث المشهور ، فليس بينهما
تناقض ولا قاذح مذكور ، فالمنابر تكون في القيامة والسمر تكون في القبور ، كما روى
في المنام المذكور .

انتهى كلام الباقى - رحمه الله تعالى - .

حقوق الصعبة

إعلم - وفقى الله وإياك لما يحب - : أن حقوق الصعبة كثيرة ولكن نذكر لك جملة
من الحقوق التي لا بد منها في طريق العشرة والمخالطة .

واعلم أيضاً أن المشايخ قد حنوا على الإعتناء في حقوق الإخوان ، وقالوا : من ضيع
حقوق إخوانه ، ابتلاه الله تعالى بتضييع حقوقه وإذا ابتلى الله عبداً بذلك مقتنه ، وإذا
مقت الله عبداً طهره في النار .

إذا علمت ذلك فأقول - وبالله التوفيق - :

من حقوق الأخ على الأخ : أن يتعاضد عن عيوبه ، فقد قال المشايخ :

من نظر إلى عيوب الناس قل نفعه وخرب قلبه .

وقالوا : إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس ، خيرا بها فادلهوا أنه قد مكر به .
وقالوا : من علامات الاستدراج للعبد نظره في عيوب الناس وعماه عن عيوب نفسه .
وقالوا : ما رأينا شيئا أحبط الأعمال ، ولا أفسد القلوب ولا أسرع الهلاك للعبد ،
ولا أقرب من المقت ، ولا ألزم بمحبة الرياء ، والدجب ، والرياسة ، من ثمة معرفة العبد
عيوب نفسه ونظره في عيوب الناس .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يحمل ما يراه منه على وجه من التأويل ، جميل ما أمكن
فإن لم يجد تأويلاً رجع على نفسه باللوم .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يرجو له من الخيرات والمساعدة وقبول التوبة ولو فعل
من المعاصي ما فعل كما يرجو ذلك لنفسه .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا ينظر إلى زلة سبقت ، ولا يكشف عورة سرت .
ومن حق الأخ على الأخ : ألا يعيره بذنب ولا غيره فإن المعايرة تقطع الود
أو تكسر صفاءه .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا ينظر له بعين الإحتقار .

ومن حق الأخ على الأخ : إذا اطلع على عيب فيه ، أن يتم نفسه في ذلك ، ويقول :
إنما ذلك العيب في ، لأن المسلم مرآة المسلم ، ولا يرى الإنسان في المرآة إلا صورة نفسه .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يرى نفسه دونه على الدوام وذلك على سبيل التخلل
والتحسين ، فقد قالوا : من لم ير نفسه دون أخيه لم ينتفع بصحبته .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يؤثره على نفسه في كل شيء .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يخدمه إذا مرض .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يحترمه ويوقره ، لا سيما إذا استحق ذلك ، كأن كان
من العلماء أو من حملة القرآن الكريم ، أو من عترة رسول - ﷺ -

ومن حق الأخ على الأخ : أن يثنى عليه في غيبته وفي حضوره بطريق الشرح فإن
ذلك مما يزيد في صفاء المودة .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يكرمه إذا ورد عليه بأن يلقاه بالترحيب وطلاقة الوجه ، وبأخذه بالعناق إن كان رجلا ويغسل له شيتا يقبه من الغراب .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يوسع له في المجلس إذا رآه فإن ذلك مما يزيد في تقوية المودة .

وحق الأخ على الأخ : ألا يدعو به باسمه فقط ومن وصية بعضهم : إذا ناديت أخاك لعظمته تثبت مودته .

ومن الجفاء للأخ : نداؤه الخالي عن الكنية واللقب ، ولفظ السيادة ، وكذلك أولاده وأحفاده ، غيبة وحضورا .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يعترف له بالفضل ، وأن يظهر عدم مكافأته ، لاسيما إن كان قد بدأ بهدية ، لأنه لا يقدر على بدايته ، كما قال الشيخ عبي الدين بن العربي .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يزوره كل قليل من الأيام .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يصاحبه كلما لقيه بنية التبرك وأمثال الأئمة .

ومن حق الأخ على الأخ : إذا لاقاه وصاحبه أن يصلي ويسلم على النبي - ﷺ - ويذكره بذلك .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يهديه كل قليل من الأيام ، لاسيما إذا بلغه عنه وقفة .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يرشده إلى ترك البغى على من بغى عليه وأن ينتصر الله تعالى ، إذ أن إرشاد المظلوم إلى الانتصار بالله تعالى والتسليم إليه سبحانه وتعالى من أكبر نصرة الأخ .

ومن حق الأخ على الأخ : مساعدته له في التزويج .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يشغل عن عيادته إذا مرض ولا عن خدمته لاسيما في الليل .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يرشده إلى الوصية إذا حضرته الوفاة ، ولا يتبع الحياء الطبعي ، والفائدة في ذلك معلومة .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يسهر عنده إلى الصباح إذا كان في حالة تقضى إلى الموت ، ثم بما يكون الأجل في ذلك الوقت فيفارقة على وفائه بحقه .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يصدق إذا انتسب إلى أحد من الأكابر من أولياء
أو علماء أو أمراء .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يكفره بذنوبه ، ولولات الناس به ، إذ لا يخفى قلبه
ورع الناس في الكلام وعسر معرفة جميع الأنماط التي يكفر بها الإنسان .

والنفسير كما قال شيخ الإسلام السبكي أمر هائل ، أقل ما فيه أنه أخبر عن إنسان
أنه خالده في النار لا تجرى عليه أحكام الإسلام في حياته ولا بعد مماته .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا ينفذ ذاته إذا وقع فيها لا يئنني .

ومن حق الأخ على الأخ : إذا حصل بينه وبين أخيه وقفة أن يزيد في بث محاسنه
أكثر مما قبل الوقفة ، مراعاة لآلوه . وقد كان الساف الصالح بمدحون عروهم كلما ذكر
أسمه بحضرتهم ، بحيث يظن الغان أنه من أعظم المحبين لهم !

ومن حق الأخ على الأخ : أن يقدم حوائجه الضرورية على عباداته الممنونة ، ومعلوم
أن الخير الذي يتعدى نفعه أفضل من القاصر على فاعله .

ومن حق الأخ على الأخ : إذا وقع في حقه شيء وبلنه أن يبادر إلى الاستغفار ،
وإلى كشف الرأس والإطلاق إلى الأرض وإظهار الندم على ما وقع منه في حق أخيه ،
ويدم ذلك إلى أن يرجعه أخوه ، ثم إن لم يرجعه رجع على نفسه باللوم واعترف بأنه ظالم ،
وقل من يفعل ذلك !! .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يقبل اعتذاره ، ولو كان مبطلا ، فقد روى الترمذي
وغیره : « من أتاه أخوه متصلا من ذنب فليقبل اعتذاره محققا كان أو مبطلا ، فإن لم يفعل
لم يرد على الحوض .

وفي معنى ذلك أنشد :

اقبل معاذير من يأتبك معتذرا إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعتك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

ومن حق الأخ على الأخ : كثرة فرجه له إذا كرت طاعاته وانقلب الناس إليه
بالاعتقاد ، ومن لم يكن كذلك قام به داء الحسد وفي الحديث : « الحسد يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب » .

ومن حق الأخ على الأخ : إذا أراد سفراً ألا يخرج حتى يودعه بالعناق إن كان رجلاً ، وبالإشارة إن كان صغيراً .

ومن حق الأخ على الأخ : إذا رجع من سفر أن يذهب إليه في منزله ، فيسلم عليه ويهنئه بالسلامة ، وكذلك ولده دسائر أعزته إذا رجعوا من سفر ، أو شفوا من مرض ، فمن حقه أن يذهب إليه أخوه ويهنئه بالسلامة .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يشاوره في كل أمر مهم ، فقد ذكروا أن المشاورة تزيد في صفاء المودة .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يتفقد عياله وأولاده إذا غاب عنهم ، ومن كلامهم : « من لم يتفقد عيال أخيه في غيبته فقد خان الصحبة » .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يشاطره في ماله وغيره ، وقال الشيخ « أبو المواهب الشاذلي » : يجب على الفقير إذا آخى في الله أن يشاطره أخوه في ماله ، كما فعلت الانتصار مع المهاجرين حين قدموا عليهم المدينة وهم فقراء ، فكل من أدعى الأخوة في الله تعالى فامتحنه بهذه الميزان .

وقال سيدي (أبو مدين النحاسي) : « لا تكل صحبتك إلا بإشراح صدرك لكل ما أخذه أخوك من مالك ، وثيابك ، وطعامك ، ومتى ما وجدت في قلبك انقباضاً من ذلك فأنت منافق في صحبتك » .

وقال بعضهم : « مانصح الصحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر : يا أبا ، وليس بأخ من يقول : قصص أو ثوبي » .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يتكدر منه إذا قال له : أنا أبغضك ، ويفتش على الصفات التي أبغضه لأجلها فزيلاها فإن زال بغضه وإلا كرر التفتيش ثانياً وثالثاً .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يكتم سره ، إذ السر كالعورة ، وقد حرم الله كشفها ، والنظر إليها ، والتحدث بها .

وفي الحديث : « من ستر عورة أخيه ستر الله عورته ، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته » .

وفي وصية الشيخ « أبي المواهب الشاذلي » : « إحذر أن تفضي سر أخيك إلى غيره ، فإن الله ربما مقلتك بذلك فخسرت الدنيا والآخرة » .

.

ومن حق الأئمة على الأئمة : ألا يصدق من نم له فيه .
وقد ذكر حجة الاسلام « الغزالي » : « أنه يجب على كل من حملت إليه نعمة
سته أمور :

- الأول : ألا يصدق - أى النمام .
- الثانى : أن ينهاء عن ذلك .
- الثالث : أن يينغضه فى الله .
- الرابع : ألا يظن بالمتقول عنه السوء .
- الخامس : ألا يتجسس على تحقيق ذلك .
- السادس : ألا يحكى ما نم له به .

ومن كلام الشيخ « أبى المواهب الشاذلى » : « إذا نقل إليك أحد كلاماً عن صاحب
لك فقل : « يا هذا أنا من محبة أخى ووده على يقين ، ومن قولك على ظن ، ولا يترك
يقين بظن » ومن كلام الشيخ « أفضل الدين » : « إذا نقل إليكم أحد كلاماً فى عرضكم
عن أحد فازجروه ، ولو كان أعز إخوانكم ، وقولوا له : إن كنت تعتقد فينا هذا
الأمر فأنت ومن نقلت عنه سواء . بل أنت أسوأ حالا منه ، لأنه لم يسمعنا ذلك ، وأنت
أسمعته لنا .

وإن كنت تعتقد أن هذا الأمر باطل فى حقنا ، وبعيد منا أن تقع فى مثله ، فما فائدة
نقله إلينا » انتهى .

وقد ذكرنا فى غير هذه الرسالة : « أن من أراد أن يدوم له ود أصحابه فليرد كلام
النامم يبادى « رأى » .

ومن حق الأئمة على الأئمة : أن يذب عن عرضه لكن مع النية الصالحة ،
والسياسة الحسنة .

وفى الحديث : « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه للنار يوم القيامة » .
ومن كلام الامام « الشافعى » - رضى الله عنه - : « من علامات الصادق فى أخوة
أخيه أن يقبل عائله ، ويسد خلله ويفر ذنبه » .
ومن حق الأئمة على الأئمة : أن يوقفه قبل الوقت ليدخل الوقت وهو على أهبة ،

خلا تقوته السنة الراتبية قبل الفريضة ، ولا تكبيرة الإحرام . وكذلك من حقه أن يوقفه
فى السحر ، إذ الشفقة فى أمر الدين أولى وأفضل من الشفقة فى أمر الدنيا . وينبغى أن
يكون ذلك بلطف فإن النفس ربما تحركت مع الإيقاظ بنلظ .
ومن حق الأخ على الأخ : أن لا يداخه ، فى الحديث :
« الدين النصيحة » .

وقال القوم : « الإخوان بخير ماتنافسوا ، فإن اسطلحوا هلكوا » .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يهتم نفسه بالكبر والتفاق ، إذا وجد عنده ثقلا منه ،
ويسعى فى إزالة ذلك من باطنه .

وقد صحب شخص « أبا بكر السكتانى » وكان على قلبه ثقلا .
قال : فوهبت له شيئا ، بنية أن يزول ثقله عنى فلم يزل ، غلوت به يوما وقلت له :
« ضع رجلك على خدى » ، فأبى ، فقلت له : « لا بد من ذلك » ففعل ، فزال ما كنت
أجده فى بطنى .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يقبل نصيحته ، فقد قالوا : « من أرشدك إلى ما به
تخلص من غضب الله تعالى فقد شفع فىك » ، فإن أطعته وقبلت نصحه فقد قبلت فىك
شفاعته ، وإلا فتعوز بالله من قوم لا تنفعهم شفاعاة الشافعين ، حيث كانوا عن التذكرة
معرضين .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يرشده إلى تعظيم حرمة الله والتباعد عن تعدى
حدوده ، بحيث يصير إذا وقع فى أصغر الذنوب ، يرى ذلك للصغير من الكبار
بجامع المخالفة .

فلا يزال كذلك حتى يرى الغفلة عن الله خطيئته أشد من الزنا ، وقتل النفس . ثم إذا
أكمل السالك رجع إلى أكل من ذلك وهو تعدى حدود الله على حسب ماورد فى الشرع ،
فإن العبد تابع ما هو مشرع ، فيعظم الكبيرة على الصغيرة على المكروه ، والمكروه على
خلاف الأولى :

وما بين الشارع — ﷺ — مراتب الحدود إلا ليعلمنا بتفاوتها ، فنعظمها بحسب
مراتبها ، وكذلك القول فى قسم المامورات فنعظم الواجب أكثر من المندوب ، والمندوب

أكثر من المستحب ، وتندم على كل واحد بحسب تاكيد الشارع عليه .
فرجع السالك في حال نهايته إلى صورة بدايته ، والقصد مختلف من حيث تفاوت
المأمورات والمنهيات في الدرجة .

وكانت مساواة الأوامر والنواهي في البداية للسالك من شدة تعظيمه لله تعالى ،
فاستعظم مأموراته ومنهياته ، وسدأ لباب الخالفة ، بقطع النظر عن مشاهدة حكمة تفاوتها ،
كما ورد في الشرع ، فثم مقام رفيع ومقام أرفع .

وعلى ما تقرر يحمل قول الجنيد : « ليس عندي ذنب أعظم من الغفلة عن الله تعالى »
لأنه رأى أن سبب وقوع العبد في الذنوب الغفلة عن الله تعالى .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يأمره بستر اللقائم إذا تلمح منه الميل إلى الظهور ، ومن
أحب الحق فهو عبد الخفاء .

وكل من خرج إلى الخلق قبل وجود الإذن الخاص به ، فهو مفتون ومسخرة للناس .
وما خرج الأولياء للخلق إلا بعد أن هددوا بالسبب إن لم يفتلوا ، فالعاقل من ستر
مقامه حتى يتولى الله إظهاره بغير مراد منه .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يتظاهر بعداوة من طواه بغير حق أما معاداته بالباطن
فلا تجوز .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يقوم له إذا ورد عليه ، ولو كرهه هو ذلك ، ولا سيما
في المحافل ، فقد قالوا : « إياك أن تترك القيام لأخيك في المحافل ، فربما تولد من ذلك
الحقد والضغائن فتعجز بعد ذلك عن إزالتها » .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يحدثه بحديث كذب ، لأن فيه استهانة به ، وفي الحديث :
« كبرت خيانه أن يحدث أخاك بحديث هو لك مصدق ، وأنت له كاذب » .
ومن حق الأخ على الأخ : ألا ينسأ من الدماء والمغفرة والرحمة ، كلما وجد وقته
صافيا مع ربه ، سواء أكان ذلك في ليل أو نهار ، أو سجود أو غيره .
ومن حق الأخ على الأخ : ألا يحقد عليه ، وفي الحديث :

« ثلاث من كن فيه ، فإن الله ينفق له ما سوى ذلك : من مات لا يشرك بالله شيء ،
ولم يكن ساحراً يتبع السحرة ، ولم يحقد على أخيه » .

وقال القوم : « كل من كان عنده حقد ، أو مكر ، أو خديعة أو غش لأحد ، فهو كذاب في طريق القوم ، ولا يجوز أن يكون داعياً إلى الله تعالى » .
ومن حق الأخ على الأخ : إذا تحدث أن يشخص يبصره إليه حتى يفرغ من حديثه ، فإن ذلك يزيد في صفاء المودة .

كما أن التلاهي عن حديث الأخ ، أو قطع كلامه قبل تمامه ، يورث الجفاء .
ومن حق الأخ على الأخ : ألا يمتحنه ، فإن الإمتحان من جنس كشف العورة ، وقد قالوا : « إياكم أن تمتحنوا إخوانكم ، فإن الله لا يمتحن عباده ، إلا أن علم وفاءهم ، كيلا ينجسهم بإظهار ما كان كامناً عندهم » .

وقيل لكسرى : ألا تمتحن أصحابك . . ؟ فقال : « إذن نخرج كلنا عيوباً » .
ومن حق الأخ على الأخ : أن يتبهاً للاقائه بالحرمة والتعظيم كلما فارقه ، قال الشيخ « محي الدين » : « ولو كان زمن المفارقة يسيراً ، إحساناً للظن بأن الله نفحه نفحة ، أو نظر إليه نظره من نظراته ، التي يرسلها في اليوم والليلة إلى عباده ، فصار بها أعلى مقاماً منه » .

« ثم إن كان ذلك الأمر صحيحاً فقد وفاء حقه ، وإن لم يكن صحيحاً فقد تأدب مع الله تعالى ، حيث طامله بما تقتضيه مرتبة الألوهية ، من إكرام كل وارد على حضرتها » .

قال : « وهذا الأمر قل من يتفقد نفسه فيه ، لاستحكام الغفلة على القلوب » .
ومن حق الأخ على الأخ : إذا رآه فيها لا ينبغي أن يعتقد أنه تاب من وقته ، وندم في سريره ، وقد كان بعض الساف يقول : « . . إني لأستحي من الله أن أقطع التوبة عن شخص عصي ربه ثم توارى عني بجدار » .

وقالوا : « من قطع التوبة عن أحد من العصاة ، رأى نفسه خيراً منه ضرورة ، وكل من ظن أنه خير من أحد المسلمين فهو جاهل مخدوع ، ولو أعطى من الكرامات ما أعطى » .

ومن حق الأخ على الأخ : أن يحفظ وده وإن خافه هو ، أو زاغ ، مراعاة للود .
قال « ابن الخطاب » : « رأيت رب العزة في النوم فقلت : يارب علمني شيئاً آخذه عنك بلا واسطه » فقال : من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكراً ، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمة الله كفراً ، فقلت يارب حبي فقال : حبيبك . انتهى »

ومن حق الأخ على الأخ : أن لا يمن عليه بما فعله من المعروف إذ هو خاصة ونسى ذلك المعروف .

فإن ذكر المعروف في الخاصة عنوان على عدم الإخلاص فيه دليل على خسة الأصل ، فإن طيب الأصل لا يمن أبداً بما فعله مع أخيه من المعروف ، بل يرى للفضل لذلك الأخ ، القدي أكل عنده مثلاً ، أو قبل منه هديه ، وفي الحديث :

« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وقال بعضهم : « المن بالمعروف في الخاصة دهن لا يندمل » يعني : لا ينسى ، بل يصير يكرر الصحبة كلما تذكره .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يخاصمه ، فإن المخاصمة تقطع الود ، وقد قالوا : « ما وجد أذهب للدين ، ولا أشغل للقلب من المخاصمة » يتولد الغضب ، والحقد ، والحديمة ، حتى إنه يكون في الصلاة وخاطره معلق بالمحاجة ، ولا يخفى ما في ذلك . وفي الحديث : « كفى بك إنما ألا تزال مخاصماً » .

وأنشدوا :

تجنب قرين السوء واصرم حباه فإن لم تجدد عنه حيصاً فداره
وأحب قرين الصدق وأترك مراده تنل منه صفو الود مالم تماره

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يبادر إلى هجره ، فإن المبادرة إلى مثل ذلك ليست بمحمودة ، وخطؤها أكثر من صوابها ، وقد ذكرنا - في غير هذه الرسالة - شرط جواز الهجر :

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يؤاخذ به إذا قصر في حقه مراعاة للأدب ، ومن وصية سيدي « على الخواص » : « اترك حقك لأخيك ما استطعت ، وأقل عثره أهل المروءات من إخوانك ، وإياك أن تعتدي على من اعتدى عليك ، فإن للحق تعالى ما أباح الإعتداء إلا بشرط المثلية ، والمثلية متعذرة جداً ، فربما زادت وريراً أثرت تلك السيئة في الخصم أكثر مما أثرت فيك والمجازاة وخسة للضعفاء » .

ومن حق الأخ على الأخ : دوام الشفقة على أولاده :

والقيام بهم بعد موته ، قال القوم : « من لم يشفق على أولاد أخيه في غيبته ، ولم يقم بهم بعد موته ، فليس بصادق في أخوته » .

.

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يقره على بدعه ، ولئن لم يرجع عنها تركه ، خوفا على نفسه أن يلحقه شؤمها ولو بعد حين .

ومن حق الأخ على الأخ : ألا يتزوج له زوجة طلقها ، أو مات عنها ، ولو أوصاه بذلك ، وقال : « أنت أحق من الغير » .

فاعرض يا أخى ما فى هذا الفصل على نفسك ، فإن رأيته متخلقة به فاشكر الله ، وإلا فامليك بالاستغفار من التقصير فى حقوق إخوانك ليلا ونهاراً .

والحمد لله رب العالمين ١١

ومن أخلاقهم عدم غفلتهم عن الصلاة في أول وقتها أيام مرضهم أو أيام
تحملهم البلاء والمحن عن الإخوان أخذاً بالعزائم

وإنما تكون الرخص لغیرهم فليس لأحدهم أن يؤخر صلاة الظهر مثلاً إلى آخر
وقتها ، ويقول : إنما يؤمر بالصلاة في أول وقتها مثلاً الأصحاء أما المرضى فلا يؤمرون
بذلك ، وريء الاستدل أحدهم بحديث وهو دليل ضعيف (١) لأن المراد
بما يسكتبه الحق تعالى له من الفضائل والنوافل (٢) مثلاً لأنه يجب عليه
أن يفعل ذلك بحسب قدرته مادام عقله ثابتاً ، إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له
ما كان يعمل صحيحاً مقيماً .

ويقع لى بحمد الله تعالى أن المرض يخفف عني إذا دخل وقت الصلاة ، ثم إذا فرغت
منها عاد المرض فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم الرضى عن ربهم عز وجل إذا قسم لهم اليسير من الطاعات كما
يرضون عنه إذا قسم لهم اليسير من الرزق على حد سواء
فإن كلاهما قسمة الحق تعالى ، واختياره لهم وما قسمه واختاره لا ينبغي لعبده أن يسأل
تحويله إلا بإذن منه .

وهذا الخلق لا يثبت فيه إلا الصادقون المعتمدون على فضل الله تعالى لا على أعمالهم
إذ من لازم كل من يعتمد على عمله التكدر ضرورة كما يقع فيه العباد الذين لم يسلكوا
على يد شيخ .

وقد نام إبراهيم بن آدم ليلة عن ورده أيام بدايته فأصبح متكدرا لذلك ، فتودى
في نفسه — سره — :

يا إبراهيم كن هيدا لنا تستريح فإن أقمناك قم وإن أقمناك نم ؛ فليس لك في الوسط
شيء ، فإننا اعلم بمصالح عبادنا من أنفسهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم وؤبة حقارة نفوسهم أن يقفوا بين يدي الله ، عز وجل
فلا يزاحمون على الحضرة الإلهية إلا بإذن خاص من طريق الإلهام الخاص .
وإذا نام أحدهم من حضور الموكب الإلهي في ليلة من الليالي يقول :
كك الفضل يارب الذي ما أوقفت هذه القذات النجسة القدرة بين أهل حضرتك
الطاهرين المطهرين .

قلت : وهذا وإن كان فيه خير من جهة هضم نفوسهم ، فيلبيح لأحدهم أن يندم
ويحزن على فوات حظه من الوقوف بين يدي وبه عز وجل وقت تفرق الشيايم ، ومفارقة
الذنوب العظام .

وكان سيدي على الخواص إذا فاته قيام الليل بالنوم يشكر الله تعالى من حيث العافية ،
فإنه لولا العافية ما نام ، فيحتاج صاحب هذا الخلق إلى هينين هين يحزن بها وهين
يشكر بها كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المن والأخلق والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم ، أنهم يجعلون ماسمعوا من واعظ أو خطيب
في حق أنفسهم بالأصالة

فلا يجعلون الخطاب لغیرهم من السوق والعوام وأرباب الدعوى للعلم ، والعمل بغير
حق ، حتى ربما انصرف أحدهم من مجلس الواعظ وهو يقول : أفلح الواعظ اليوم في
الخط على هؤلاء الذين لا يعملون بعلمهم من الفقهاء والصوفية ، ولا يكاد يأخذ لنفسه من
ذلك كلمة واحدة .

فليحذر الفقير من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الفرح والسرور بكل شيخ أو واعظ برز
في بلدهم أو حارتهم وصار يلتقط أصحابهم واحدا بعد واحد

حتى لم يبق حول أحدهم تلميذ واحد ، وذلك لأنه قام عنهم بدعاء الخلق إلى الله
تعالى ، وأراحهم من رؤية نفوسهم ، والإعجاب بأحوالهم إذا تاب الخلاق على يديهم
من الظلمة ، والعمام ، وأقبل الأمراء والمباشرون والتجار على الاعتقاد فيهم ، فإنه قل
واعظ يعلم من هذه الآفات .

فعلم أن كل من تكدر من شيخ برز في حارته ، فهو شيطان نصاب لم يشم من طريق
النوم رائحة ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم اعتراضهم على العالم إذا زار أحدا من النصابين

فإنه لولا سلامة باطنه مازار ، فهو مأجور من حيث قصده ، وإن ترتب على ذلك
إخلال العوام لكن الأولى للعالم أن لا يزور إلا من رآه على الكتاب والسنة من
المصادقين لتلا يضل العوام ويقولون : لولا أن هذا من الصالحين مازاره العالم الفلاني .
فليكن العالم حاذقا وإلا اقتدا به العوام ، فيهلكوا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حفظهم الأدب مع كبراء الوقت من علماء وصالحين
فلا يدرسون علما ولا يسلكون مريدا إلا بعد قول أحدهم : دستوريا كبراء الوقت
أدوس أو أسلك الناس العلم ، والأدب نيابة عنكم ، ويعملهم في نفسه إن كانوا غائبين
هن مجلسه .
فمن سلك ذلك مده العلماء ، بالعلم ، والأدب ، وأمن من الارتجاج عليه كما جرب ذلك
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم لبس الثياب المحررات وعدم
نكاح المنعمات والسراري الناعمات

وعدم ركوبهم الخيل المسومة ولا يرون ذلك مباحا إيثارا لانتشاف في هذه الدار كما
أن الواجب عليهم عدم الإنكار على من خالفهم ولبس المحررات ونكح المنعمات إنه
أحسن حالا منهم^(١) لأن الله تعالى عبدا في صورة المتكبرين ، وربما نعم الله تعالى
عبده في الدار الآخرة أيضا ، ورفع قدره علينا لقوله تعالى (والآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا^(٢)) .

وقد أنشد بعضهم في نحو ذلك :

كم عابدا قد صف أقدامه باليل يبكي بالدموع السجام
وماله حظ سوى أنه أشقاء مولا بطول القيام
وآخر قد نال ما يرتجى وحاز في الفردوس أعلا مقام
فياك يا أخي والمبادرة إلى إنكار على أحد من المتقشفين أو المترفين إلا بطريق
شرعي والحمد لله رب العالمين .

(١) ربما يقصد أنه قد يكون أحسن حالا منهم للأسباب التي ذكرها بعد ذلك .

(٢) سورة الإسراء آية : ٢١

ومن أخلاقهم : عدم جلوسهم في المسجد على حدث ظاهر
أو باطن كالكبر والحقد وسوء الظن بـإسلام ونحو
ذلك كخطور معصية هلى قلوبهم

فإنهم بين يدى الله عز وجل فى بيته الخاص ، وهو ناظر إليهم ، فكيف يلبق
بأحدهم أن يجالس ربه هلى حدث ، أو سوء أدب .
فينبغى للفقراء المجاورين أن يتنبهوا لمثل ذلك ، فربما كان قوس القدرة الإلهية
بالتأديب ، والمؤاخذة موترا لا يساح العبد فى سوء الأدب مرة واحدة هذا فيمن تخطو
المعصية هلى بالله فى المسجد ، فكيف بمن يفعلها .
وكان سيدي محمد الشويمى يجلس تجاه وجه سيدي مدين رضى الله تعالى عنه ،
فكان كل من خطر فى بالله شىء قببىح بين يدى سيدي مدين قام ، وضربه وقال :
أما تستحي من الشيخ وأنت يمر على خاطرك القببىح انتهى .
فإذا كان هذا حال من يخطر ذلك على بالله بين يدى مخلوق ، فكيف بمن يخطر ذلك
على قلبه بين يدى الله عز وجل فالعاقل من تلبه لمثل ذلك ، فعلم أن كل تقير ادعى
الصالح وجلس فى المسجد بغير حق أو اسائة الظن فهو كذاب فاسق والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهتهم لإخراج الريح منهم في المجالس
أو المسجد تعظيما لمن هم في حضرتهم كشفا أو أدا

فمن جلسته حالة إخراج الريح حبسه وخرجوا من المسجد إلى طريق الميضأ ، وأخرجوه
لأن خروج الريح لا يليق إلا بالحشوش ، ومثل ذلك حشا النجل ، وأكل ذى ريح
كريبه كما ورد في الشريعة .

فإن تعذر عليهم الخروج من المسجد لإخراج الريح ، فيلجئ لأحدهم أن يقول دستور
يا أعمار المسجد يعني من الملائكة ثم يخرج الريح فإن الملائكة يحبون من يتأدب معهم ،
ومع بيوت الله عز وجل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهة زيارتهم لعدوهم وحاسدهم من المسلمين
بثياب رفيعة مبخرة خشية عليه من ادخال الغم عليه بذلك

فإن العدو والحاسد إذا رأى على عدوه ثيابا حسنه مبخرة كاد أن يذوب من الغيظ ،
وازداد حسدا وعداوة .

هذا من جملة أخلاق الصالحين الحسنه ولا يصح ذلك إلا ممن كملت رياضة نفسه ،
وتخلق بالرحمة على عباد الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا مرضوا أو قدموا من سفر أن لا يتسببوا
في زيارة الناس لهم أو عيادتهم إلا بنية صالحة

ولا يقولون اشتبهنا برؤية فلان ، فإنه إذا بلغه ذلك بادر إلى العيادة ، أو الزيارة ،
وربما كان وراءه ضرورة أهم من عيادتهم أو زيارتهم وأسلم من العمل .
فالعاقل من أشفق على دين أخوانه ولم يكن سببا في نقصه ، فخور يا أخى النية
في نحو قولك ، وأنت مريض مثلا أو حشنا فلان ، ورح إليه إذا بلغك أنه قال
في حقك ذلك بنية صالحة لا تطلب عليها مكافأة في الدارين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهتهم لحضور المحافل التي لم يندب الشرع إلى حضورها
ومحبتهم لحضور ما ندب الشرع إلى حضوره لئلا يترك بنيه صالحة

فليحذر الفقير نيته ثم يحضر وذلك كختم القرآن ومجالس المناظرة بين يدي
الأمراء أو حضور عقد القرآن والسبب الذي يمنع الناس عدم تحرير النية في هذه
المجالس ويقع فيه الكثير منهم أنه إذا دخل أحدهم ولم يقوموا له أو كان جالسا
في صدر المجلس فأخروه لما جاء من هو أوجه منه من أقرانه أو غيرهم ، وهذا وقع
كثيرا لأرباب الأنفس الغوية المدمين للعالم والصالح بغير حق .

فانشق عليهم من يقطعهم بالحجج أو يبين غلطهم أو جهلهم ، فتدوم العداوة بينهم
شهورا وسنين ، بسبب ما وقع لهم حين حضروا من عدم موافقة الناس لم هل أغراضهم .
وقد حضرت مرة مجلس ختم ، فنهاني عن ذلك سيدي هل الخواص وقال :

هذه مجالس المباهاة بالعلم والممارسة فيه كما يعلم ذلك بالقرائن ، ومصدق ذلك أن
غلط منهم أحد قامت عليه القيامة ، وإن وافق الصواب ، قالوا هذا الكلام ما هوله ،
ولما أخذ من كلام فلان .

قال : ومن علامة مباهاتهم بالعلم إحضارهم الأكابر من الأمراء ، والمباشرين ،
وغيرهم ممن ليس من أهل العلم ، وليس هو أهلا لأن يفيد علما أو يستفيد انتهى
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهتهم للنوم على غير وتر

تعظيها لامتنثال أمر الشارع في أمره أمتة بالنوم على وتر في نحو قول أبي هريرة :
أوصاني رسول الله ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل
أن أنام .

وفي نحو قوله : إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن انتهى .

فن نام على وتر فقد نام على عمل محبوب للحق جل وعلا ، فإذا أخذ الله تعالى
بروحه تلك الليلة مثلاً كان خاتماً لعمله يحبه الحق تعالى ، فيرجى له المغفرة كما أشار إليه
قوله تعالى « وثقات اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ »
أي لو كنتم محبوبون للحق تعالى ما عذبكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم سؤالهم الحق جل وهلا أن يتجاوز ويعفو
في حق من جنا عليهم وأذا هم من جميع للمسلمين

فإذا دعوا على أحد لا يستجيب الله لم دعاء فيه لأن الله سبحانه وتعالى يستجيب
لم فيما تخلقوا فيه بأخلاق الله عز وجل وقد كان سيدى (١) رضى الله
تعالى عنه يحزن على عدوه إذا مات ويقول : من دعا واستجيبت دعوته فيمن ظلمه ،
فقد خرج عن طريق القوم .

فإن من شأنهم كثرة الاحتمال ، ويفرحون إذا لم يستجب لم دعاء ، لما جبلهم الله
تعالى عليه من الرحمة ، والشفقة ، ولعل ظالب الناس لا يقيم لم وزنا ، إذا دعوا على
مظلوم ، ولم يستجب لم دعاء فيه ، ويقولون : لو كان هذا صالحا لأجاب الله تعالى دعاءه ،
وهو جهل بمقام أهل الله عز وجل فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم عدم المجادلة لأحد من الفقهاء عند ثوران نفوسهم
أو نفس من جادلوه خوفاً من تعدى الحدود في أدب العلم

بل يصبرون ، حتى تروق نفوسهم ، ونفس خصمهم .

وإيضاح ذلك أن كل شخص لا يجادل إلا بما زين له في نفسه ، ورأى أنه الحق ،
فلا يكاد أحدهما يرجع إلى الآخر أبداً .

فاليعذر كل واحد أخاه بما يعذر به نفسه .

فإن عمل كل إنسان بما رآه حقاً أولى والسلام .

وبالجملة فمن لم يقرأ آداب البحث فليس له أن يجادل أحداً والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة مشاورتهم لإخوانهم في كل أمر
لم يصرح الشارع فيه بخصوصية بخلاف

مثل سنة الظهر ، أو جماع الزوجة ، والغسل من الجنابة ، فإنه لا يحتاج مشاورة
في مثل ذلك .

فقد سمعت سيدي علي الخواص يقول : لا يحتاج الإنسان إلى الاستشارة في شيء
من المأمورات الشرعية لأن الله تعالى لم يتخذها حيلة للمكر بصاحبها بخلاف ما سكت
هذه ، فقد يتخذ حيلة أخرى ، ثم إن في المشاورة قبا ذكر تميميل خاطر الأخوان إلى
محبة بعضهم بعضا كما هو مشاهد ويقول أحدهم : لولا أن فلانا يَحْبِبُنِي ما مشاورني في
ذلك ، وحكم عدم المشاورة بالضد .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : الاستشارة بمنزلة تنبيه النائم
فربما كلن الإنسان جازما بفعل شيء ، وعنده أنه صواب ، فيشاور أخاه فيه فيقول له :
مق فعلت كذا حصل من الضرر كذا ، فيرجع عنه فورا ، وإن قيل له بعد ذلك إفعله
لم يرض .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم القيام بواجب حق الإخوان الصادقين والقيام بحقوقهم
وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : لا تقصر في حق أخيك اعتماداً هل
مروءته انتهى .

وكان يقول : لولا مجالسة الإخوان في هذه الدار والتهجد في الأسفار ما أحببت
البقاء فيها .

فانظر يا أخي كيف قرن رضي الله عنه مجالسة الإخوان بمناجاة الله عز وجل ، وفي
ذلك سر عظيم لا أدرج به ولو قطع مني الحلقوم ، وقد ظفرت طول عمري بسبعة وعشرين
واحداً من الإخوان الصادقين ممن أحب البقاء في هذه الدار لأجابه منهم سيدي محمد
بن الشيخ محمد الحنفي الشاذلي بمحديقة السباعين ومنهم الشيخ سراج الدين الحانوتي^(١)
فأسأل الله تعالى أن يفتح في أجسامهم وأن ينفعني بهر كاتهما آمين .

وقد رأيت حقوق الإخوان إيثارهم بما دخل يدهم من أمور الدنيا وإدخال الفرح عليهم
بحيث كونهم في جميع ما بيدهم بحيث لا يفضلون نفوسهم عليهم بل قد يصلوا إلى حد أنهم

(١) يقول عنه الإمام الشعراني : ومنهم الشيخ المجمع على جلالته وعلمه^٩ ورعه وحفظ
جوارحه الشيخ سراج الدين الحانوتي رضي الله تعالى عنه . مارأيت في أقرانه أكثر اعتقاداً
منه في طائفة الفقهاء ، لا يكاد يغفل عن زيارتهم أحياء أو أمواتاً ، وقد استنحيت من كثرة
زيارته لي ماشياً تبعاً لشيخه الشيخ شهاب الدين بن الحلبي رحمه الله تعالى .

صحيته نحو عشر سنين إلى وقتنا هذا ، فما أظن أن كاتب الشمال وجد شيئاً يكتبه عليه
من شدة تقواه وضبطه أجوارحه ، وما سمعته يذكر أحداً من المسلمين وغيرهم بغيبة .
ومارأيت يزاحم على شيء من الدنيا ، ولا يتردد إلى أحد من الولاة إلا لضرورة
شرعية ، من شفاعته في مظلوم ونحو ذلك .

وكان مجلسه مجلس علم وأدب وخشية وخوف من الله عز وجل ، فقد طبعه الله على
الأخلاق الحميدة والشمم المرضية والأحوال السنية ، لا يكاد يطالع عليها إلا الله عز وجل ،
من تهجد وقرادة أوراد ومراقبة . مات رضي الله عنه سنة سبعين وتسماية . وكان مولده
عام تسع وتسعين وثمانماية .

يطلقون إحدى زوجاتهم لمن ماتت زوجته ، ويقسمون الذهب نصفين بينهم وبينهم
ويأخذون منه كأحدهم^(١) .

وإن لم يقسم الله تعالى للاخوان ذلك ، فيكون خاطرهم بذلك طيباً لو وقع
والحمد لله رب العالمين .

(١) قد يستغرب بعض الناس هذا الحاق على سادتنا الصوفية ولكن نظرة متأنية
لآداب هؤلاء السادة المظام مع إخوانهم كما وضعها الإمام الشعراني ربما تؤهلنا لتقبل هذا
الوضع وعدم استغرابه منهم يقول الإمام الشعراني :
« علم — وفقى الله وإياك إلى ما يحب — : أن آداب القوم لا تنحصر ، لأنها مجموع ما في
الكتب الإلهية والأخبار النبوية ، والآثار الصحابية والسلفية ، ولكن نذكر لك شيئاً من
آدابهم تبركا وفتحاً لآبائنا فنقول : وبالله التوفيق :
من آداب القوم أن يعرفوا في جميع الشدائد إلى الله تعالى قبل جميع الخلق لعلمهم أن
بيده — تبارك وتعالى — ملكوت كل شيء ، بخلاف غيرهم ، فانهم لا يرجعون إلى الله
إلا بعد الوقوف على خلقه .

ومن آدابهم : جمع الخواص والقلب حال العمل ، وقد ورد في بعض الكتب الإلهية يقول
الله تعالى للملائكة الكرام الكاتبين :
« اكتبوا عمل عبدي — فلان — واكتبوا أين كان قلبه حال العمل ... ؟ ليأخذ
ثوابه بمن كان قلبه حاضراً عنده » .

ومن كلام سيدى « على الخواص » : « كل عمل لم يحضر العبد فيه مع ربه تعالى فهو
كالميتة وهو بالفاق أشبه وذلك لأنه يوم الناس أنه مع الله حال منجاته ، وهو مع الخلق ،
وقد طالت الطريق على الناس لغفلتهم عن ذلك ، فحجبوا بالأعمال عن المعمول له ، ولو
أنهم لاحظوا المعمول له لاشتغلوا به .

ومن آدابهم : لا يطلبون بعبادتهم مقاماً أو حالاً أو تقريباً من الحضرة الإلهية فقد
قالوا : من خدم الله تعالى لطلب مقام فقد طلب قطعة ، ومن خدم لطلب الثواب ، أو خوف
من عقاب فقد أبدى طمعه ، وأظهر خسته .

وقالوا : أبغض الخلق إلى الله من تعلق في الأسفار يطلب قربته تعالى بذلك .
وقالوا : افعلوا ما أمركم به الشرع — إن استطعتم — ولكن من حيث مشرعيته

والأمر به ، لا من حيث علة أخرى ، واتركوا الدليل كلها في جميع أعمالكم وأحوالكم ، ولا تنظروا إلى ثواب فمن نظر إلى ثواب في أعماله عاجلاً أو آجلاً فقد خرج عن أوصاف العبودية الكاملة التي لا ثواب لها إلا وجه الحق عز وجل .

ومن آدابهم : تفتيش أعضائهم الظاهرة والباطنة صباحاً ومساءً هل حفظت حدود الله التي حدها لها ، أو تعدت .. ؟

وهل قامت بما أمرت به من غض للبصر ، و حفظ اللسان والأذان والقلب وغير ذلك على وجه الإخلاص ، أو لم تقم ؟

فإن رأوا جارحة من جوارحهم أطاعت شكروا الله تعالى ولم يروا نفوسهم أهلاً لذلك ، وإن رأوها تلطخت بشيء من المعاصي أخذوا في الاستغفار والندم ، ثم يشكرون الله تعالى إذ لم يقدر عليهم أكثر من تلك المعصية ، ولم يبتل جوارحهم التي مرضت حال عصيانها ، فإن كل عضو مستحق نزول البلاء .

ومن آدابهم : لا ينفلون عن تفتيش باطنهم ، فإن الأخلاق الرديئة كامنة في العبد ، ومعلوم أن الفقراء إذا ترقوا في المقامات كان وقوعهم في المعاصي الظاهرة معدوم غالباً ، فيقنع أحدهم بذلك وينسى تفتيش باطنه وهو قصور عن درجة أهل العرفان ومن ظن أن الأخلاق الرديئة زالت عنه فقدوهم .

قال تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » فلم يقل : ومن يزل شح نفسه ، بل أبقى الشح فيها ، إلا أنه يوق العمل بذلك بعبادته لله تعالى .

ومن كلام الشيخ (أفضل الدين) : « الله قد جعل في طينة آدميين سائر الأضداد ، فجميع الأخلاق الحميدة والذميمة تشرق وتغرب في ذواتهم ، ولكن ما دامت العناية الربانية تحف العبد فجميع الأخلاق الذميمة خامدة متعطلة ، فإذا تخلفت عنه العناية تحركت للاستعمال وخدمت أخلاقه الحسنة .

ثم لا يخفى أن طينة الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — قد طهرها الله من سائر الرذائل بسابق العناية ، فافهم وإياك الغلط .

ومن آدابهم : عدم موافقتهم للوعد ، فلا يعدون أحداً بوعد إلا في النادر ، لعلمهم أن

صدق الوعد لا يكرن إلا للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لعصمتهم ، وأما غيرهم فربما وعد وأخلف فيصير فيه خصلة من النفاق .

ومن آدابهم : إذا ذكر أحد من أصحابهم في غيبته بحضورهم لا يقولون : هو من أصحابنا ، أو من أكبر أصحابنا إلا أن كان دونهم بدرجات ، فإن كان مساوياً لهم أو فوقهم فيقولون : نحن من أتباعه أو خدامه .

ومن آدابهم : لا يقولون : ذهب الأكاير والصادقون ، فإنهم ما ذهبوا حقيقة ، وإنما ككنز صاحب الجدار .

وقد يعطى الله من جاء في آخر الزمان ما حجبته عن أهل العصر الأول ، فإن الله قد أعطى نبينا محمداً - ﷺ - ما لم يعطيه الأنبياء قبله ، ثم قدمه عليهم في المدح .

ومن كلام صاحب الحكم : بدلا من أن تقول :

أين الأولياء ؟ أين الصالحون ؟ قل : أين البصير ؟

ومثل هذا اللفظ لا يقع إلا بمن لم يكن عنده اعتقاد في أولياء عصره وعلمائه ، ولا

يخفى ما في ذلك !

ومن آدابهم : لا يطلبون ألا يكون لهم حاسد فإن الحكم الوجودى اقتضى مقابلة النعم بالحسد ، فمن طلب ألا يكون له حاسد ، فقد طلب ألا تكون له نعمة .

ومن آدابهم : إذا ذكروا ذنوبهم لا يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله ، لما في ذلك من رائحة الحجة على الله تعالى :

بل يقولون : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكون من الخاسرين » .

ومع الأفراد « رب ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم » .

ومن آدابهم : لا يقولون : نانس بالله تعالى فإن الإنسان لا يانس إلا بجنسه ، والحق

تعالى ليس بينه وبين عباده مجانسة بوجه من الوجوه .

فإذا رأيت في كلام أحد من القوم أنه يانس بالله تعالى فاعلم أنه غير محقق ، ولو حقق

لوجد أنسه بما من الله تعالى لا بالله تعالى ، لا تنفاء المجانسة .

ومن آدابهم : لا يقولون : نطلب الله إذ الطلب لا يكون إلا لفقود والله تعالى موجود

وواجب الوجود ، ولا يطلب دركه لأنه لا غاية له ، وإنما يقولون : نطلب الطريق إلى

معرفة الله .

ومن آدابهم : لا يستعيزون بالله من شيء وإنما يستعيزون من شره ، وكذلك لا يقولون : اللهم اغننا عن جميع خلقك وإنما يقولون : اغننا عن شرار خلقك .

ومن آدابهم : عدم زخرفهم الكتب التي يرسلونها إلى اخوانهم خوفا من الكذب ، ومن وصية أبي نصر بشر الحافي :

« إذا كتب أحدكم كتابا إلى أحد فلا يزخرفه بحسن الإنفاظ ، فإنني كتبت مرة كتابا فعرض لي كلام ، إن كتبت حسن الكتاب ، وكان كذبا ، وإن تركته مميج الكتاب وكان صدقا ، فعزمت على ذكر الكلام السجج المصدق ، فنادى هاتف من جانب البيت : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

ومن آدابهم : كثرة الاستغفار إذا اعتقد فيهم الخلق ، وهم في السر خلاف ذلك ، وفي الحديث : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير » .

وقد حشوا على الاعتناء بالاستغفار ليلا ونهاراً ، سواء تذكروا العبد ذنوبا أو لم يتذكروا . ومن آدابهم : إذا مرحوا أن يكثرُوا من الشكر والاستغفار وأن يقولوا : اللهم أنت أعلم بنا منهم ، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون ، واغفر لنا ما لا يعلمون . ومن آدابهم : لا يعتمدون على كسبهم ، فإن الاعتماد على الكسب شرك بالله عز وجل . وقد ذكرنا في غير هذه الرسالة معرفة طريق الخلاص من هذا الشرك وإن من خلص منه فهو المؤمن الذي يأتيه رزقه من حيث لا يحتسب .

ومن آدابهم : عدم نسبة شيء من الأعمال الصالحة إلى نفوسهم إلا بقدر نسبة التكليف فقط . قال القوم : كل عمل اتصل بالعبد شهوده فهو غير متقبل ، فمن شهد له عملا فعمله عند نفسه لا عند ربه ، ومن حقق النظر علم أنه لا أثر للخلق في فعل شيء من حيث التكوير وإنما له الحكم فقط وغالب الناس لا يفرق بين الحكم والأثر .

ومن كلام سيدي (علي الحواس) : ما دام العبد ينسب الأمور لنفسه ذوقا وإلى الله علما ، فهو محجوب ، فإذا رفع الحجاب رأى أفعاله كلها خلقا لله تعالى وذوقا .

وأما علمه أنها خالق الله تعالى ، فلا يكفيه إذ ليس العلم كالذوق . قال : وأكثر المریدین لم يثبت لهم قدم في نسبة أفعالهم لله تعالى ، ولذلك يطلبون الجزاء من الله تعالى على ما أجرى على أيديهم من الأعمال الصالحة .

وكذلك يطلبون الجزء من الخلق إن أجرى على أيديهم إحساناً لهم ، فلولاً أنسبتهم ذلك إلى أنفسهم ما طلبوا الجزء من الله تعالى ولا من الخلق ، وما قال عارف قط : (إياك نعبد وإياك نستعين) إلا على وجه التلاوة فقط : لا وجه كون له شركة في الفعل ، تعالى فعل الله عن الشرك فافهم .

ومن آدابهم : التجرد عن العزة والغنى ، والنحوق بالنزلة والفقر إذا توجهوا إلى الله في أمر دنيوي أو أخروي ، لكلا يمنعا من الإجابة .

وفي كلامهم : إذا توجهت إلى الله فتوجه إليه وأنت فقير ذليل ، فإن غناك وعزتك - وإن كانا بالله - يمنعانك - الإجابة ، لأن الغنى والعزة صفتان لا يصح لعبد الدخول بهما إلى الله أبداً ، لأن حضرة الله تعالى لها العزة فلا تقبل عزيزاً ولا غنياً .

ومن آدابهم : لا يسألون الله شيئاً من أمور الدنيا إلا مع التفويض ورد العلم إليه سبحانه ، عملاً بقوله تعالى : (وعسى أن تسكرها شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

فيقول أحدهم في سؤاله : اللهم أعطني « كذا » و « كذا » إن كان فيه خيراً لي ، واصرف عني « كذا » و « كذا » إن كان فيه شراً لي .

ومن وصية سيدي « عبد القادر الجيلي » : « احذر أن تسأل الله شيئاً إلا مع التفويض ، وأما إذا أعطاك تعالى شيئاً من غير سؤال فذلك مبارك وطاقته حميدة ، وإيس عليك فيه حساب - إن شاء الله تعالى - لكونه جاء من غير استشراف نفسي .

ومن آدابهم : عدم الاشتغال بالنعم عن المنعم ، إذ قبيح بالعبد أن يألف النعمة دون المنعم ، أو يميل إليها ، فإن الميل إلى كل شيء دون الله مذموم إلا في حقوق الله ومأموراته . وفي وصية سيدي « عبد القادر الجيلي » : إياك أن تشتغل بما أعطاك الحق - سبحانه وتعالى - من المال فيحجبك بذلك عنه دنيا وأخرى ، وربما سلبك ذلك المال عقوبة لك وإذا اشتغلت بطاعته عن ذلك المال كان من المال المحمود لا المذموم .

ومن آدابهم : لزوم الرحمة للمسلمين ، وفي الحديث :

(الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى) .

ومن كلام (سيدي علي الحواص) : عليك بالرحمة بالمسلمين إن أردت أن ترحم ،

ومن الرحمة لهم أن تحمل همومهم :

قال : وأعلم أن حملنا لموم إخواننا للمسلمين لا ينافي للتسليم - كما توهمه بعضهم -
غالعبد يحمل هم إخوانه من كسبهم للذنوب التي استحقوا بها البلاء النازل عليهم ، ويسلم
من حيث التقدير الإلهي الذي سبق به العلم ، إذ لا يمكن رد مثل ذلك قافهم ، فإنه قد
غلط في ذلك جماعة زاعمين أنهم مسلمون لله تعالى ، ويخرجون على من يروونه
يحمل هم إخوانه ، ويقولون : ما لفلان ومعارضة الأقدار ؟ ويتوهمون ما هم عليه أكل ،
وهو جهل . ففي الحديث : (من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم) وقد كان الإمام « عمر
بن الخطاب » - رضى الله عنه - إذا نزل بالمسلمين بلاء لا يضحك قط ، وكذلك « عمر
بن عبد العزيز » و « سفيان الثوري » « وعطاء السلمي » . حتى يرتفع البلاء .

قالوا : الرحمة خاصة والبلاء عام ، وذلك من جملة رحمة الله تعالى :

ومن آدابهم : عدم شكواهم إلى الخلق ما يصيبهم من بلاء أو محن وغير ذلك .

ومن وصية سيدى « عبد القادر الجيلي » أحذر أن تشكوا ربك وأنت معافى في
بدنك ، أو لك قدرة على تحمل هذا البلاء ، بالقدرة التي قواك بها ، فنقول : ليس عندى
قوة ، ولا قدرة . أو تشكوه إلى خلقه ، وعندك نعم ما أنعم بها عليك ، وتقصد بتلك
الشكوى الزيادة من خلقه ، وأنت متعاف عما له عندك من العافية والنعم .

فاحذر من الشكوى لمخلوق جهودك ، ولو تقطع من لحك ، فإن أكثر ما ينزل بآب
آدم من البلاء من جهة شكواه ، وكيف يشكو العبد من هو أرحم به من والدته الشفيقة .
ومن آدابهم : كثرة شكرهم على النعم ، امتثالاً للأمر لا طلباً لزيادة .

ومن كلامهم : عليك بشكر النعم ، فإن من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ،
وأحذر أن يكون شكرك لأجلها بل اجعل شكرك امتثالاً لأمر ربك بالشكر . ولهذا
قال تعالى : (أن اشكروا لى) فافهم !

ومن آدابهم : شدة سترهم لمقامهم ، فقد قالوا :

للكامل من يفهم نفسه ، حتى يزكبه ربه .

قالوا : أحسن بذور الحرث ما بذره ثم ستره بمد ما بذره حتى نبت في بطن الأرض ،
وأقبحه ما نبت فوقها ، لأنه لا نبات له !

ومن آدابهم : ترك التنديد وهو على قسمين :

تندير محمود ، وتندير مذموم .

المحمود : ما كان فيما يقربك إلى الله تعالى ، كالنديير في براءة الذمم من حقوق العباد ، إماماً وفاداً ، وإماماً استحللاً ، وفي تصحيح التوبة ، وفيما يؤدي إلى قمع الهوى والشيطان . والنديير المذموم : تدير الدنيا للدنيا ، وهو أن يدبر في أسباب جمعها افتخاراً بها ، واستكثاراً ، وكما إزداد منها شيئاً إزداد منها غفلة واغتراراً .

وإمارة ذلك أن تشغله عن الموافقة وتؤديه إلى المخالفة ! أما تدير الدنيا الآخرة ، فلا بأس به ، كمن يدبر المناجر ليا كل حالاً ، وينعم منها على ذوى الفاقة اتصالاً ، ويصون بها وجهه عن السؤل إجمالاً ، وأمارة ذلك عدم الاستكثار والإدخار والإسعاف منها والإيثار .

ومن آدابهم : ترك الاختيار مع الله تعالى ، فقد ذكروا أن بنى إسرائيل لما جعلوا لهم مع الله اختياراً ضربت عليهم الذلة والمسكنة وقالوا : إياك والفرار من حالة أقامك الله فيها ! فإن الخير ما اختاره الله لك .

وتأمل للسيد (عيسى) عليه الصلاة والسلام — لما فر من بنى إسرائيل حين عظموه كيف عبد من دون الله تعالى .. ؟ ! فوقع في حال أشد مما فر منه .

وقالوا : أصل اختيار العبد إنما هو ظن العبد : أنه مخلوق لنفسه ، والحق تعالى ما خلق العبد إلا له سبحانه ، فلا يعطى عبده إلا ما يصح أن يسكوله تعالى .

وقالوا : لا تركز إلى شيء ، ولا تأمن مكر الله شيء ولا تغير شيء ، ولا تختار شيئاً ، فإنك لا تدري أتصل إلى ما اخترته أم لا .. ؟

ثم إن وصلت إليه فلا تدري ألك فيه خير أم لا .. ؟

ولا تقف مع شيء ، ولا تحزن على شيء خرج منك ، فإنه لو كان لك ماخرج منك . ولا تفرح بما يحصل لك من أمور الدارين سوى الله تعالى فإن ما سوى الله تعالى عدم ! ومن آدابهم : أن يرضوا بالدون من كل شيء تحبه النفس من شهوات الدنيا ، وأن يثبتوا إذا ضيق الله عليهم في المعيشة ثم لا يخفى أن من رضى بالدون من كل شيء تحبه النفس من شهوات الدنيا ، لم يقع بينه وبين أحد منازعة ولا خصومة ، واستراح قلبه وبدنه من التعب في تحصيل الزائد عن الحاجة .

فإن رزق كسرة من الشعير قنع بها وشكر الله عليها ، وإن رزق حبة قنع بها وشكر الله عليها .

ثم بعد ذلك إن جاءه أمر زائد أكثر من الشكر عليه باللسان والبدن .
ومن آدابهم : لا يقولون لمن قصدهم في حاجة : « ارجع وتعال إلينا في وقت آخر .
ولا ينعون سائلاً إلا لحكمة ، لا شحاً ولا بخلاً .
ومن آدابهم : كل موضع عظيمهم الناس فيه خافوا منه الفتنة لا يالفونه .
ومن آدابهم : قلة النحدث عن الأكل لأنهم جالسون حقيقة على مائدة الله تعالى ، والله
ناظر إليهم وإلى آدابهم ، وآثارهم وشكرهم له - عز وجل - :
وكذلك من آدابهم : لا يأكلون من وسط الإناء عملاً بخبر : « إن البركة لتنزل في
وسط الإناء فكلوا من حافته ، ولا تأكلوا من وسطه » .
ومن آدابهم : إجابة أخيهم التقي إذا دعاهم إلى طعامه ومن كلام سيدي (على الخواص) :
« إذا دعاك أخوك المؤمن التقي إلى طعامه فأجبه تسره .
ولا نجب ظالماً ولا فاجراً ، ولا من يعامل بالربا ، ولا من يخص الأغنياء بدعوته
دون الفقراء .
وإذا أكلت فلا تتحرك حتى ترتفع المائدة ، فإن ذلك من سنة السلف الصالح .
وإذا غسلت يدك فادع بالبركة ، واستاذن في الخروج) .
وفي وصية سيدي (على الخواص) : (لا تأكل وحدك ، وإلا في ظلمه ، ولا تضيق
من الطعام شيئاً ، فإن ما تقدم إليك لنأكله لا لرميه في الأرض) .
وليس من آدابهم : صرف وجوههم عن الحاضرين عند الشرب قال الشيخ نجم الدين
البكري « إذا شرب أحدكم فليشرب ووجهه إلى القوم ، ولا يصرف وجهه عنهم كما يفعل
العوام بقصد الاحترام » .
وإذا فرغ أحدكم من غسل يده ، فليدع لمن يصب عليه بنحو (طهر ك الله من الذنوب)
ومن آدابهم : إذا استبرأوا يحملون يدهم من داخل الثوب ويحافون من وقوع يدهم
اليمنى على (فرجهم) إكراماً للقرآن العظيم ، وكتب العلم ، والمسبحة التي يسبحون عليها .
ومن كلام الشيخ (أفضل الدين) : « إني لأستحي أن ادخل الحلاء » بثوب وقعت
فيه الصلاة أو قرىء القرآن .
وربما أترك القراءة إذا تكلمت كلمة قبيحة زماناً طويلاً حتى أنسى تلك الكلمة .

وكذلك أستحي أن أمسك (فرجى) يدي اليمنى ، وقد بلغنا عن بعض الصحابة أنه لم يمس فرجه يده اليمنى مذ بايع النبي - ﷺ .
ومن آدابهم : تقصير ثيابهم ، قال الحسن البصري — فى قوله تعالى : « وثيابك فطهر أى فقصر .

وكذلك من آدابهم — إذا لبسوا ثوباً جديداً — لا ينفلون عن قول : « الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ، ولا قوة » لما روى أبو داود ، عن معاذ بن أنس قال : قال رسول الله — ﷺ :

« من أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن لبس ثوباً جديداً فقال : الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

ومن آدابهم : إكرام أهل الحرف المشروعة ، وتنظيمهم بطريق الشرع لأنهم متخلقون بالآداب مع الله تعالى ومع الكون ، وإن كانوا لا يشعرون بذلك .
(الأنوار فى طبقات الأخيار الامام الشعرانى)

ومن أخلافهم هدم رد ما يأتيهم من الهدايا الحلال
إذا خافوا كسر خاطر ذلك المهدي

لا سيما الولاة الذين يشفعون عندهم في المظلومين ، فإنهم لا يعرفون مصطاح الفقراء
ويظنون أن الفقراء يشكرون فضلهم على ما يرسلونه لهم من الأرز ، والعلس ،
والعسل ، ونحو ذلك ، ولو أنهم أخبروهم بتسكينهم من إرسال شيء إليهم ربما أخذوا
في نفوسهم ، وصاروا يمارضون الفقير في شفاعاته في المظلومين ، ويتعبوا سره في التوجه
إلى الله تعالى في تحويل بواطنهم .

وقد قالوا : تحويل الجبل بتوجه الفقير أهون عليه من تحويل قلب أمير وذلك أن
الجبل لا عقل له ولا روية في الأمور التي تطلب منه بخلاف الأمير .

نعم إن كان الفقير محتاجا إلى أكل مثل تلك الهدية بالطريق الشرعي أكل منها ،
وإلا فرقها على من يستحق مثلها ، وقد فعلت مثل ذلك فيما يرسله الولاة إلينا من
الضحايا فحل محل ردنا لهدايا الولاة والأعمال كما مر في الكتاب أنه لو ترتب على ذلك
مفسدة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هدم الإنكار على نصيحة أحد من المسلمين

فإذا نصحو طالب علم مثلاً ، وقالوا له : اترك الاشتغال بالعلم الذى تشتغل به فلا ينبغي المبادرة إلى الإنكار عليهم ، وإنما يسأل من الشيخ لماذا منعتم فلانا من الاشتغال بالعلم الذى يقربه إلى الله تعالى ، وينظر جوابه فإن قال رأيت أنه غير مخلص فى طلبه فهو هذر شرهى ، وإن قال غير ذلك فلا يخفى حكمه وحله وقد كان سيدى أحمد الزاهد رحمه الله إذا رأى عند طالب العلم تكبر بعلمه أو هجباً واحتقار للناس يأمره بالإكثار من ذكر الله عز وجل ليظهر باطنه ورقه باطنه حجاباً وترك الاشتغال بالعلم وتفرغ لذكر فظهر باطنه وذهبت رهونات نفسه كلها وأشرف ببحره على الدار الآخرة وعرف ما ينفعه هناك من العمل وما لا ينفعه فهناك يكون الإخلاص فى العلم هو سبب ومغفرة الذنوب .

وهذا الأمر قل من يقوم بفعله من طلبه العلم بل يسارعون إلى الإنكار على الأشياء ويقولون : هؤلاء يمنعون الناس عن الاشتغال بالعلم الذى هو أفضل ما عبد الله تعالى به ، ولا ينظرون إلى ذلك الممنوع هل هو رأى بعلمه أم مخلص فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم هجرة أحد من المسلمين فوق ثلاث

لا سيما ان كانت الهجرة لحظ نفس لا لله عز وجل كما هو الغالب على الناس
وكل فقير هجر أخاه فوق ثلاث بغير حق ، فهو هاس لله تعالى ، ورسوله ﷺ ،
ولا يحل لأحد الاقتداء به لفسقه .

وقد كان سيدى عبد العزيز الدبرينى رضى الله تعالى عنه يقول : لا يليق بأمثالنا أن
يهجر أحدا من المسلمين ، وإنما يليق المهجر بالعلماء العاملين القواصين عن دسائس
النفوس ، فإن العبد ربما هجر أخاه لحظ نفس ويزعم أنه لله عز وجل .
ولعله هجره لعدم قضاء حاجة سأله فيها عند أمير .
أو لكونه لم يقم له فى محفل .
أو لكونه لم يهد إليه شيئا ونحو ذلك .

فيجب على العبد امتحان نفسه بما لو كان ذلك المهجر محسنا إليه بكل الإحسان
لا يخل بئىء من واجب حقه لكونه مرتكب معصية من المعاصى ، فإن رأيت محبته
قد زالت مع ذلك الإحسان إثارا لجناب الله عز وجل ، فليعلم أن هجرته لله تعالى ،
وإن رأى محبته باقية مع العصيان لكونه محسنا ، فليعلم أن هجرته إذا وقعت إنما هى
لحظ نفس من ترك إحسان ، أو قيام له فى المحافل ، ونحو ذلك وهذه ميزان تطيش
على الذر .

وقد رأيت خلقا كثيرا لا ينكرون قط على من يحسن إليهم ، ولو ارتكب من
المعاصى ما ارتكبه ، ثم إذا ترك الإحسان إليهم يميلون فيه العجر والبجر ، ويقولون
أن هجره واجب لما هو عليه من المعاصى ، مع أن لهم فى صحبته سنين عديدة ، وهو على
ذلك الحال .

فاليحذر الفقير من مثل ذلك الحال والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم حمل أصحابهم على المحامل الحسنه

فإذا عاثر صاحبهم أحدا من الفسقه لا يبادرون الغضب عليه ، وإنما ينبغى حمله على أنه صوبه ليسارقه بالنصح شيئا فشيئا ليرجع عما هو مرتكبه من المعاصي وهذا الخلق قل من يثبت فيه من الإخوان حيث يبادرون بالغضب على صاحبه إذا عاثر فائقا ويقول : هجرته لله عز وجل من غير أن يفش على قصده ، وهو جهل ، ورعونة نفس .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : إذا صاحب صاحبك الذي هو عندك من الصالحين أحدا من الأشرار ، فاعتقد صلاح ذلك الشخص ، واجعل إشاعة ذلك الشر من ذلك الرجل لاحقيقه لها إنما أشاعه هذه الحسدة ، وإن : لولا أن ذلك الرجل صالحا ما صاحبه صاحبي الذي هو صالح عندي انتهى .
لكن ينبغى تقييده بالصاحب الخاذق ، أما الساذج ، فلا مبرة باعتقاده الخير في الناس .

فانهم ذلك واعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم حضورهم مع الحق جل وعز في حال جماعهم لحلائهم

كما يحضرون مع الله تعالى حال صلاتهم ، بمجامع أن كلا منهما مشروع .

وسميت سيدي على الخواص وجهه الله تعالى يقول :

ما شرع الحق تعالى عبادة من العبادات الا يحضر العبد فيها معه تعالى ، فإنه تعالى

لا يصح للعبد الحضور معه إلا فيما شرع فقط .

وكان يقول : ينبغي للعارف أن يعزل شهوته لجمّة نفع حليته دون شهوة نفسه هو .

وقل من يتخلق بهذا المقام من الأقران إنما يغيب أحدهم بلذته حال جماعه عن ربه

فالحمد لله رب العالمين .

البَابُ السَّادِسُ

فِي جَمَلَةٍ أُخْرَى مِنْ الْأَخْلَاقِ

ومن أخلاقهم إكرامهم عيالهم وإعطاؤهم كل ما طلبوه من الحوائج

وإعطاؤهم فلوس الحمام كلما قربوا منهم ، أو ثمن الوقود .

ولا يبخل على عياله بمثل ذلك إلا من آيس له في طريق الصالحين نصيب .

نم لا يخفى أن شراء الوقود لتسخن به المرأة الماء في البيت أولى ، وأستر من ذهابها إلى الحمام ، كلما قرب منها زوجها ، لأنه ربما تكرر قربها منها في الجمعة المرتين أو الثلاث وذهابها إلى الحمام ثلاث مرات في الجمعة مما يلوث الناس بها فيه ، فيحصل لها خجل وحياء لا تطيقه .

وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يخفون فسلهم عن أهلهم لأن الحياء في مثل ذلك من الإيمان .

فليحذر الفقير من أن يدع الناس يلوثوا بعياله ويطلعوا عليهم كلما يجامعون وليعطيها أجرة الحمام أو ثمن الوقود أو يخدم عنها الجمار ، فيقرب منها كل خمسة عشر يوما مرة حتى يفهم أنها تفعل ذلك لتغتسل من الحيض كما أفق به عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض النساء والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم ذمهم لأصحابهم الصادقين في محبة
الطريق إذا خافوا عليهم عجباً بحالهم

فيقولون إن أصحابنا هؤلاء ما شحوا لطريق القوم رائحة ، وليس بيننا وبينهم
في الباطن رابطة ، ولا مقدار شعرة ، ونحو ذلك ، ويوردون ما أمكن .

ثم من علامة صدق التلميذ فرحه بذلك بين الناس ، ومتى تكسر ، فقد خان عهد
شيخه ، وأظهر للناس كذبه في محبة الطريق وأنه لم يشم من طريق القوم رائحة ، وإن
شيخه صادق في ذمه ، ولا يحتاج فيه إلى تورية .

وقد درج السلف الصالح الذين أخرجهم سيدي أحمد الزاهد على ذم تلامذتهم ماداموا
في السلوك . ولا يذكرون لهم كلاً إلا عند انتهاء سلوكهم عادة ، وذلك لينتفع الناس
بهم ، ويجنوا ثمرة مجاهداتهم بل قال سيدي أحمد الزاهد في مرض موته :
إني خارج من الدنيا وما أحد من أصحابي شرب من مشروبي^(١) .

فقالوا له : ولا مدين .

فقال : ولا مدين .

وذلك لينهض همته بعده والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول الإمام القشيري : وإذا أحكم المرید عقده ، فيجب أن يحصل من علم
الشريعة ، إما بالتحقيق ، وإما بالسؤال عن الأئمة ما يؤدي به فرضه ، وإن اختلف عليه
فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط ، ويقصد الخروج من الخلاف ، فإن الرخص في الشريعة
للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال .

وهؤلاء البطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، ولهذا قيل : إذا انحط الفقير
عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله ونقض عهده قياً بينه وبين
الله تعالى .

ثم يجب على المرید أن يتأدب بشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً .
هذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان .

وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها ثورق ، ولكن لا تثمر . كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فهو طابد هواه ، لا يجد نفاذا .

ثم إذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله سبحانه من كل زله ، فيدع جميع الزلات : سرها وجهرها ، صغيرها وكبيرها ، ويجتهد في إرضاء الحصوص أولا ، ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء . وعلى هذا المنحوجروا ، ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق والشواغل ، فان بناء هذا الطريق على فراغ القلب .

وكان الشبلى يقول للحصرى في ابتداء أمره : إن خطر بيالك من الجملة إلى الجمعة الثانية التي تأتي فيها غير الله تعالى فحرام عليك أن تحضرني .

ومن شرطه : أن يكون له بقلبه اعتراض على شيخه فاذا خطر ببال المريد أن له في الدنيا والآخرة قدراً أو قيمة ، أو على بساط الأرض أحد دونه لم يصح له في الإرادة قدم ، لأنه يجب أن يجتهد ، ليعرف ربه ، لا ليحصل لنفسه قدراً .

وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه ، إما في عاجله وإما في آجله ، ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه ، ولو كنتم نفسا من أنفاسه عن شيخه فقد خانته في حق محبته ، ولو وقعت له مخالفة فيما أشار عليه شيخه ، فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت ، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جانيته ومخالفته ، إما بسفر يكلنه أو أمر يراه .

ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين ، لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى ، وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار ، بل يجب أن يقدم التجربة له ، فاذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فيئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء ، فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل ، والفقر والأسقام والآلام ، وأن لا يمنح بقلبه إلى السهولة ، ولا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات ، ولا يؤثر الدعة ، ولا يستشعر الكسل فان وقفه المريد شر من فترته والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها ، والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل . وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء .

ومن أخلافهم أن لا يكتفى أحدهم بمعيشته في حسن سلفه

فإن سلفه إنما عملوا لأنفسهم ، وليس لذريتهم من أعمالهم نصيب .

فكما اجتهد سلفهم ، حتى عاشوا في حسن أعمالهم عادة ، فكذلك يكون الحكم في حق ذريتهم ، فما دام الناس يكرمونهم لأجل سلفهم ، فهم لم يبلغوا مقام الرجال .

وقد أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه قال : مكنت في بدايتي نحو عشر سنين أعتقد أن ولد الشيخ بطلع شيخنا بالخاصية من غير عمل ، حتى أرشدني شخص إلى طلب سيدى محمد السروى ، فعلت أننى ما كنت على شيء .

وهذا الأمر قل من يتخلص منه من أولاد المشايخ ، فلا يكاد أحدهم يكتسب فضيلة اكتفاءً بحده .

وقد انخرمت هذه القاعدة في فرع من ذرية شيخنا المذكور آنفاً ، فلم يكتف والده الشيخ عبد القدوس بكونه ابن سيدى محمد الشناوى بل جاهد بعد والده مجاهدة الرجال ، حتى بلغ مبلغهم في الأحوال الظاهرة ، والباطنة ، وكذلك هم بوادى رحل ولده المسمى بعبد القدوس الموجود ولم أجد أحداً من أهله حذاً حذوه في محبة القرآن والذكر والعلم وإطعام الطعام وإغاثة الألهفان ونحو ذلك حتى أنه عمر الزاوية بعد والده فكانه لم يمض فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم هينا لينامع أخوانه في كل معروف

فإن حضر مع قوم يذكرون ذكر المفاربه ذكر الله تعالى معهم كذلك .

أو ذكر المعجم ذكر الله تعالى معهم كذلك .

أو ذكر المطاوعة ذكر معهم كذلك .

أو ذكر الهنود ذكر معهم كذلك .

أو ذكر الشناويه والاحديه والبرهاميه ذكر معهم كذلك حتى كأنه واحد منهم .

وهذا الأمر لا يفعله إلا من كان له ذوق في طريق الأدب أما الجامد ، كالحجر ،

غريما جلس بعيد عن الذاكرين وقال هذا الذكر ما هر طريقه شيخنا ، أو هذه الصلاة

على رسول الله ﷺ ما هي طريقنا ، فينوت نفسه خيرا كثيرا ، وربما جفاه قلوب

أولئك الذاكرين .

وقد رأينا جماعة كثيرا من الاشياخ يذكرون ذكرنا على غير طريقه أشياخهم منهم

سيدي محمد السروي ، وسيدي أبو السعود الجارحي ، وأقرهم أشياخهم في حياتهم على

ذلك لعلم الشيخ أن ذلك لا يؤثر في صحة اقتدائهم بهم ^(١) .

(١) يقول الدكتور عبد الحليم في كتابه المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي :

وأمر آخر أريد أن أعترف به وأن أشرح وجهة نظري فيه :

ذلك أني لم أنحدث عن وسط أبي الحسن وبيئته الإجماعية ، ولم أنحدث عن شيوخه

الذين يكثر بعض المؤرخين من ذكرهم ، اللهم إلا عن المولى الكبير سيدي عبد السلام

بن مشيش .

وإذا كنت لم أنحدث عن الوسط وإلا عن الشيوخ فانما فعلت ذلك متعمدا إني فقط

هن مبدأ وعن رأي قد ترويت فيه وتأملتته .

إني أرى في صراحة أن هؤلاء الذين يكتبون عن الصوفيه فينحدثون عن الوسط

والبيئة وعن الأسانذة والشيوخ ليقولوا بعد ذلك أن الصوفي تأثر وقلد وأخذ ، وأن

فكرته هذه يدين بها لفلان ، وفكرته تلك يدين فيها للوسط الفلاني . . إن هؤلاء الذين

يدينون بالآلية في الفكر الصوفي أو بأن الصوفي مرآة تعكس صور المجتمع والمربين ،
وتعكس فيها أفكار المجتمع والشيوخ ، ويأخذون في تحليل آراء الصوفي وتفصيلها
وتشريحيها من أجل أن يعزوا كل فكرة إلى مصدر يختلف عن مصدر الفكرة الأخرى
للصوفي نفسه ، إن هؤلاء الذين يصنعون ذلك مخطئون .

فالصوفي لا يكون صوفياً بالقراءة ، أو الدراسة والبحث ، حتى ولو كانت هذه
القراءة والدراسة في الكتب الصوفية نفسها وفي المجال الصوفي خاصة .

وقد يكون شخص من أعلم الناس بهذه الكتب : درسها دراسة باحث متأمل ،
وعرف قديمها وحديثها ، ويزين الزائف منها والصحيح ، وصنفها زمناً وميزها أمكنه .
وهو مع ذلك لأسهم له ، في قليل ولا في كثير ، في المجالات الصوفية .

والقد درس الإمام الغزالي كتب الصوفية المحققين ، درسها دراسة تعمق وتأمل ، لقد
درس كتب الحارث المحاسبي ، وكتب أبي طالب المكي ، وما روى عن الجنيد ، والشبلي ،
 وغيرهم ، ثم اعترف بأن ذلك لم يجعله صوفياً ، ولو اقتصر على القراءة ، مهما كانت عميقة ،
لما كان له في التصوف نصيب . ليست قراءة كتب الصوفية سلماً يرقى به الإنسان في معارج
القدس . وابن سينا درس التصوف في كتبه الأصلية وخاطب الصوفية وتحدث إليهم ، وكتب
في التصوف فصولاً توج بها كتابه الذي كان يعتز به وهو كتاب الإشارات والتنبهات . . .
ومع ذلك فإن ابن سينا لم يصير بذلك صوفياً ولم يجعله دراسته للتصوف وكتابته عنه في
عداد الصوفية .

ثم إنه قد يكون الصوفي أمياً لم يقرأ فلسفة ، ولم يجهد نفسه في بحث .
والحديث إذن عن المصادر والبيئة والأساندة والتقليد والتأثر . . . في مجال التصوف
إنما يقوم على أساس فاسد ، وكل من ينهج هذا النهج من الكتاب عن التصوف إنما يسير
في طريق زائف ، ويقف فوق جدار منقوض ، ويعتمد أسس تنقضها حياة الغزالي وحياة
ابن سينا وحياة الحواص وحياة عشرات غير هؤلاء .

هذا الطريق الزائف سار فيه المستشرقون ، وحاولوا ما استطاعوا أن يقفوا بكل
فكرة في الجوف الصوفي عند مصدر أجنبي ، وأن يجدوا في تراث كل صوفي مسلم الوانا من
أفكار سابقة في الزمن مختلفة أو متحدة في البيئة . سار المستشرقون في هذا الطريق
للضال فضلوا أو أضلوا .

لقد ضلوا أو لم يثبات لهم - بعد أكثر من قرن ونصف أى يصلوا إلى نتائج موحدة ،
أو يقينية أو شبه يقينية ، بل لقد ظهروا بمظهر لا يغبطون عليه ، وذلك أن الكثير منهم
كان يرى الرأى اليوم : يؤيده بما شاء من كل شاردة وواردة ، ويتلقف من أجله كل خبر
ورواية ، ويخرجه للناس على أنه الحق الذى لأمرأه فيه ، ثم ينقضه هو نفسه من الغد ،
فيخرج برأى آخر مغاير : يؤيده بما شاء من كل شاردة وواردة ويتلقف من أجله كل
خبر ورواية .

لقد فعل ذلك المستشرق « ثولك » فاعلن مجوسية التصوف الإسلامى ثم عدل عن
ذلك وأعلن إسلاميته . وفعل ذلك « نيكولسن » فاعلن أفلاطونية التصوف الإسلامى
ثم أعلن إسلاميته فى جوهره : وأخذ للمستشرقون يتحدثون عن مشكلة وهمية هى مشكلة
مصادر التصوف ولا يزالون مختلفين .

وجارى للشرقيون المستشرقين فى الحديث عن مصادر التصوف وكما اختلف
المستشرقون فقد اختلف الشرقيون ولا يزالون مختلفين .
سيستمر الخلاف لأن النقاش إنما هو عن مشكلة وهمية ، وسيستمر الخلاف لأن
وضع المشكلة خطأ .

إنهم يتحدثون عن مصادر ثقافية على اعتبار أن التصوف ثمرة ثقافة كسبية ، وما دام
ثمرة ثقافة كسبية فإنه إذن يتأثر بالوسيلة التى أدت إليه ، أى بالثقافة الكسبية التى كانت
ثمرة لها .

ولكن التصوف ليس ثمرة لثقافة كسبية ، إن الوسيلة إليه ليست هى الثقافة ، ولكن
الوسيلة إليه إنما هى العمل ، إن الطريق إليه إنما هو السلوك .

والمعرفة للناشئة عن العمل والسلوك هى إلهام . وهى كشف ، وهى مثلاً أعلى أنعكس
على البصيرة المجلوة فتذوقه الشخص حالا ، وأحس به ذوقاً وأدركه إلهاماً وكشفاً .

فهل يتأتى والحالة هذه أن نتحدث عن مجوسية التصوف الإسلامى ، أو عن
أفلاطونيته ، أو فارسيته ، أو هندية ؟

سار المستشرقون فى طريق خطأ ، وجاراهم الشرقيون فضلوا بضلالهم ، بيد أن
المؤسف هو أن الناس ألفوا الحديث مما سماه المستشرقون مصادر التصوف الإسلامى ،

وشارك في الحديث عنها القارئون والسامعون ، وهكذا لبس الوهم صورة الجسد ، واتخذ الزائف مظهر الصحيح وكان نقاش وكان جدل ، وما زال النقاش وما زال الجدل وسيستمر ذلك إلى أن يصحح الوضع .

وتصحيح الوضع إنما هو بحذف الوهم الذى اتخذ صورة الجسد ، وبحذف الزائف الذى لبس مظهر الصحيح : أى بحذف ما يعمرون عنه بمشكلة « مصادر النصف » .

ومن أجل ما تقدم لم أكتب من « مصادر » أبى الحسن وإذا كنت قد كتبت عن سيدى عبد السلام بن مشيش فلأنما كتبت عنه كموجة ، موجه فقط ، والموجه ليس هو الموحى وليس هو الملهم ، ليس الموجه بصيرة ترق وتنشف ، ولا سراً يصير مرآة مجلوة يحاذى بها الصوفى شطر الحق ولا مثلاً أعلى يتمكنس على بصيرة الصوفى فيتذوقه ويحسه ويشهده ، ولا مبادئ تلقى فى الروح فيدرأها الصوفى سارية فى كيانه كله .

لقد تحدثت عن سيدى عبد السلام بن مشيش كموجة ، ولا بد للسالك من موجه ، لا بد له من شيخ يقوده ، لا بد له من خبير يرشده .

يقول الأستاذ رينيه جينو الفيلسوف الفرنسى المعروف :

ولا بد فى النصف من شرط جوهرى هو « للتأثير الروحى » او ، بتغير أدق البركة « وهو لا تأتى إلا بواسطة « شيخ » ومن هنا كانت « الطرق » ومن هنا كانت « السلسلة » ،

وهل السلسلة إلا بركات تنتقل من شيخ إلى مرید يوشك أن يصبح شيخاً فيؤثر بدوره فى مرید أو مریدين ! » ا هـ .

ويقضى الأستاذ رينيه جينو بالبركة « السر » الذى ينتقل من الشيخ إلى المرید حينما تلتقى يد المرید بيد شيخه معاهداً إياه على الإستقامة .

وإذا كان الأستاذ رينيه جينو يرى ضرورة الشيخ من أجل « السر » فإن الإمام الرازى يرى ضرورة للشيخ لأن :

« من سلك طريقاً وعرف مراحلها ومنازلها وأطلع على متالفا ومطاطبها ، أمكنه إرشاد الغير إلى سواء السبيل ، والإخبار عن كيفية تلك الأحوال على التفصيل » ا هـ .

إلام تستمر مهمة الشيخ ؟

إنها تستمر إلى أن يرتبط السالك بالسما ، إلى أن يشرق عليه المثل الأعلى ، إلى أن

وقد دخل على مرة سيدى محمد الشناوى وأنا فى مجلس الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ التى هى طريقه الشيخ نور الدين الشونى فعلى معنا ، وذكر على صورة ذكرنا .
فقلت له : ياسيدى ندوم على هذا المجلس أونجمل مكانه ذكر الله تعالى على طريقتم
فقال لى : دم على ما أنت عليه .

فكان ذلك من جملة طريقه لتفريده لى عليه .

وكذلك سلك سيدى مدين فى اللبس طريقة خلاف ما كان عليه شيخه سيدى
أحمد الزاهد وأقره شيخه على ذلك ، ودام سيدى محمد الغمرى أخوه فى الطريق على
التنقش فى اللبس ، كما كان الزاهد ، وأقره شيخه كذلك عليه فاعلم ذلك وأعمل به
والحمد لله رب العالمين .

يتمكن فى المجال الروحى ! ومن هنا كان طبيعيا أن يقول أبو الحسن - وقد سئل
عن شيخه - :

« أما فيما مضى فكان سيدى عبد السلام بن مشيش .

وأما الآن فأستقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية ، أما السماوية فجبريل
وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح ، وأما الأرضية فأبو بكر وعمر وعثمان وعلى
والنبي صلى الله عليه وسلم » اهـ .

وليس معنى ذلك إفتصال المريد عن شيخه إفتصالا تاما ، فإنما معنى ذلك أن الشيخ رأى
بنور الله أن تلميذه قد قطع الطريق ، وأنه أصبح جديراً بأن يرشد السالكين إلى الله ،
فيأذن له بالإرشاد ، ويبارك خطواته وتوجيهاته فى الدعوة إلى الله . . . ويشرق بذلك
فى العالم نور جديد ، ويتالق فى سماء الروح كوكب مشرق ، وتسعد الإنسانية بها وإلى
الله وينى التراث الروح للإنسانية بإشراقات جديدة قريبة العهد من الله .

ومن أخلاقهم المحافظة على الفرائض والسنن الشرعية وحفظ ظاهرهم
من مخالفة الشريعة في شيء من أحوالهم

خلاف ما عليه طائفة من الشياطين ظهوروا في النصف الثاني من القرن العاشر
وادعوا عند العوام أنهم من أولياء الله للملامية^(١) ووافقهم العوام على الولاية لجهلهم
بالشريعة ، أو بطريق للملامية فاعتقدوهم مع شربهم الخمر ، وأكل الحشيش ، وتقبيل

(١) يقول السهروردي في عوارف المعارف في ذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم:
فقوم من المقتونين صموا أنفسهم ملامية (والإمام السهروردي يقصد هنا إدماء هذا
المذهب ، ولا فالملامية لا يتركون شيئاً من المأمورات الشرعية كما سيأتي ذكره بعد قليل)
ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها إلى الصوفية وما هم من الصوفية بشيء بل هم في غرور
غلط يستترون بلبسه الصوفية توقيتاً تارة ، وينتهجون مناهج أهل الإباحة ، ويزعمون أن
ضمايرهم خلصت إلى الله تعالى ، ويقولون هذا هو الظفر المراد ، والإرتسام بمراسم
الشريعة رتبة العوام ، والقاصرين الأفهام المنحصرين في مضيق الإقتداء تقليداً ، وهذا هو
عين الإلحاد والزندقة والإبعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي ، زندقة ، وجهل هؤلاء
المغرورون أن الشريعة حق للعبودية ، والحقيقة هي حقيقة العبودية ، ومن صار من أهل
الحقيقة تقيد بحقوق العبودية ، وحقيقة العبودية ، وصار مطالباً بأمور وزيادات لا يطلب
بها من لم يصل إلى ذلك ، لا أنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ، ويخامر باطنه الزينج
والتحريف .

عن عمر بن الخطاب : إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله ﷺ
وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فن أظهر لنا خيراً أمناه
وقربناه ، وليس إلينا من سريره شيء ، الله تعالى يحاسبه في سريره ، ومن أظهر لنا
سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سريرتي حسنة .

وعنه رضى الله عنه قال : من عرض نفسه لائم فلا يلوم من أساء به الظن .
فإذا رأينا متهاوناً بحدود الشرع ، مهملاً للصلوات المفروضة ، لا يعنى بمحلاوة التلاوة
والصوم والصلاة ويدخل في المداخل المسكروحة المحرمة زرده ولا تقبله ، ولا تقبله
دعواه أن له سريرة صالحة .

النساء والمردان ، وصاروا ينجبون عنهم ، ويقولون هؤلاء مجاذيب لا يشهدون إلا الله تعالى وذلك زور وبهتان .

وكأن لسان حال هؤلاء المعتقدين لهم يقول :
أن رسول الله ﷺ لم يبعث بالشريعة إلى مثل هؤلاء ، وإن الشريعة التي خالفها هؤلاء كذلك كذب ، وايدست عن الله تعالى ، وذلك كفر صريح .
وأما ظنهم أن الملامتية لا يتظاهرون بأحكام الشريعة ، فهو كذب عليهم إذ الملامتية في مصطلح القوم هم أكابر الرجال وهم على قدم الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ^(١) لا يتركون شيئاً من المأمورات الشرعية ^(٢) .

(١) يقول أبو بكر الواسطي : (أول لسان الصوفية ظهرت في هذه الأمة على لسان أبي بكر رضي الله عنه إشارة فاستخرج منها أهل الفهم لطائف توسوس فيها العقلاء .
ويقول السراج في ذلك : إنه يشير بهذا إلى قوله أبي بكر عندما سأله النبي ﷺ :
إيش خلقت أعيالك ؟ .
قال : الله ورسوله .

فهو إشارة جليلة لأهل التوحيد في حقائق التجريد .
وقال الجنيد البغدادي : أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر : سبحان من لم يجعل
لأخلاق طريقاً إلى معرفته إلى بالعجز عن معرفته .

(٢) ونشرح هنا فيما نقتطفه من أقوال السهروردي والمجويري حال الملامتية :
يقول السهروردي في عوارف المعارف : قال بعضهم : الملامى هو الذي لا يظهر
خيراً ولا يضر شراً وشرح هذا هو أن الملامى تشربت عروقه طعم الإخلاص وتحقق
بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله .

فاللامتية لهم مزيد اختصاص بالنمساك بالإخلاص ويرون كتم الأحوال والأعمال ،
ويتلذذون بسكنها ، حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما
يستوحش العاصي من ظهور معصيته .

فاللامتى عظم وقع الإخلاص وموضعه ، وتمسك به معتدا به . والصوفي غاب في
إخلاصه عن إخلاصه .

فالملاقى وإن كان متمسكا بعروة الإخلاص ، مسنفرشا بساط للصدق ، ولكن بقي عليه بقية رؤية الخلق ، وما أحسنها من بقية نحقق الإخلاص والصدق .

والصوفي صفاء من هذه البقية في طرفي العمل والتترك للخلق وعزلهم بالكلية ، ورآهم بعين الغناء والزوال ، ولاح له ناصية التوحيد ، وطاب سرقوله (كل شيء هالك إلا وجهه) . ويقول المجهوري في كشف المحجوب : أعلم أن مذهب الملامة في هذه الطريقة ، نشره شيخ زمانه أبو حمدون القصار ، وله في حقيقة الملامة لطائف كثيرة . ويرد عنه ، رحمة الله عليه ، أنه قال :

(الملامة ترك السلامة) وإذا تعمد شخص ترك سلامته ، وأحاط نفسه بالبلايا ، وتبرأ من المألوفات والراحات جميعا - أملاني كشف الجلال وطلب المآل - حتى يئأس من الخلق ، ويقطع طبع ألفته منهم ، فإنه كلما كان أكثر انقطاعا عنهم ، كان أكثر اتصالا بالحق . فكل ما يقبل عليه كل خلق العالم - وهو السلامة يعرض عنه أهل الملامة ، لتكون همومهم مخالفة للهموم ، وهمتهم مخالفة للهمم ، ويكونوا وجدانيين في أوصافهم ، كما روى أحمد بن فاتك عن الحسين بن منصور أنه سئل : من الصوفي ؟ فقال : وجداني الذات .

ويرد عن أبي حمدون أنه سئل على الملامة فقال : إن طريقها صعب ومغلق على الخلق ، ولكن أقول عنها شيئا ، فهي « رجاء المرجئة ، وخوف القدرية » وتحت هذا المعنى رمز . أعلم أن هذا الطبع لا يكون أشد نفورا من حضرة الله تعالى بشيء إلا بالقدر الذي يكون كافيا لجاء الخلق ، كأن يقول عنه شخص أنه رجل طيب ويمدحه ، فيه روحه وقلبه ، ويتخلف به عن الله تعالى . فالحائف يجتهد دائما أن يكون بعيدا عن موضع الخطر ، وفي هذا الإجهاد يكون للطالب خطران : أولهما ، الخوف من حجاب الخلق ، والآخر ، منع الفعل الذي أدانه الخلق به ، فيطيلون عليه لسان الملامة ، فلا هو يركن إلى جاههم ، ولا هو بقادر على أن يجعلهم مذنبين بعلامته . فينبغي للملاقى أولا ، أن يقطع الخصومة الدنيوية والأخروية عن الخلق بما يقولونه ، وأن يعمل لنجاة قلبه عملا لا هو بالكبيرة ولا بالصغيرة في الشرع ، ليرده الخلق ، حتى يكون خوفه في المعاملة كخوف القدرية ، ورجاؤه في معاملة اللاتمين كرجاء المرجئة .

قليلته الأخوان لمثل ذلك فقد أجمع مشايخ الطريق على أننا رأينا شخصا متربعا في الهواء لا يجوز لنا اعتقاده إلا بعد أن ننظر حاله عند الأمر والنهي ، فربما كان ذلك المتربع شيطانا فعل ذلك ، ليغوى الناس .

وصحبت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول : الملامية عند القوم هم من أحكم علم الشريعة وعمل به ، وأخفى بعض الأعمال التي تميزه عن أقرانه فقط لا من تظاهر ، بتعدى حدود الشريعة ، فإن ذلك شيطان في صورة إنسان لا يجوز لنا اعتقاد الولاية فيه .

وأما الذين يقلبون صورة الحشيش إلى الخلاوة ، أو الحر إلى السكر ، فأولئك أرباب أحوال ، وقد صرح أهل الطريق بعدم الاقتداء بهم ، وما يفسدونه أكثر مما يصلحونه .

فإياك يا أخى والخروج عن ظاهر الشريعة ثم إياك والحمد لله رب العالمين .

ولا يوجد في حقيقة المحبة شيء أطيب من الملامة ، إذ ليس للملامة الحبيب أثر على قلب الحبيب ، ولا مرور للحبيب إلا على حى الحبيب ، وليس للأغيار خطر على قلب الحبيب ، لأن الملامة روضة العاشقين ، ونزهة المحبين ، وراحة المشتاقين ، ومرور المرئيين . وهذه الطائفة من الثقلين مخصوصون بعلامه الجسد من أجل سلامة القلب ، ولم تكن لأى أحد من الخلائق المقربين والكرويين والروحانيين هذه الدرجة ، ولم تكن هذه للترتبة أيضاً لمن كانوا من الزهاد والعباد أعيان الخلق من الأمم السابقة إلا لهذا الفريق من هذه الأمة الذين سلكوا طريق انقطاع القلب .

أما عندى ، فطلب الملامة عين الرياء ، والرياء عين النفاق ، لأن المرأى يسلك الطريق الذى يقبله الخلق ، والملاقى يسلك بالتكلف الطريق الذى يرد الخلق . وهذان الفريقان ظلوا في الخلق ولا يخرج لهم منهم ، حتى تكون طائفة قد خرجت بهذه للعامة ، والأخرى خرجت بتلك . ولا يخطر على قلب الفقير غير حديث الحق ، وحين يقطع قلبه عن الخلق يكون فارغا من هذين للمبينين ، ولا يقبده شيء .

ومن أخلاقهم : كثرة صفحهم وحلمهم على من خاطبهم بقلب خائن

وإن كان الأدب من المرید أن لا يخاطب شيخه إلا مع حضور القلب ، وذلك تخلفا بأخلاق الله تعالى في هدم معاجلته بالمعقوبه على من نجاه بقلب غافل ، ولو أن الشيخ كَان مريده أن لا يخاطبه إلا على الحضور الكامل -كلفه شططا ، ثم لا يقدر على الدوام على ذلك ، لأن مالا يطيق غالب الناس المداومة عليه مع الله العظيم ، فكيف يقدر على المداومة عليه مع بعضهم بعضا على أن ذلك إن وقع من الأشياخ ، فإنما هو على وجه الادمان فيهم ليترقى المریدون به إلى مقام مخاطبة الله تعالى على الحضور ، فكأنهم يقولون للمرید : لا تخاطبنا قط إلا مع الحضور بقلبك معنا لتترقى إلى الحضور بقلبك إذا خاطبت ربك عز وجل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم بداعة : من يروونه محتاجا بالعطية

ومنى قالوا لهم ، فقد خرجوا من طريق التوم لإخلاقهم بواجب حق أخيرهم)
(١) فبمن نبدا فقال بمن يرق قلبكم عليه أكثر .

وهذا الخلق من جملة أخلاق المريدين فضلا عن العارفين ، وقل من يفعله الآن من مشايخ هذا الزمان .

وقد ادعى شخص من أكابر فقهاء هذا هذا العصر أنه يحبني مثل ولده ، وحلف على ذلك ، فسألته أن يرب لي نصفًا من العشرين نصفًا التي له في الجوالي كل يوم ، فحك خلف أذنه وقال : حتى أجد في نفسي واردا بذلك فله الآن عشرون سنة ، ولم يجيبته وارد ، فأين دعواه للمحبة ، وما هكذا درج السلف الصالح الذين أدركناهم .

وأصل ذلك لإحكامهم مقام الزهد في الدنيا قبل التشيخ ، وقد هدت عائلة هذا الشيخ فوجدتهم خمسة أنفس فقط اللهم إلا أن يزعم ذلك الشيخ أطلعه كشفه هل أنه لا نصيب للسائل فيما سأل أو لا يدعي أن ذلك الشيء يعطى السائل ، فينبغي التسليم له ، لأنه لم يمنع عن بخل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثره سترهم لعورات المسلمين التي يسرون بها ولا يعلنون
وإذا اطلع أحدهم على عورة لا يحدث بها أحدا من أصحابه فضلا عن إهدائه تخلفه
بأخلاق الله تعالى ، وطلبها لأن يستر الله تعالى عورته في الدنيا والآخرة ، فإن الله تعالى
يجازى العبد من جنس عمله .

ومن صحبته من أهل هذا المقام الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني والشيخ سراج
الدين الخانوتي وسيدى أحمد الراشدى وسيدى محمد الظاهرى موقع السلطان ، فجزام
الله تعالى عن المسلمين خيرا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم كثره توبيخ نفوسهم إذا أطلعوا على عورة أحد المسلمين
ويقولون لها لولا تشوئك للاطلاع على عيوب الخلق ما وقعت على عورة أحد ،
ولو كنت كارهة لذلك لحاك الحق من ذلك انتهى .

وأعرف جماعة إذا اطلعوا على عورة أحد لا يحدثون بذلك نفوسهم بعد الاطلاع
إنما ينسون ذلك ، حتى كأنهم لم يطلعوا على عورة أحد ، وإن وقع أن أحدهم حدث
بذلك نفسه ندم واستغفر الله تعالى كما يندم ، ويستغفر إذا شرب خرا ، فجزام الله تعالى
عن أخوانهم خيرا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هدم ازدرائهم للناس إذا وقعوا في معصية وإنما يخافون
أن يبتلوا بما ابتلى به من المعاصي

ومن كان هذا مشهده ألقاه عن احتقاره الناس وفي الحديث من غير أخاه برضاع
كلبه لم يمت حتى (١) انتهى .

ووقع ذلك لبعض الصحابة تصديقاً لكلامه ﷺ ، فالعاقل مشغول بهم نفسه
إذا رأى أحداً في معصية وقع خوفاً أن يقع الآخر فيها ، فإنه معرض لمثل ذلك لاسيما
الأكابر من العلماء والفقهاء لشدة إتهامهم لأنفسهم ، فيقول العاقل لنفسه : إذا كان هؤلاء
الذين هم في المقام قد وقعوا في هذه الرذيلة ، فكيف أسلم أنا .

وكان سيدي علي الخواص يكنى عن مثل ذلك ويقول : إذا كان الخلو ضرب مقارع
فكيف بالخامض والحمد لله رب العالمين .

(١) مطبوس من الأصل .

ومن أخلاقهم : الاعتناء بستر عورة عدوهم
أكثر من عورة صديقهم

لأن كشف عورة العدو ربما يمازجه الشك أنه به ، ولم تسمح نفس العدو ببراءة ذمته
من مثل ذلك .

وقد قيل لمالك بن دينار : هل تحب النصيح في الملأ ؟
فقال : أما من عدوى فلا .

فإياك يا أخى والنسأهل بإشاعة كلام فيه نقص لعدوك ، وتزهيم أنك ما أشعت ذلك
هذه إلا لكونه تجاهر به ، فإن الناقد بصير ، وهذا من أعظم أخلاقهم ولا يكاد يتخلق
به إلا من راض نفسه كل الرياضة .

وقد كان سيدى علي الخواص يجيب عن أهدائه بأحسن جواب ، وما مسمته قط
بذكر عدوه بنقص لا نصريحاً ولا تعريضاً فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هدم المبادرة إلى الإنكار على عالم أو صالح
نقل عنه غلطة في الشريعة أو زلة من الزلات

إنما يتربصون ويقتشون حال ذلك الشخص على ما نقل عنه فإن وأوا مثله يقيم في مثل
ذلك سكتوا وإن رأوا مثله يبعد وقوعه فيه أجابوا عنه بأحسن جواب ، ويقولون :
هذا كذب واقتراء على فلان ، وهذا من محاسن أخلاقهم ، وقل في هذا الزمان من ثبت
في مثل ذلك من الفقراء الذين ظهروا في النصف الثاني من القرن العاشر ، إنما يصير
أحدهم يقول : مادريتم ماجرى فلان وقع منه كذا وكذا ، ويجعل أن ذلك الأمر وقع
منه ، وربما كان كذبا وزورا عليه فنعمته تلامذته القاصرون على قوله يصيرون يحكون
ذلك للناس ولا يعارضهم أحد فيه يقولون : مثل سيدى الشيخ لا يكذب ولا يحكى إلا
الصحيح ، وقد حدث لى ذلك لما دسوا فى كتبى مادسوا ، فصار بعض المشايخ يحكى ذلك
حتى على سبيل القطع ، ويقع هو وأصحابه فى عرضى ، فالحمد لله يغفر لنا ولهم فإياك يا أخى أن
تقع فى مثل ذلك ثم إياك والحمد لله رب العالمين ^(١) .

(١) ولعل ما يجمع الأخلاق الخمسة الماضية قول الله تعالى : (لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول إلا من ظلم وكان الله مهيماً عليهم) .

عدم محبة الله سبحانه وتعالى لشيء كناية عن سخطه على من يتكلم بالسوء إلا جهر
للظلم فإن له أن يجهر برفع صوته بالدعاء على من ظلمه أو يذكر ما فيه من السوء تظلماته
مثل أن يذكر أنه سرق متاعى أو غصبه منى ولو سبه أحد ابتداء فله أن يرد على الشاتم له .
وسبب نزول هذه الآية : أن رجلاً ضاف قوماً — أى تاهم ضيقاً — فلم يطعموه
فاشتكاهم فعوقب على الشكاية فنزلت . ومناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه سبحانه لما فرغ
من بيان إيراد رحمة وإظهار رأفته بقوله (ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم وكان
الله شاكراً عليهم) .

جاء بقوله سبحانه (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله مهيماً
عليماً) .

تسمياً لذلك فكأنه قيل : إنه يحب الشكر وإعلانه ويكره السوء وإعلانه .

ويمكن لنا أن نأخذ من هذه الآية من التوجيهات ما يفيد المجتمع الإسلامي سواء في حياة الفرد أو الجماعة فقلوله تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) نهي مطلق عن إيجاد أى نوع من المراء بين الأفراد بعضهم مع بعض ، فإن إعلان السوء والتحدث به يزيد في كره الناس لبعضهم بل ربما يؤدي إلى زيادة الشحنة فتتطور الأمور بين المتخاصمين إلى مالا تحمد عقباه .

يقول الله تعالى (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) ويقول تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) فإن الصبر على اعتداءات الناس وتركها لتعريف الله عز وجل — وهو خير منتقم — هو النموذج الأمثل لما يجب أتباعه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى وقال حديث حسن : (المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) وإذا تذكر كل مسلم دائماً أن الأخوة بين المسلمين هي للشعار الإسلامي في كل زمان ومكان استصغر شأن العداوة في نفسه ولم يفكر في إهانة أخاه المسلم أو تحقيره بين الناس ولا يتعرض لسخف الله عز وجل بسبب الجهر بالسوء من القول .

عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) بل نحن مأمورون بمرأاة هذه الإخوة في كل وقت من الأوقات وليست خاصة بالعداوة نفسها بل كل ما يؤدي إلى الجهر بالسوء من القول يستوجب غضبه سبحانه فإن المسلم إذا زاد في ثمن سلعة ينادى عليها في السوق ونحوه ولا رغبة له في شرائها بل يقصد أن يغر غيره بهذا حرام وإذا أعرض المسلم عن أخيه المسلم وهجره فذلك ظلم له وهو حرام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى ههنا) ويشير إلى صدره ثلاث مرات (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حق المسلم

على المسلم خمس رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشبثت
العاطس ، ومن أنواع الجهر بالسوء من القول شهادة الزور وهي من أكبر الكبائر عن
أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلا أنبئكم بأكبر
الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله : الإشراف بالله وعقون الوالدين ، وكان منكثاً فجلس ،
فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ؟ قال : لا يكررها حتى قلنا ليته سكت . وشهادة
الزور تعادل الإشراف بالله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عدلت شهادة الزور
اشتراكاً بالله تعالى ، ثم قرأ « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حتفاء
فإنه غير مشترك به » .

وللتحدث بما لا يتماشى مع الحياء من علامات عدم الإيمان ، عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله تعالى عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وعن ابن مسعود رضي الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كان المؤمن بالطعان ولا الفاحش ولا
الليذى » والكذب من الجهر بالسوء من القول ولا يكون المؤمن كذاباً . عن صفوان
بن سليم رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله « أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم قلنا :
أيكون بخيلاً ؟ قال : نعم قلنا : أيكون كذاباً ؟ قال : لا .

وعن مالك أنه بلغه أن ابن مسعود قال « لا يزال العبد يكذب ويتمحري الكذب ،
فهنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكذابين » :

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الصدق
يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ،
وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى
يكتب عند الله كذاباً .

وبعد فيقول الله تعالى في صفات عباد الرحمن (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »
ولقد بين الله تعالى بهذه الصفة أن الحلم هو مثال الأخلاق الإسلامية التي يجب أن تتبع
والمراد أنه إذا هاجمهم أحد من الناس أو أعتدى عليهم لم يردوا السيئة بالسيئة ولم يعتدوا
عليه ولا تكنهم دائماً خلقهم الحلم والترفع مع لإيمان والثقة في أن الله سينتقم لهم منه هؤلاء
الجاهلين وليس معنى ذلك أن الحلم يؤخذ به في جميع الأمور وجميع الحوادث فلين الغضب

لأمور الشريعة والدين وللعرض والكرامة يجب على الإنسان ولقد أباح الله سبحانه وتعالى
للمظلوم أن يشكو ظالمه ويظهر أمره ويكشف للناس ما قد صنعه الظالم به .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يباح له أن يدعو على من ظلمه . يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينهما وبين الله حجاب » .
وعن مجاهد أن المراد « لا يحب الله سبحانه أن يذم أحد أحداً أو يشكوه » إلا من
ظلم « فيجوز له أن يشكو ظالمه ويظهر أمره ويذكره بسوء ما قد صنعه ونرى أنه في حالة
السكوت على الظالم هو إغارة له على ذلك الظلم وتهيئة السبل له لكي يزيد في اعتدائه على
حرمت الناس واستباحه أعراضهم فربما اعتدى اليوم على فرد وغداً إذا أستر في ظلمه
يعتدى على جماعة يقول الله تعالى « ما للظالمين من حيم ولا شفيع يطاع » وقال تعالى
« وما للظالمين من ولي ولا نصير » والظلم ظلمات يوم القيامة .

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الظلم فإن الظلم
ظلمات يوم القيامة وأتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا
دماءهم واستحلوا محارمهم » وبعض الناس يفسر للظلم بأنه يتعلق بظلم الأمور فقط
ولكننا نرى في الأحاديث النبوية أنواعاً من الاعتداء قد لا يلقى لها بعض الناس بالاً
ولكنها تدخل في باب الظلم المحرم فإن أخذ الهدية وقبولها على عمل يكلف به الشخص
لا يستحق فيه هذه الهدية يعتبر ظلم :

عن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : استعمل
النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له : ابن التبية على الصدقة فلما قدم قال :
هذا لكم وهذا أهدي إلى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال « أما بعد » فإني أستمع الرجل منكم على العمل بما ولائي الله قبائي فيقول :
هذا لكم وهذا هدية أهديت إلى أفلا جالس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان
صادقاً والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بخير حقه إلا لقي الله تعالى يوم القيامة فلا أعرفن
أحداً منكم لقي الله بحمل بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى
يرؤي بياض إبطيه فقال : اللهم هل بلغت .

عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا ينقض إسلام المسلم من الظلم ولا ينقض إسلام المسلم من لسانه :

« عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

والسرقة ولو في أبسط الأمور تعتبر من الظلم والفساد في النار » عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهما قال : كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عبادة قد غلبها » « وعن أبي بكر بن الحارث رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب معصر الذي بين جمادى وشعبان .

أى شهر هذا ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم .

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال :

أليس ذا الحجة ؟

قلنا : بلى

قال : فأى بلد هذا ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه .

قال : أليس البلدة

قلنا : بلى

قال : فأى يوم هذا

قلنا : الله ورسوله أعلم

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه

فقال : أليس يوم النحر ؟

قلنا : بلى

قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا

يضرب بمضكم رقاب بعض ألا ليباغ الشاهد للغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى
له من بعض من سمعه .

ثم قال : ألا هل بلغت ؟ ألا هل بلغت ؟

قلنا : نعم

قال : اللهم اشهد .

وبعض الناس لا يهمل إقتطاع حق أخيه للمسلم أو تغيير حد أرضه بما يجعل أرضه
فسيحة مضيقة الحنق على أرض جاره المسلم وهذا ظالم وله النار . « عن أبي أمامة بإس
ابن ثعلبة الحارثي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من اقتطع حق
امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة .

فقال رجل : وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟

فقال : وإن كان قضيبا من أراك .

حتى أنه ربما يحكم للقاضي حكما فيه بعض الظلم نتيجة أن يكون الظالم أعظم حجة من
المظلوم نظرا لثقافته أو ذكائه أو شيء من هذا القبيل فلا يفهم الظالم أن معنى هذا عدالة
قضيته بل إنما يتقضى له بقطعة من النار » عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته
من بعض فأقضى له بئحو ما أسمع فن قضيت له بحق أخيه وإنما أقطع له قطعة من النار .
وعدم قضاء المسلم حاجة أخيه المسلم خاصة إذا كان من أرحامه كأبيه أو أمه وبقية
أقاربه أو كان أرملة أو يتيما أو مسكينا يعتبر من الظلم لنفسه .

أولا : لأنه يحرم نفسه من الثواب المتعلق بهذا .

وثانيا : لأنه يظلم الآخرين لأن المؤمنون إخوة .

« عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو
المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج على مسلم
كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

« ويقول الله تعالى : « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » .

وبعد فإن العدل فضيلة يؤدي بها كل ذي حق حقه دون أن يظلم أو يظلم » وكان الله

.

جميعاً » بجميع الأمور فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم (عليهما) بجميع المعلومات التي من جللتها حال الظالم والمظلوم .

ثم يقول الله تعالى : « إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تنفوه عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً » .

إن تظهروا أى خير تفعلوه من الأقوال والأفعال فيمن إليكم شكره على إكرامه لكم وتفضله عليكم بالتصدق بالمال أو صلتكم أرحامكم أو البعد عن الفحشاء والمنكر وإكرام اليتيم والسعى على الأرملة والمسكين وغير ذلك من أنواع الخير أو تفعلوا ذلك سراً .

ربا لإضافة إلى ذلك أن تتبعوا ذلك الخير بالصفح عن أساء إليكم مع حقكم في رد هذه الإساءة والانتقام لأنفسكم فإن الله سبحانه وتعالى يمفو عن المذنب مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى فيمفوا الله سبحانه وتعالى عن عفا .

لقد بين لنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ثلاثة أمور إذا فعلناها نستحق عفوه سبحانه وتعالى .

أولها : فعل الخير علانية .

ثانيها : فعل الخير سرا .

ثالثها : وأن نمفو عن السوء .

والله سبحانه وتعالى يحث دائماً على فعل الخير بأى طريقة كانت ما دامت ملتزمة .
مبادئ الشريعة الإسلامية .

يقول الله تعالى (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)

وطرق الخير كثيرة يقول الله تعالى :

(فاستبقوا الخيرات)

وقال تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

فالجهاد في سبيل الله من أعظم طرق الخير في الإسلام والإسلام يحث دائماً على الجهاد وأنه ليس له من جزاء إلا الجنة (عن جابر رضى الله عنه قال : قال رجل للنبي صلى الله

.

عليه وسلم يوم أحد أريت إن قتلت فاين أنا ؟
قال في الجفة

فالتى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل) والله سبحانه وتعالى يطلب منا التعجيل
في فعل الخير قبل أن يمضى الوقت ويمر الزمان :

(عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :بادروا بالأعمال
سبعا هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أم غنى مطفياً أو مرضاً مفسداً أو هرباً مفئداً أو موتاً
مجهاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) .

ومن أدق الأحاديث للبيهة لكيفية حب الله سبحانه وتعالى لعبده إذا تقرب إلى ربه
بجميع أنواع الخير الزائدة على الفروض ، فإن النوافل في الحديث للقصود بها جميع أمور
التقوى والصالح التي يفعلها العبد زيادة على الفرض (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته
بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلى
النوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشى بها وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) .

ولعل النموذج الأمثل للمسلم الحق الذي يستحق عفو الله سبحانه وتعالى ورضوانه هو
نموذج عباد الرحمن ، إن الله عباداً ينتسبون إليه باسم الرحمن إنهم عباد الرحمن ولهم صفات
تناسب مع اسم الرحمن وأول هذه الصفات : هو :

أن ارتباطهم بالمادة ارتباط هين ضعيف إنهم يمشون على الأرض هونا أما غيرهم فإنهم
يرتبطون بالأرض وكانهم مصفدون قهراً ومادام عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا فإن
قلوبهم متفتحة إلى كل خير متطلعة إلى السماء أن قلوبهم تهفو إلى الله تحبة لاتدعو سواه
إنهم لا يدعون مع الله إلهاً آخر من ولد أو نند تعالى الله عن ذلك أو ثروة أو جاه أو
منصب ولكنهم يبينون لربهم سجداً وقياماً .

وهي أسس جامعة ينتج عنها صفات أخرى كريمة محبة مطلوبة منها :
أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ولا ينتهكون الأعراض والحرمات
ولا شك أن من ينتهك إنما من هذا القبيل فإنه يلقى سوءاً بسوء .

.

وعباد الرحمن لا يأتون الزور والزور هو الباطل على أي وجه كان ، إنهم لا يأتونه ولا يعينون عليه ولا يجلسون في مجالسه وإذا امرؤ باللقو مروا معرضين عنه يقول الله تعالى في سورة القصص (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) .

ومن دماء عباد الرحمن : رينا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما) وجزاء عباد الرحمن هو ما عبر عنه الله سبحانه وتعالى بقوله . (أولئك يجزون الغرفة) أي الدرجة العليا والمنزلة الرفيعة السامية (بما صبروا ويلمعون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) . وتكون نتيجة ذلك كله أيضاً . أن الله سبحانه وتعالى يتكفل لكل من التجأ إليه بالنصر والتأييد ويتكفل بالرعاية والعناية لكل من آمن وعمل صالحا يقول تعالى . (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلننجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

ويقول تعالى . (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) والصفة الثانية التي تلازمهم . أنهم سلام أينما ساروا وحيثما حلوا وحتى إذا خاطبهم الجاهلون وهم الذين لم تهنر قلوبهم بنور الإيمان فإنهم يقولون ما يؤدى بالجاهلين إلى السلام .

وصفتهم الثالثة : أن قلوبهم معلقة بالرحمن فهم يبيتون له سجدا خشوعا خاضعين عابدين متبذلين يدعونه سبحانه أن يصرف عنهم عذاب جهنم فإن عذابها هلاك أليم .

وصفتهم الرابعة : هي الإنزان في أعمالهم فهم مثلاً إذا أنفقوا لم يسرفوا في الإنفاق ولم يستول عليهم شح مهلك وإنما كانوا وسطا بين الإسراف والإمساك . أما الصفة الخامسة فهي أن أعمالهم خالصة لله تعالى إنهم لا يشركون به ولا يعبدون رباً سواه والله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يشرك به والله سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك .

ومن أخلافهم مشاركتهم في الفرح والسرور
لمن ولد له مولود

ومساعدتهم له في عمل المعصية والعقوبة إن كان حاله ضيقاً لا سيما الجار .
وهذا من أعظم أخلاقهم ، وغالب الناس لا يهتمون بمثل ذلك ، ولا يساعد الجار
الفقر بدقيق ولا هسل ، ولا غير ذلك ، ونرى قوله تعالى « وبالوالدين إحساناً وبذي
القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ^(١) » ،
وغير ذلك من الآيات والأخبار .

فعلم أن كل من ادعى الولاية ، وأخل بحق جاره تسامحاً مع القدرة على وفاء حقه ، فهو
كاذب والحمد لله رب العالمين

(١) وثم الآية . (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي
القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن
السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) سورة النساء آية ٣٦٠

ومن أخلاقهم حفظهم مقام إخوانهم
في غيبتهم فضلاً عن حضورهم

فإذا رأوا مريداً لم يفتح عليه مع طول صحبته لأحد من إخوانهم يعتذرون عنه ،
ولا يقولون لو كان هذا صادقاً في دهواه الطريق لفتح على مريده ، وإنما يقولون لو قسم
الله تعالى للمريد الغلاني على يدهم شيئاً لناله ، ولكنهم لم يقسم لهم شيئاً على يدهم .

قل تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو أكمل المسلمين : « ما على
الرسول إلا البلاغ » ^(١) ولما تكدر عليه السلام لعدم قبول قومه ما جاء به من الهدى أنزل
الله تعالى عليه « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » ^(٢) ، وقال تعالى « ولو شاء ربك لآمن
من في الأرض كلهم جميعاً » ^(٣) وقال تعالى « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن
حق القول مني لآملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ^(٤) .

فعلم أن كل من ادعى الولاية وأنكر على كل شيخ لم يفتح على مريده ، فهو جاهل
بالشريعة حـسود ، لإخوانه لم يشم من طريق الصالحين رائحة والحمد لله رب العالمين .

(١) ونظام الآية . (ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)
سورة المائدة آية : ٩٩

(٢) ونظام الآية . (وإن كان كبر عليك إحراضهم فإن استطعت أن تبثني نفقا في الأرض
أو سلما في السماء فنأتئيم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)
سورة الأنعام آية : ٣٥

(٣) ونظام الآية . (ولو شاء ربك لآمن من الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين) سورة يونس آية : ٩٩

(٤) سورة السجدة آية : ١٣

ومن أخلاقهم : أنهم لا يسألون ولا يردون ما أعطوه من الحلال

ولا يدخرونه ، وهي طريقة مستقيمة وأدلتها مشهورة في الكتاب والسنة ، وقد يخالفونها كذلك لأدلة أخرى وأغراض صحيحة لأنهم لا يخرجون عن الشريعة في شيء من أحوالهم غالباً بخلاف غيرهم حيث يفتى في خير محل لم يؤمر فيه بالسؤال ، ويرد في موضع أمر فيه بالأخذ ، ويدخل غير غرض شرعي ، فلم أنه لا يلغى المبادرة إلى الإنكار على من رأيناه يسأل منهم أو يرد أو يدخر بل نسلم له حاله بالطريق الشرعي والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حسن سياستهم لزوجتهم إذا تزوجوا عليها

وعدم شكر الجديدة بحضرة العتيقة بقصد تميل خاطر العتيقة إليها ، فإن ذلك مما يزيد منها نفرة ، لأن شكرها يؤذن بزيادة محبتها ، فكأنه يقول للعتيقة : أنا أحب الجديدة أكثر منك لدينها ، وصلاتها ، ونحو ذلك ، وهذا يقع فيه كثير من الفقراء الساذجين ، وقد أشد سيدي عبد العزيز الديريني رضى الله تعالى عنه في ذلك .

تزوجت اثنين لفرط جهلى وقد حاز البلاء زوج اثنين
فقلت أهيش بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعتين
فجاء الحال عكس الحال دوما هذاب دائم بيليتين
رضى هذى يحرك سخط هذى فلا أخلو من إحدى السخطتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى تقار دائم فى الليلتين
إذا ما شئت أن تحيا سعيدا من الخيرات مملوء اليدين
فمش عزبا وإن لم تستطعه فواحدة تكفى عنكرين
انتهى .

واسكن لم يزل الأولياء فى كل عصر يبتلون بسوء خلق زوجاتهم إما اختبارا لهم من الله تعالى ، وإما ليتأسى بهم أصحابهم إذا صبروا وإما تحملا منهم لأذى تلك المرأة هن الناس الذين يتزوجونها بحكم الفرض والتقدير .

وأما قول الفضيل بن عياض إنى لأعصى الله تعالى ، فأهرف ذلك فى خلق حمارى وزوجتى ، فهو جرى على الغالب ، فلا يلزم من سوء خلق المرأة سوء خلق ذلك الولى ، وقد أجمع الفقراء فى عصرنا هذا على حسن خلق سيدي على الخواص وسيدي محمد السروى والشيخ هبمان الخطاب (١) الديمى ومع ذلك فقد كانت زوجاتهم فى أسوء الخلق

(١) مطبوس من الأصل .

ومن ذلك أن زوجة سيدى على الخواص كانت تعتقد نجاسته ، وحكى لى مرة أنه غلط مرة ، فشرب من كوزها ، فصارت تحكه بشفته ، حتى ظهر أثر الحك فى فم الكوز ، وكانت تهجره فى الفراش السنة وأكثر ، ومع ذلك ، فلما ماتت تبع جنازتها براية بيضاء على جريدة إلى أن أدخلها القبر ، وقال : خاطركى علينا فى عدم الوفاء بمفك ، ونحن نسألك بالنبي ﷺ أن تسامحينا ، ثم انصرف حزينا عليها .

فقلت له : ما وجه الحزن عليها مع ما كانت عليه من سوء الخلق فقال : كان يحصل لنا على يديها الخير والأجر ، وتعمون عليها فى الصبر ، وما بقى أحد يخلفها فى ذلك ، ونحن نحب أن نفارق الدنيا على البؤس والشدة فاهلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم سترهم لأحوالهم ما أمكن

ولا يظهرون شيئاً من كلاتهم إلا إن أمرهم الشرع بذلك كأن كانوا في محل يقتدى بهم فيه ، فإن الإنسان كلما كنتم أحواله كلما ائتمار قلبه وكلما أفساها أظلم قلبه لخروج نور الأعمال منه و فرق عظيم بين الصادق الذي ينمى أنه ينزل تحت الأرض السابعة حتى لا يعلم به ومن يحب الظهور ، ويود أن الناس كلهم يعرفون فضله .

وقد درج السلف الصالح كلهم على محبة الخفاء لأنها طريق السلامة ، فلا يحبون أن يتميزوا عن أقرانهم بخلق غريب محدود إلا لغرض شرعى ، حتى كان أحدهم إذا درس أو وعظ يملك السكتاب ويمعظ منه أو يدرس إيهاما للحاضرين أنه عاجز عن الوعظ والتدريس على ظهر قلب مع أنه لو تكلم بما في قلبه ماحله مركب إذ السكاملون لا تنحصر علومهم فيما وضعه الناس في السكتاب .

وقد كان سيدي أحمد الزاهد شيخ الطريق لا يمظ النساء إلا من كراس إظهاراً للضعف مع أنه كان من الراسخين في العلم ، ولما أنكر عليه الشيخ مراج الدين البلقيني ورماه بالجهل وكان إذ ذاك في جامع الأزهر خرج له الشيخ في حال كالدّم الأحمر إلى أن دخل الجامع ونصب الكرسي في صحن الجامع وصاح في الناس بأعلى صوته من يسألني عن كل علم نزل من السماء إلى الأرض أخبره به فاجتمع عليه خلائق فلما صحى قال للناس من جاء بي إلى هنا وأجلسني على الكرسي ؟ فقالوا له : لم يفعل ذلك أحد وأنكم صليتم . كذا وكذا ، وقلتم كذا وكذا .

فقال : هل خرج لنا أحد يسألنا فقلوا له : لا فقال : الحمد لله لو أن أحداً خرج لنا لافترسناه أو قال اختطفته الجن انتهى .

فاجتهد يا أخى أن تبلغ مقام السكل في العلم ، ثم استتر وإياك أن تعظ الناس من كتاب عجزاً وتوهمهم أنك قادر على وعظهم ، وتدرّسهم من غير كتاب فتقع في النفاق والرياء وتحرم بلوغ ذلك للمقام والناقد بصير .

وقد كان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه يقول : والله ما خرجت للناس إلا بعد أن هددت بالسلب مرات ^(١) .

وطلب أهل مدينة بجاية بالمغرب من سيدي الشيخ أبي مدين رضى الله عنه أنه يعظم فأبى فألحوا عليه ، فخرج وكان على بابهِ شجرة نبق ، فطار العصافير لما رأوه ، فرجع وقال : إن من نفر منه الطيور لا يصبح أن يكون داهياً إلى الله تعالى ، فلم يزل في بيته ، حتى خرج فتبعته العصافير إلى مجلسه ، وصارت تضرب بمنافيرها في الأرض حين سمعت وعظه ، حتى مانت .

ولما أتى الوارد إلى سيدي يوسف المبحي أنه يأتي إلى مصر من مدينة كوران هاوده الوارد فقال : خاطر نفسي ، فسمع هايقا يقول : يا يوسف اذهب إلى مصر مرتين أرشد الناس ، وهو يقول : هذا شيطان ، فلما خاطبه الثالثة قال : اللهم إن كان هذا وارد حق من قبلك يارب ، فأقلب لي هذا النهر لبناً ، حتى أعرف منه بقصص هذه ، وأشرب ، فأقلب ذلك النهر لبناً ، وشرب منه ، وأسقى الناس ، ثم ذهب إلى مصر ما يحقه سيدي حسين التستري ، وقيل إنه كان في مصر قبله .

(١) وقصة خروج سيدي أبو الحسن الشاذلي ومغادرة العزلة يرويها هو بقوله :

فيل لي :

يا هلى . إهبط إلى الناس ينتقموا بك .

فقلت :

يا رب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطهم .

فقبل لي :

إنزل فقد أصبحناك للسلامة ، ودفعنا عنك لللامة .

فقلت .

تسكني إلى الناس آكل من درجهم .

فقبل لي :

أهق يا هلى ، وأنا الهلى ، إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب .

فقال له سيدي يوسف : يا أخى الطريق فى كل عصر لا تكون الا لواحد والباقي
مساعد له ، فإما أن تبرز أنت لإرشاد الناس ، وأكون أنا خادمك ، وإما أن أبرز أنا
وتكون أنت خادمى تفخيماً لى ، حتى يعظمى الناس ، فيقبلوا نصيحى وإرشادى ، فاستقر
الأمر على بروز سيدي يوسف وشد سيدي حسين وسطه ، ووقف لخدمة سيدي يوسف
مع أنه كان أرقى فى المنام من سيدي يوسف كما فعل سيدي على المرصفي وغيره .
فمكنا كان السلف رضى الله تعالى عنهم ، فالعادي من اقتدى بهم ، ولم يظهر من
كأله شيئاً إلا بالميزان الشرعى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة محبتهم للسادة الأشراف رضى الله تعالى
عنهم إكراما لجدهم ﷺ من حيث إنهم
بضعة منه صلى الله عليه وسلم

ومن إجلالهم أن لا يجلس أحدا فوق صفه أو طراحة ، وهم تحتها ، وأن لا يتزوج
أحدنا شريفة منهم ألا إن كان يعد نفسه هبدا لها ، ويقدم لها نعلها كما أرادت تمشي ،
ويقوم لها كلما جاءت بعد تواريها بمحذر أو ستارة .

ومن إجلالها أن لا يتزوج عليها ، ولا يتسرى عملا بقوله ﷺ : « أما إنى لا أحرم
ما أحل الله تعالى ولكن إن كان ابن أبى طالب يتزوج على ابنتى فليطلقها ، فإن فاطمة
بضعة منى يسوفنى ما يسودها ، ويسرنى ما يسرها » ، فرجع على عن خطبته لابنة أبى
جهل ، وكان على قد خطبها هلى السيدة فاطمة عليها السلام .

وكذلك من إجلال الشريفة أن لا يقتر أحدنا عليها المعيشة إلا إن إختارت هى ذلك
ولا تسأله شيئا هو قادر عليه من أمور الدنيا ، فيمنعها منه ، ولا ينظر إليها إذا كانت
أجنبية لشهادة أو معالجة إلا ، وهو فى غاية الخجل من رسول الله ﷺ ، ولا ينظر إليها
فى الإزار إذا مرت أو جلست عنده الا لغرض صحيح شرعى ، وتأمل أنت إذا رأيت
أحدًا يرمق لما يظهر من ابتكك وهى فى الإزار كيف تتكدر منه ، فكذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الجلال السيوطى وغيره أنه كان يحرم نظر زوجاته عليهن السلام وبناته فى الإزار
وما ثبت للأصل ثبت للفرع ، وإن تفاوت المقام .

وكذلك من إجلال الشريف أن لا يمر أحدنا عليه ، وهو جالس فى الطرقات يسأل
فلسا أو رغيفا الا ويعطيه ما طلب أو فوقه ، ولو أننا أعطيناه عمادتنا أو ثيابنا اكان
أفضل لاسيما إن كان يقول : أعطونى كذا لأجل الله تعالى أو لأجل جدى عليه السلام .

وكذلك من إجلاله اذا كان لنا عليه حق ، وهو يماطل فيه الا نشتكيه من حاكم ،

ولا نجسه ، ولا نوبخه ، ولا نقول له حاشا أن تكون شريفا ، ونحو ذلك من الألفاظ ، ولا نطالبه قط بعنف ، وإذا ضربنا أو أخذ مالنا نرى ذلك من باب اجراء المقادير عن الله تعالى علينا بلا واسطة أحد من الخلق ، فإما نرضى وإما نصبر لا أنزل من ذلك .

فإن ما بعده الا السخط ، وذلك في غاية سوء الأدب .

وتقدم أن من جملة الأدب مع الشريف أن نعزم عليه بأنه يفتتح بنا مجلس الذكر ، وأن لا يفتتح مجلس الذكر بحضرته ولو كان أصغر سنا منا ، أو معدودا من العوام أدبا مع جده صلى الله عليه وسلم .

وكذلك لا نخذله تلميذا لنا فيستخذه كما نستخدم المريدين كما يقع فيه من لا أدب له من المتمشيين بل ننصحه بشريعة جده من غير رؤية نفوسنا من جملة أشيائه .

وقد بسطنا الكلام على حقوق الشرفاء في المنن وفي مختصر الفتوحات المكية فراجعهما والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حفظ حرمة أشياءهم بعد
موتهم فضلا عن حياتهم

فلا يتزوجون لهم مطلقة ولا من توفوا عنها ، فإن حرمة الأشياخ في الافادة كحرمة
الآباء في الولادة ، وربما قتل الشيخ بالحال كما وقع لسيدى محمد الشويمى ، وسيدى محمد
بن عنان ، وسيدى بها الدين المجذوب ، فطعنوا من تزوج امرأتهم ، فمات في المنام .
وهذا الفعل وإن كان جائزا في ظاهر الشرع فما كل جائز يكون فعله أولى ، ويكفيينا
في النفرة من مثل ذلك التجربة وما نقل عن بعض الشاذلية من أذنبهم لئلامنتهم في نزوح
حلائلهم من بعدهم أو بعد طلاقهم لمن ، فإنما ذلك غيرة للجناح المحمدي أن يشاركه أحد
في خصوصيته وذلك خارج عن ما نحن فيه ، ولا يقدح في أدب المريد والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم المزاحمة لمشايخ عصرهم
على تلقين الذكر وأخذ العلم

لا سيما إن كانوا أقدم منهم هجرة في الطريق إلا إن جاءهم إذن من سيدنا ومولانا
رسول الله ﷺ مثلاً ، فحينئذ يزاحون مشايخ عصرهم إمتثالاً لأمر رسول الله ﷺ
أو غيره من الأكابر .

فإن لم يقع لهم منه إذن صريح فن الأدب أن يحاولوا من طلب منهم التلقين مثلاً إلى
المشايخ الذين هم أقدم منهم هجرة ، وإن رأوا من الطالب قلة اعتقاد في مشايخ العصر
حسنوا فيهم اعتقاده بحسب الطاقة .

ولم أجد لهذا الخلق في عصر فاعلا إلا القليل فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافهم : أن يتعلموا الكل من طلب أن
يكون شيخا عليهم ولو كانوا مآذونا
لهم في المشيخة من أستاذهم

وكل من أبى أن يتعلم لهم طلب منه ذلك ، فهو دليل على عدم صدقه في الطريق وبقائه
رعونة نفسه ، ومن كان كذلك فهو لا يصلح للمشيخة .

وكان سيدي هلى الخواص رحمه الله يقول : لا يتوقف أحدكم في التلمذ لكل شيخ
طلب منكم ذلك بل أجيبوه إلى ما طلب منكم ، ثم لا يخلوا حاله من أمرين إما أن يكون
ناقصاً أو كاملاً ، فإن كان كاملاً فتعلموا منه ، وإن كان ناقصاً فكلوه من حيث لا يشعر
هو بذلك ، ولا جماعته ، وذلك بأن تسألوه السؤالات في الطريق ، فإذا لم يعرف الجواب
عنها تقولون له : فإذا تقول في هذا الجواب ؟ وتذكرونه له ، فيستفيد منكم من غير أن
يلحق أذى بذلك من جماعته انتهى .

وقد فعلت أنا بحمد الله تعالى ذلك مع جماعة من فقراء مصر ، وقبيلت أعتابهم ،
وجالست بين يديهم كأحاد تلامذتهم ، وأفيدتهم فوائد لم تسكن لهم هلى بال فالحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم إذا ورد عليهم فقير يدهي المشيخة وتفروا منه أنه لا يواظب
علي مجلس الذكر معهم إلا أن جعلوه يفتتح عليهم الذكر فن
الأدب أن يعزموا عليه بأن يبتدىء الذكر

ولو عزم هو عليهم ردوا عليه الأمر ، ثم لا يزالوا يسارقونه في تبغيضه في حب
الرياسة ، حتى يصير يكرهها إن شاء الله تعالى وكأن لسان حال هذا الشخص يقول : إن
لم تدعوني أفتح المجلس لا أحضركم .
وقد فعلت أنا ذلك مع ثلاثة طلباء أن يكون كل واحد منهم شيخا ، فصاروا يفتتحون
واحداً بعد واحد والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم أخذهم العهد على مرید نہ کہت ہمد شیخہ
فی حیاتہ وجاء إلیہم

لأنہ لا خیر فیہ .

وهذا الخلق صار عزیزاً فی هذا الزمان .

وقد کان سیدی محمد الشناوی رحمہ اللہ نعالی إذا أتاه فقیر یطلب التلقین یقول لہ :
هل سبق لك صحبہ بأحد ؟ فإن قال : نعم قال لہ : فلم فارقتہ ؟ فإن قال : ما حصل لی
على یدیه خیر حسن اعتقاده فیہ وأبی أن یلقنہ انتہی .
فأعلم ذلك یا أخی وأعمل علیہ والحمد لله رب العالمین .

ومن أخلاقهم : هدم أخدم العهد على مر يد بأنه لا يفعل
كذا في المستقبل خوفاً عليه من نقض العهد

فإن خلق الأفعال ليس هو إلى العبد ، وإنما هو إلى الله تعالى ، وإنما الأدب : أن
يعلمه النوبة من كل ذنب وقع فيه على الفور لا غير . هذا ما عليه المحققون والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم البشاشة في وجه أحد من مريدى مشايخ عصرهم
خوفاً عليه أن يعيل إليهم بالمحبة ويترك شيخه ، فيحصل عدم الوفاء بحقه اللهم إلا
أن يكون ذلك المريد ثابت القدم في محبة أستاذه ، فهذا لا تضر البشاشة له ولا إطعامه
الطعام لعدم المحذور الذى ذكرناه ، وهذا الخلق ما رأيت له فاعلاً في مصر غيرى فالحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يحمي أحدهم الخرقه من الطعن في أهلها

وذلك بالاستقامة ، فلا يلبغي لأحدهم أن يلبس الصوف ، ويرخي له العذبه إلا بعد
كمال رياضة نفسه ، وزوال سائر رهوناتهما ، وذلك بالخروج من محبة الدنيا ، وشهواتها ،
ومناصبها ، بحيث لا يصير يسترقه شيء منها .

فإن الفقير مادام يميل إلى شيء من الدنيا ، فلبسه للصوف ، وارتقاؤه العذبه نفاق ، ورياء
وقد كان سيدي أحمد بن الرقاعي رحمه الله تعالى إذا رأى على فقير جبهه صوف قبل
خمود نار بشريته يقول له : يا ولدي استعجلت لباس الصالحين قبل استحقاقك له فإن
الصوف لباس الأنبياء ، وحلية الاصفياء ، فأنزعه ، حتى تسكمل رياضتك لنفسك
وتلتحق بالصالحين عند الناس ، ثم ألبس لبستهم فاعلم يا أخي ذلك وأعمل عليه والحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يبادروا إلى تلقين الذكور لكل من
سألمهم ذلك إظهاراً لعزة الطريق

وكذلك من أخلاقهم أن لا يبادروا إلى تلقين أحد من العلماء إجلالاً لهم وتعظيماً
لجنتاب العلم إلا أن يكون أحدهم صاحب حال مع الله تعالى ، وتصريف .

وقد يكون ذلك العالم أعلام من ذلك الشيخ بالشريعة وقد بلغنى أن الشيخ (^(١))
لقن شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي ، فعبت ذلك عليه
وأرسلت له أوبخه على مثل ذلك ، فتاب إلى الله عز وجل وقال : إني كنت جاهلاً بمثل ذلك .
وكذلك وقع لشخص آخر أنه لقن الشيخ عبد الحلیم بن مصلح ، فوبخته على ذلك
غاية التوبيخ لعلمي بأن ذلك الشيخ لا يصلح تلميذاً للشيخ عبد الحلیم ، وإنما أجرأه
على ذلك كثرة التواضع من الشيخ عبد الحلیم .

فعلم أنه لا ينبغي لفقير أن يبادر إلى تلقين أحد من طلبة العلم إلا إن وثق بصدق
حبه للطريق والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تعريضهم لأحد من الناس أن يصحبهم
أو لأحد من الإخوان أن لا يتخلف عن حضور وزدحم ، أو لا يصلى الجمعة إلا
هذهم ، ونحو ذلك من التقييدات التي لم تصرح بها الشريعة إلا لغرض شرعى بشرط
الراحة فى ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإن للناس اعتذارا .
وقد قالوا : كل من ضيق على أصحابه لرهونة نفس نفروا منه بقلوبهم ، فعدموا
النفع به كما عليه بعض مشايخ هذا الزمان الذين ظهروا بغير حق ، وجلسوا بغير إذن ،
وقد شكى لى جماعة من أصحابهم مراراً ما يقاسونه من شدة التضيق عليهم ، وما هكذا
درج الأشياخ الذين أدركناهم .

والاجتماع مقدر وليس المقصود من الشيخ إلا أنه يجيب المريد كلما سأله عن مرض
من الأمراض لا غير ، ولو أن هؤلاء الأشياخ كانوا صادقين مع الله تعالى ، لكانوا
يرون نفوسهم أحفز الناس ، وكانوا يستحيون من دعاء الناس ، لمجالسهم خوفاً من
الوقوع فى حب الرئاسة ، والعجب .

فإياك يا أخى والتضيق على إخوانك إذا عملت شيخاً وسهل عليهم الطريق
باطعامهم الطعام تارة ، وبشكرهم فى المجالس تارة ، وبخدمتك لهم تارة ولا تتكبر
عليهم فإن سيدى القوم هو خادمهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تعاطي الأمور المفسدة في مقام العارفين

كأكل الشهوات ، وكثرة النوم ، والافقار ، والاعتناء بالملايس ، والمناكب ، والمراكب
فإن القوم قولوا : من فسق العارف تناوله الشهوات الحاجبة له عن حضرة الله تعالى .
وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : من شارك الفسقة في الشهوات فقد انحرف في
مسلكهم من حيث المؤاخنة بها والعتاب عليها وذلك بتفاوت المقام ، فإن معنى الغرور
في الحياة الدنيا إيهام العبد الدنيا على الآخرة ، ومن تناول الشهوات ، وأكثر منها فقد
صدق عليه أنه آثر الدنيا على الآخرة ، وليس ذلك من صفات القوم الذين يحبهم الله
عز وجل ، ومن كان عدو الله تعالى ، كيف يدعي الإصلاح وفي الحديث : إن الله تعالى
ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو
يحبه ، ^(١) انتهى .

وقد ذم الله تعالى الكفار بقوله تعالى : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) ^(٢) وما ذم الله تعالى الكفار على فعله ،
فنحن أولى بتركه والحمد لله رب العالمين .

(١) وتام الحديث : (إن الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد
ولده بالخير وإن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام)
رواه البيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن حذيفة .

(٢) وتام الآية : (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون) سورة الأحقاف آية : ٢٠

ومن أخلاقهم : عدم الغفلة من استحضار زلاتهم ونسيان حسناتهم
فيستقلون طاعاتهم ويستكثرون سيئاتهم

وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم رضى الله عنهم ، حتى إن مالك بن دينار ،
والحسن البصرى كانا يقولان : لو حلف حالف أن أعمالنا أعمال من لا يؤمن بيوم
الحساب لقلنا له : صدقت لا تكفر عن يمينك انتهى وفي الحديث مرفوعا : « المؤمن
يرى ذنوبه كأنه تحت جبل يخاف أن يقع عليه فيهلك والفاجر يرى ذنوبه كذباب
مر على أنفه فقال : بيده هكذا يلش منه » انتهى .

ويقرب من هذا من اغتر بكثرة عمله دون عمله ، فصار يرى عمله كالجبال مع أن
عمله به ، كالذر ، وذلك من أعظم الغرور ، لاسيما إن كان كبير النفس كثير الجدال
لا يتجرأ أحد ينصحه ، فإنه يهلك بالكلية والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا رأى أحدهم حاله فاق على إخوانه حتى كاد أن يطفى نورهم أن يتظاهر بضد ذلك إشارا لإخوانه بالشبهة بالصلاح فإذا اشتهروا وانطفئ هو فرح بذلك أشد من ظهور نوره ، وأقبل على عبادة ربه وقال : الحمد لله الذى كففنا آخرنا فلان المؤمنه ، فجزاه الله خيرا .

فإن من شرط الفقير الصادق أن يقوى نور أخيه ، ويختفى هو ، ثم يسأل الله تعالى لأخيه أن يحفظه من الآفات كالمعجب وحب الرياسة ، ونحو ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يقنعون بالأخذ من أحكام الشريعة على الوجه
الظاهر دون مطالبة نفوسهم بالحقائق

وتفتيش قلوبهم ، وإنقاء ما فيها من الصفات المذمومة من غير إزالة لها ، كالكبر
والرياء والحسد والعجب والنفاق ، وحب الرياسة ، وإرادة التسوية بين الأقران
والسرور بظهور نقائصهم ، ومحبة الانفراد باسم الصلاح دون الأقران ، ونحو ذلك
من صفات المغترين .

وسبب هذا الغرور نسيان ما ورد من الوعيد لأصحاب هذه المعاصي الباطنة كقوله
صلى الله عليه وسلم (الرياء هو الشرك الأصغر) وكقوله : « الحسد يأكل الحسنات كما
تأكل النار الحطب » وكقوله ﷺ : « حب المال والترف ينبتان النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل » وغيرها من الأحاديث .

ولو نظروا في قوله تعالى (إلا من أتى الله بقلب سليم ^(١)) لعرفوا أن الله تعالى
يؤاخذهم بجميع الصفات المذمومة ، لأن من ارتكب صفة منها ، ولم يتب لم يأت ربه
بقلب سليم .

وقد قال الإمام الغزالي : من لم يُصَلِّ وقلبه مع جوارحه لم تصح صلاته كما عليه طائفه
المتوسوسين ، وهو كريض ظهر به الجرب ، فأمره الطبيب بالطلاء وشرب الدواء ،
فترك شرب الدواء القاطع لمادة الجرب ، وصار يطلى ظاهره ، فكلمها برىء من شيء
حطم له من الباطن جرب آخر ، ولو أنه أزال مادة الجرب من باطنه لاستراح من علاج
الظاهر ، وصار سليما من الجرب ظاهرا ، وباطنا ، فمكنا الخبائث إذا كانت كامنة
في القلب ، فلا بد أن تظهر على الجوارح .

فلم أن العبد لا يخرج عن الرياء والنفاق إلا لمن تساوت سريره ، وعلايته ،
ولم يصر فيه صفة يفتضح بها في الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة اتهامهم لنفوسهم إذا ادعت أنها سلمت من
الأمراض الباطنة

إذ لا يلزم من الاطلاع على الدسائس الباطنة هدم الوقوع فيها ، وأكثروا من يقع
في مثل ذلك المتمشيخون بأنفسهم ، ومن جالس للوعظ من غير سلوك على يد شيخ
صادق ، فيظن بنفسه أن مثله لا يبتلى بتلك الأمراض ، وإنما يبتلى بها العوام ، وذلك
خاتمة الغرور .

وإن قدر أنه ظهر منهم كبر على أحد من المسلمين لا يروونه كبرا وإنما يقولون : ذلك
من عز الدين ، ولو أنهم كانوا صادقين في أن ذلك من عز الدين لضموا نفوسهم
وتواضعوا كما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ، والتابعين .

وقد هوتب الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فتح بيت المقدس ،
وعليه مرقعة .

فقال : إنا قوم أهنأنا الله تعالى بالاسلام ، فلا نطلب العز في غيره .

وقد رأيت قوما يلبسون الثياب الرفيعة الغالية الثمن من حرام وشبهات ، ويزعمون
أن لبسها من إهزاز الدين ، وذلك من أكبر الغرور مع اطلاق أحدهم لسانه بالغيبة ،
والحسد في أقرانه ، فأين إهزاز الدين ، وإنما إهزازه بالعمل بأحكام الشريعة ، وآدابها
على وجه الإخلاص هذا هو إهزازه .

وكذلك رأيت بعضهم يدعى مقام التواضع ، وأنه من أقل الناس وإذا نبه شخص
على شيء من ثنائه أو رد عليه تقريره في مسئلة يكاد يتعبر من الغيظ ، ولو أن مثل
ذلك وقع لأحد من أقرانه لربما فرح ، فأين إهزاز الدين إنما ذلك إهزاز للنفس ونعمرة
لها وإظهار للكبر كما ورد في الصحيح مرفوعا « الكبر بطل الحق وغط الناس » أى
رد الحق وهدم قبوله ، واحتقار الناس أى هن أن يكون أحدهم ناصحاله أو واعظاله —
فمنا في أهل درجات الكبر ولا يشمر بنفسه .

فاليئيبه لئيل ذلك من عمل شيخنا في هذا الزمان .

وكذلك رأيت بعضهم أحكم العلم والعمل ، ويدرس الناس العلم ، ويمظهم ، ويزعم
أن ذلك خالص لوجه الله عز وجل ، ولو أن شخصا ظهر ، وصار يعلم الناس العلم ،
ويمظهم ، وانقلب إليه جماعته لتمييز من الغيظ .
فليمتحن العبد نفسه فإن تسكدر ، فهو مرأى وإن لم يتسكدر ، فهو مخلص فليشكر
الله تعالى على ذلك .

وبالجملة ففى رجح فى نفسه محبة أن يكون صلاح الناس على يده دون يد غيره ، فهو
لم يشم من الإخلاص رائحة .

وكذلك رأيت بعضهم يشفع عند الحكام والسكشاف ومشايخ العرب ، وغيرهم
فى المظلومين ، ويزعم أن ذلك خالص لله تعالى ، ولو أنه ظهر شخص يشفع عندهم وقبلوا
شفاعاته ، وصاروا يردون شفاعته هو لتسكدر .

فليعرض الشيخ ذلك الأمر على نفسه ، فإن رآها فرحت بذلك الشخص الذى قبل
الولاية شفاعته أكثر من فرحها بقبول شفاعته هو فهو صادق ، وإلا فهو لم يشم من
الإخلاص رائحة ورأيت بعضهم يأخذ من مال الأمير وإذا توقف فى حله يرجع إلى قول
ذلك الأمير مثلا : إن هذا من المصالح ، ومثلك يستحقه لأنك حامل للشريعة ، وقائم
بنصرة الدين ولا يخفى أن ذلك كله غرور ، ولو عمل بما علم من الشريعة لتورع عن قبول
مثل ذلك .

وقد كان الإمام عبد الله بن المبارك يقول : ما أكل حامل القرآن من مال الولاية ،
الذين لا يتورعون إلا ناداه القرآن العظيم من جوفه : أضاعك الله تعالى كما ضيعتنى
أين مواظى ، وزواجرى ، وأنت تأكل من مال هؤلاء الولاية انتهى والحمد لله
وب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة تفتيشهم على هيوهم السكائن التي لم تظهر لهم
وهم قناعتهم بتطهير الجوارح الظاهرة والباطنة من اللعاصي الظاهرة والباطنة ،
فلن الشيطان ، والنفس في مثل ذلك خدعا ، ومكائد تغض علي غالب الناس ، ومثال
من يمتنع بتطهير جوارحه مما يظهر بها من الصفات يردون ما لم يظهر مثال من أراد تنقية
زرعه من الحشيش ، فدار عليه وقام كل حشيش ظهر من الأرض ، ولم يقش على
ما لم تخرج رأسه من الأرض بعد فبينما هو مطمئن من ظهوره إذ أخرج رأسه من الأرض
وأفسد الزرع .

وكذلك رأيت بعضهم إذا نجاه الله تعالى من الأمراض الظاهرة والباطنة يهين يرى
نفسه على غيره وذلك من أعظم الكبر ، فليمتبه الفتيير لمثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا وهظوا الخلق أن لا يدعوا الناس إلى شيء
إلا بعد عملهم به

كما كان عليه الحسن البصرى ومالك بن دينار وغيرهما ، وذلك خوفاً أن يرد
المدعون عليهم دعوتهم حين لا يرونهم يعملون بها ، وهذا خلاف ما عليه بعض
الوعاظ ، فيظن أحدهم بنفسه إذا هرف الصفات المنجية ، ودعى الناس إليها ، فهو ناج
بمجرد دعوتها ، والحال أنه هالك شرعاً لمعرفته للصفات المهلكة من غير أن يجتنبها ،
وربما قال أحدهم في نفسه : إن الله تعالى ما أطلعك على صفات المحبين إلا وهو يحبك ،
ولا على صفات المخلصين إلا وأنت مخلص ، ولا على عيوب النفس إلا وأنت متزه
عنها ، وكذلك القول في سائر الصفات .

وربما كان أحد هؤلاء أشد الناس حباً للدنيا والرياسة ، وأقل صبراً على التقشف
وأكل المالح والخل وربما كان طعامه كل ليلة اللحم الضأنى .
والحلوى مما لا يجده غالب أقرانه .

وربما أظهر أحدهم الزهد في الدنيا لشدة حرصه عليها ، وجعل الزهد فيها حرفه
يحترف بها القمح والعسل والأرز ، والثياب من أبناء الدنيا .
وربما حث أحدهم الناس إلى الإخلاص وهو غير مخلص .
وربما أظهر أحدهم الدماء إلى الله تعالى وهو من جملة الفارين عنه .
وربما خوف الناس من الله تعالى ، وهو منه آبق ، وآمن .
وربما أمر الناس بذكر الله تعالى وهو له ناس .
وربما دعاهم إلى القرب من الله تعالى وهو منه متباعد .
وربما ذم لهم الصفات المذمومة ، وهو بها متصف .

وربما حث الناس على الزهد في الخلق ، وهو أشدهم رغبة فيهم ، ولو امتنع أحد من
حضور مجلسه الذى يعظ الخلق فيه واجتمع بواعظ آخر لضائق هاهنا الأرض .

وربما قالت له نفسه : إنما ضاقت عليك الأرض محبة في الله تعالى لا حبا في الرياسة .
فليمتحن نفسه بما لو أقبلوا على واعظ آخر وانتفعوا على يديه فإن فرح بذلك
وانشرح فهو صادق في محبة الخير للمسلمين ، وإن انقبض خاطره ، فهو محب للرياسة
يوهظه خارج عن طريق أهل الله عز وجل .

وقد رأيت بعض المنتردين إلى بعض الوعاظ ترك ذلك الواعظ ، وصار يتردد
إلى واعظ آخر ، فصار كلما رآه يعرض عنه ، فقلت لذلك الواعظ : لا ينبغي لك
الإعراض عنه إلا إذا ترك طريق الشريعة جملة ولم يجتمع بمن يرشده أما من اجتمع
بمن يرشده فلا ينبغي لك هجره فلم يدر جوابا فقلت له : فاستغفر الله تعالى يا أخي من
وهظك للناس من حيث نيتك الخبيثة ، فاشتد غضبه على ، فمثل هذا بعيد عن طريق
الرشاد والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا وظفوا الناس أن لا يخرجوا عن الأمور
التي كان الله تعالى بها عباده

بذكر المقامات ، والشطح ، والسجع ، وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع ،
والعدل طلبا للأغراب .

بل ، ويكون عمدة مجلس وعظهم في تطميع الناس في رحمة الله تعالى ، وتخويفهم
من عذابه .

فليحذر الواعظ الذي يتشبه بهم فيمتحدث بشعار الوصال والفراق والمجر وغير
ذلك مما يدهوا النفوس القوية إلى التعشق بما لا يحل من النساء ، والمودان .

وربما صمق في مجلسه صاهق ، فيظن من لافرامته له أن تلك الصعقة ربانية ، والحال
أنها شيطانية ، فيصير الناس يقولون : كان مجلس الواعظ اليوم عظيما صمق فيه
جماعات ، والحال أنه كان مجلس سوء لما وقع فيه من جراتخلق فيه إلى الأغراض
الفاسدة ، وتضليلهم عن سواء السبيل ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الإقبال على الله تعالى في صلاتهم

وعدم الوسوسة في المبالغة في الطهارة ، ومخارج الحروف والانيه ، والتكبير وذلك لكثرة رياضه نفوسهم قبل ذلك ، وغلبة الحضور عليهم بخلاف من لم يرض نفسه ، فإن هذا ربما توسوس ، حتى فاتته الصلاة في أول الوقت أو فاتته ركعة مع الإمام أو الصلاة كلها .

وربما توسوس في التكبير ، حتى أخرجه عن حقيقة وربما توسوس في مخارج الحروف ، حتى فرغ من القراءة ، وهو غافل عن معانيها ، وغاب عن هؤلاء أن الله تعالى لم يكلف العباد في تلاوتهم القرآن إلا بما جرت به العادة العرفية في الكلام .

وكان الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول : مثال من اشتغل بمخارج الحروف والفرق بين الظاه والباطن ونحو ذلك مثال من حمل رسالة إلى مجاس السلطان ، وأمر أن يؤديها على وجهها ، فأخذ يؤدي الرسالة ، ويتأنق في مخارج الحروف ، ويكررها ، ويعيدها المرة بعد الأخرى بالتخطيط ، والفصاحة الزائدة ، فنزل هذا ربما أقيمت عليه السياسة ، ورد إلى دار المجانين ، لغفلته عن مقصود الرسالة ، وهدم مراعاته حرمة المجاس انتهى .
فالخذر الخذر يا أخى من ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافتهم : مطالبة نفوسهم بإلقاء الذهن إلى فهم معاني القرآن
السكرم ومواعظه وزواجه إذا تلاه

ولا يقنموا بمجرد تلاوته وهذرمته ، حتى إن بعضهم يقرأ كل يوم ختمه ، ويظن
أنه صار بذلك من المقربين مع أنه يحب الدنيا ، وينازع هليها ، ويتمنى أن يكون في يده
جميع ما في أيدي الناس ، وربما صارت ألسنه هؤلاء تجرى بالفاظ القرآن العزيز ،
وقلوبهم تتردد في أوديه الآمال والنفكر في أمور الدنيا لا يتعظون بمواعظه ، ولا ينزجرون
بزواجه ، ولا يقفون عند حدوده ، ولا يعتبرون بمواضع الاعتبار منه .

ولا شك أن من ترك أوامر الله تعالى ، ووقع في مناهيه يستحق العقوبة ولو قرأ
القرآن كل يوم ألف مرة .

وربما يكون الحامل لبعضهم على حب تلاوة القرآن حسن صوته عنده أو عند الناس ،
فهو يقرأ أو يبلذ بذلك ليلاً ونهاراً ، ويظن أن تلك الالذة إنما هي بمناجاة الله عز وجل ،
وتلاوة كلامه من حيث هو كلامه تعالى ، والحال بخلاف ذلك ، إذ لو نظرت إلى لغة
كلام الله تعالى ، لغاب عن حسن صوته ، ونغمته ، ولم يعلق خاطره بسواه لأن لغة كلام
الله تعالى إنما تكون من حيث المعنى .

وقد ذكرنا في كتاب تنبيه المغترين أن السلف الصالح كانوا يبيكون كلما قرأوا
القرآن السكريم ، ويقولون نقرأ شيئاً ولا نعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم الاعتماد على شيء من أعمالهم الشاقة
كالصوم والحج الكثير

هذا إذا سلمت الأعمال من الآفات فكيف إذا احتفت بالآفات ، كالذى يقوم الدهر
أو الأيام الشريفة ، ولا يحفظ لسانه عن الغيبة ، ولا بطنه عن الحرام ولا جوارحه عن
المخالفات ، ولا خواطره عن الرياء

وكالذى يجمع مع عدم رد المظالم إلى أهلها قبل الحج ، ويخرج بمراده الذى عمله من
حرام أو شبهات .

وربما أخذ مال الولاية ينفقه على المحتاجين فى الطريق ، فأنفقه كله على نفسه وخزن
ماله الذى هو أحل من ذلك .

وربما أخذ المال الحرام من الولاية ، وأنفقه وأوهم الناس أن ذلك من ماله رياء أو سمعه .
وهذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض لأنه عصى بأخذه الحرام أولا ، وبإنفاقه ثانيا ،
وبريائه بذلك ثالثا ، ثم دخل إلى مكة بقلب ملوث بالرزائل ، وخبت الصفات ظاننا أنه
على قدم عظيم ، وأن أحدا لم يؤد المناسك مثله ، وذلك نهاية الغرور ، وربما رجع
إلى بلاده ممقوتا من بعض الأولياء برؤيته نفسه على الناس فى حضرة الله تعالى الخاصة ،
كما وقع لإبليس والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا جاوروا بمكة أو المدينة أن يراعوا حقوق الله تعالى
وحقوق نبيه صلى الله عليه وسلم

وإن هلكوا من نفوسهم عدم حفظ الحقوق رجعوا إلى أوطانهم من غير مجاورة
أذ المجاورة مأخوذة من مجاورة الإنسان لجاره ، ومن أقام بمكة فهو جار الله تعالى ، ومن
أقام بالمدينة فهو جار سيدنا رسول الله ﷺ وإن لزم من مجاورة رسول الله ﷺ مجاورة
الله تعالى ، وعكسه .

وقد أمر الله تعالى بإعطاء الجار حقه في هذه آيات ، وأخبار^(١) .

(١) يقول الله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ،
وبذي القربى واليتامى وللساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب ، والصاحب بالجنب
وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً » إن الله سبحانه
وتعالى يامرنا في الآية أن نحسن إلى الجار ذى القربى والجار الجنب ، وقرن الأمر بالإحسان
إليها إلى الأمر بالإحسان إلى الوالدين .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجار ذا القربى هو الذى بينك وبينه قرابة ،
والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة .

وكما أمر الله سبحانه برعاية الجار والإحسان إليه ، فقد حث رسول الله ﷺ على
العناية بالجار وأمر برعايته .

لقد أعلن رسول الله ﷺ إلى المسلمين عامة أن جبريل عليه السلام مازال يوصيه بالجار
حتى ظن أنه سيورثه .

ويروى الإمام مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت .

أما من سولت له نفسه إيذاء جاره بأى وجه من وجوه الإيذاء فإن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينذره هذا الإنذار الخطير الذى يجب أن يتدبره كل مسلم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه فيأرواه الإمام البخارى والإمام مسلم أن رسول الله
ﷺ قال :

ولا شك أن الله تعالى أودسوله ﷺ أعظم جار فحقه أعظم الحقوق ، وقد تقدم أن من حقوق الله تعالى في مكة أن لا يخطر لمن جاور بها معصية ، ولا سب على طعام ، ولا ثياب ، ولا مال زائد عن ضرورته في ذلك اليوم إلا إذا لم يكن بمكة أحد محتاج لذلك ، وكذلك لا يشترى إلى وطنه مدة إقامته إذا المشتاق إلى وطنه يصير قلبه فيه ، وجسده بمكة ، فكأنه لم يجاور ، ومن هنا كره الأكاير من الصحابة والتابعين الإقامة بمكة لعظم حقوقها ، حتى كان الشعبي يقول : كان الأمام عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول : يكسر الحجاج في آخر الزمان بلا سبب بهون على أحدهم السفر ، وييسر له في الرزق ، فيرجع محروما مسلوبا لا تخاذل الحج للتنزه في الجبال والرمال مع أن جاره الذي إلى جنبه محتاج ، فلا يتفقده ، ولا يواسي لا سفرا ولا حضرا انتهى .

« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟

قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه .

وفي رواية أخرى : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه .

والبوائق هي الشرور والإبذاء .

على أن الإحسان إلى الجار بمختلف صور الإحسان إنما هو وسيلة إلى الهدوء والعطمانية والأمن وإلى التعاون المتبادل ، إنه وسيلة إلى سرعة الإغاثة في الشدة ، وإلى النجدة في الحن ، وإلى الألفة والمودة حينما تسير الحياة سيرا لا شدائد فيه ومن أجل ذلك وغيره كانت حكمة الله سبحانه في الأمر برعاية الجار والإحسان إليه وفي أمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بالعناية بالجار وعدم إيذائه .

وبعد : فإن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنه يروى عن رسول الله ، ﷺ ، فيما ذكره

البزار قال رسول الله ﷺ :

« الجيران ثلاثة : جار له حق واحد . وهو أدنى الجيران حقاً ، وجار له حقان ،

وجار له ثلاثة حقوق ، وهو أفضل الجيران حقاً .

فأما الجار الذي له حق واحد ، جار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار ، وأما الجار

الذي له حقان جار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق ، جار

مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . »

قال الشعبي ولا شك أن الاخسان إلى الجار أفضل من صرف المال في التزهات ،
فإن من علامة الرياء تقدم المفضول على الأفضل .

وكان الشعبي يقول أيضا : لأن أجلس حمام أحب إلى من اقامتي بمكة^(١) والحمد لله
رب العالمين .

(١) ولعل ذلك راجع إلى قول الله تعالى :

« إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء
الما كف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذره من عذاب أليم » .
والإلحاد في اللغة هو العدول عن القصد والمراد بهذا الإلحاد هو الظلم على أى وجه
كان سواء كان شركا أو قتلا أو إستحلال محظورات الإحرام أو إستحلال الحرام تعمداً
أو غير ذلك من إحتكار الطعام إلخ . .

من أنواع الظلم .

ويقول الإمام أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى : فإن قيل : هل يؤخذ الإنسان إن
أراد الظلم بمكة ولم يفعله ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنه إذا هم بذلك في الحرم خاصة عوقب وهذا مذهب ابن مسعود فإنه قال :
لو أن رجلا هم بخطيئة ، لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل مؤمن عند البيت ،
وهو : « عدن أبين » أذاقه الله في الدنيا من عذاب أليم .

وقال الضحاك : إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى ، فنكتب عليه ولم
يعملها .

وقال مجاهد : تضاعف السيئات بمكة ، كما تضاعف الحسنات . وسئل الإمام أحمد : هل
تكتب السيئة أكثر من واحدة ؟ فقال : لا ، إلا بمكة لعظيم البلد . وأحمد على هذا يرى
تضيعة المجاورة بها ، وقد جاور جابر بن عبد الله ، وكان ابن عمر يقيم بها .

والثاني : أن معنى : « ومن يرد » : من يعمل .

قال أبو سليمان الدمشقي : هذا قول سائر من حفظنا عنه .

ومن أخلاقهم : هدم الاحتفال ببناء المساجد إلا إن وسع
الله تعالى عليهم من الكسب الحلال

وأما بناؤها من أموال الولاة ، وأعوانهم فهو عندهم في غاية القبح ، وهذا الأمر
قل من يتفطن له من الفقراء ، فيعمر أحدهم المساجد من الأموال التي يغلب فيها الحرام ،
والشبهة ، ويفرحون بإضافته ذلك المسجد إليهم ، وقول الناس إن سيدى الشيخ عمر
عدة جوامع مع أنه ليس له مال ولا كسب ، وأنه ينفق من الغيب .

ولما عمر سيدى أحمد الزاهد جامعه بخط المقسيم بمصر لم يدع أحدا من الولاة يساعده
فيه بحجر واحد ، وكذلك سيدى محمد الغمري .

فن وصل إلى مقام هذين الشيخين ، فليعمر له زاوية فيبعد بيت الله تعالى عن
الحرام والشبهات .

والمساجد كثيرة ، وغالبها الآن مهجور وقد قال الإمام الغزالي : من علامة الرياء
في بناء المساجد أن يكون في بلد الباني لها فقراء ومساكين وأيتام محتاجون فلا يهون
عليه الانفاق عليهم ، ويسهل عليه صرف ذلك في الماء والطين .

ولا شك أن صرف ذلك إلى من ذكر أفضل ، ولو أنه طلب الأجر والثواب
فما جعله ينفق المال على ذلك المسجد إلا محبته لثناء الناس عليه ، وذلك لا أجر فيه
بل فيه الوزر لاسيما إن زخرف المسجد ، وزوفه بالرخام الملون ، فإنه يشغل قلوب
المصلين عن الخشوع في صلاتهم الذي هو المقصود الأعظم من الصلاة ، ويكتب ذلك
في صحائف الباني .

وقد قال الحسن البصري رضى الله تعالى عنه : لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن
يبنى المسجد بالمدينة أتاه جبريل عليه السلام وقال : ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء
ولا تزخرفه ، ولا تنقشه انتهى قال : وفروا هذا الباني للمسجد من حيث أنه رأى
المنكر معروفًا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : النصيح لإخوانهم من الأغنياء

فلا يقنعون منهم بحضور مجالس ذكركم ، ووعظهم من غير صدقة على الفقراء وعدم إلقاء الضيوف ، ومساعدة أرباب الديون ، وكسوة الأراامل ، والأيتام ، والعميان ، فإن المطلوب الأعظم من صاحب المال إنفاقه على نفسه ، وغيره من المحتاجين .

وربما كان ذلك الشيخ يقبل زكواتهم لنفسه ، فيستحي أن يأمرهم بإخراج زكاتهم كاملة ، ويقنع منهم بما يعطونه له ولا عليه بعد ذلك من الفقراء .

وكثيرا ما يمسك الغنى المال بخلا ، وحرصا وشحا ، وبشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها نفقه مال ، كصيام النهار ، وقيام الليل ، وختم القرآن ، ويظن أنه صار من عباد الله الصالحين مع أن البخل المهلك قد استولى على قلبه ، وهو مناف للصالح وفي الحديث « ما جيل ولي الله تعالى إلا على السخاء وحسن الخلق » انتهى .

فعلم أنه لا يبرأ من ذلك إلا بإخراجه المال في مرضاة الله تعالى ، وأما العبادات من صوم وصلاة فإنه لا يشفيه من هذه العلة .

وقد قيل لبشر الخافى رحمه الله : أن فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال : هذا مسكين ترك الأمر الأهم ، وفعل غير المهم ولو أنه أطعم أحدا من الفقراء لقمة أو تصدق بدرهم لكان أفضل له من ذلك الصوم لأنه غاية تعذيب نفسه بالجوع اختيارا ، وذلك غير مطلوب .

قال : وإنما سأل العلماء في تعذيب النفس بالجوع في الصوم المشروع فقط بخلاف ما زاد على المشروع والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هدم القنطرة بمجلس الذكر صباحا ومساء مع الغفلة
عن الله تعالى فيما بينهما كما يقع فيه بعض المغرورين
ويحتاج بحديث : « إذا ذكر العبد ربه أول النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر الله له
ما بينهما » إذ المغفرة لا ترقى فيها ، ونهايتها أن تلحق المذنب بمن لم يذنب ذلك الذنب
لا أنها تلحقه بمن فعل الطاعات فافهم .
ومراد القوم في هذه الدار دوام الترقى مع الأنفاس في المقامات ، ومع ذلك ، فلا يرون
أنهم قاموا بواجب حق الله تعالى ، كما هو معروف عند أهل الطريق والحمد لله
هرب المالمين .

ومن أخلاقهم : حتم الإختار بمراسم الصالحين للظاهرة والوقوف معها
كلبس الصوف ، وإرخاء للعذبة ، وحف الشوارب ، والتسكع على الخواطر من غير
معرفة المجال التي تلبعث الخواطر منها من حضرات الأسماء الإلهية بل بعضهم يتسكع
على الخواطر مع جهله بالشريعة ، وهذا كله غرور .
وقد ذكر الإمام الغزالي في كتبه المسمى (بالكشف والتبيين عن غرور الخلق
أجمعين إلا الأنبياء ، وكل الصالحين) .

إعلم بأخي أن المفترين من المتصوفة على فرق كثيرة لا تنضبط ولكن نذكر لك
طرقا صالحا منها ونبدأ بمتصوفة زماننا ، فنقول ، وبالله التوفيق : قد اختر متصوفة
زماننا إلا من حفظه الله تعالى بالزى ، والمنطق والهيئة . فساعدوا الصادقين من الصوفية
في هيئتهم ، وزيمهم وألفاظهم ، وآدابهم ، ومراسمهم ، واصطلاحهم ، وأحوالهم الظاهرة
في السماع ، والرقص والطهارة ، والصلاة ، والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس
وإدخال في الجيب كالمتمسك في أمر ، وتنفس الصعدا ، وخفض الصوت في الحديث ،
وغير ذلك وظنوا أن ذلك ينجيهم ويكفيهم وغاب عنهم أن ذلك لا يكفيهم إلا مع شدة
المجاهدة للنفس ، والصبر على رياضتها ، ودوام ربط القلب مع الله تعالى في عموم الحالات ،
وطهارة الظاهر والباطن من سائر الخبايا ، والزلات ، وغير ذلك من منازل المتصوف .
قال : وقد رأيت من تحقق بمراسمهم الظاهرة ، وهو متكالب على الحرام ،
والشبهات ، وأموال الولاة ، وأعرانهم ، ويشاح على الحديد ، والرغيف في وظيفه ،
ويحسد أقرانه على النقيير والقطمير ، ويمزق هرض كل من خالفه في شيء من أغراضه
الفاسدة ، فقلت له : هذه الأمور تخالف ما تظاهرت به من مراسم الصالحين ، فلم يلتفت
لقولي ، فذل هذا هالك من حيث يظن النجاة .

قال : ورأيت فرقة أخرى زادت على هؤلاء في الغرور لما صعب عليها الاقتداء
بالمصادقين في بذاة الثياب ، والرضا بالدين في الملبس والطعم والمنسج والمركب

والمسكن ، فأخذت تلبس المرقعات النفيسة ، والجلبب الرفيع ، والسجادات المصبوغة ،
وقيمتها أغلى من قيمة الخبز والإبريسم ، فإن جالسوا الاغنياء نظروا إلى قيمتها ، وإن
جالسوا الفقراء نظروا إلى لونها ، وقالوا : هي جيبه صوف ، وذلك ، حتى لا يعترض
عليهم الفقراء ، ولا تذريهم أعين الأمراء ، فلبسوا على الفريقين الفقراء بظنهم أنهم
منهم ، والأمراء ، حتى مالوا إليهم ، وأخذوا أموالهم ، وربما كانوا مع ذلك مرتسكين
جملة من المعاصي الظاهرة ، والباطنة مما لو اطلع الناس عليه لم يجالسوه ، ولم يعترفوا بهم .

قال : ولا شك أن ضرر مثل هؤلاء على المسلمين أشد من ضرر اللصوص ، لأن
هؤلاء يسرقون القلوب بالزى ، وإظهار الصلاح ، فيقتدى الناس بهم في الأفعال الناقصة
فيكونون سبباً لملاك الناس ، وإن اطلع على فضائحهم أحد قالوا نحن من الملامية
الذين يظهرون القبيح ويخفون الملبح ، أولنا حال مع الله تعالى خلاف ما يظهر لكم
منا ، وقد كذبوا والله فإن الملامية هم أكابر الأولياء وأكابر محفوظون من كل فعل
يسىء إليهم أما هؤلاء فإنه يظن من اطلع على فضائحهم الباطنة أن السالف الصالح كانوا
كذلك فيسئ ظنه بالصوفية على الإطلاق .

قال : ورأيت طائفة أخرى من هؤلاء المغترين ادهت علم المكاشفة ، وشاهدة
الحق تعالى ، ومجاورة المقامات ، والأحوال ، والملازمة في عين الشهود ، والوصول ،
والقرب ، وهم كاذبون في دهمى ذلك ، وايس معهم منه إلا الإسم ، فلفقوا من ألفاظ
القوم كلمات شطح تلبوا عنها الاسماع ، وظنوا أنها من علوم الأولياء أصحاب الأسرار
والمعارف ، وربما ظن بعض الجاهلين صدقهم في ذلك .

قال : وعلامتهم أنهم ينظرون إلى أئمة الشريعة بعين الازدراء مع أن أحدهم لا يصلح
أن يكون خادماً حارساً ، وربما كان ذلك الشخص الذي ازدراءه معدوداً من أكابر العلماء .

قال : ومن علامة خروج هؤلاء عن الشريعة أن أكثر أتباعهم الفلاحون
والحياكون دون أحد من طلبة العلم ، وكثيراً ما يقول العوام : إن هذا يتكلم بالعلم

اللذنى ، والحال أنه من وسوسة إبليس له فى قلبه ، لأنه باض فيه وفرخ .

قال : ورأيت فرقة أخرى جاوزت حد هؤلاء فى الغرور ، فاستحيت من الخلق ، ولم تستح من الله تعالى ، فتراها تعمل أعمالا بينها وبين الله تعالى ولا تستحي منه ، وتستحي أن تفعلها بحضرة الخلق مع أن أحدهم يدعى محبة الله تعالى ، ولو أنه كان صادقا فى محبته لم يتعد حدوده ولو أنه كان هارفا به لفر مما يسخطه .

قال : ورأيت فرقة يقعون فى المحرمات بالإجماع فيما بينهم ، وبين الله تعالى ، ويتورعون عن نعل المسكروه ، إذا رآهم الناس ، والحال فى ذلك ، ثم قال : وبالجمله فهاثم مقام من المقامات المنجيه إلا ، ويمكن أن يدخله الغرور .

قال : ورأيت فرقة أخرى تميل إلى القناعة، والتوكل من غير سلوك طريق الشريعة، فتراها تدخل البرارى بلا زاد بقصد تصحيح توكلها على الله تعالى ، وما علمت أن مثل ذلك بدعه لم تنقل عن أحد من السلف ، وقد كانوا أعرف بالتوكل منها ، ومع ذلك فما فهموا من التوكل أنه المخاطرة بالروح ، ولا السفر بلا زاد ، لأن ذلك لم يرد به شرع ، وإنما ورد الشرع بضده قال تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ^(١) » وقال : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ^(٢) » أى خذوا معكم الزاد واتقوا أن يكون من حرام كان السبب فى ترك هؤلاء الزاد اعتمادهم على سؤال الناس نظرا لاعتقادهم فيهم التجرد عن الدنيا ، فهو يعلم أنهم لا يتركونه من غير افتقاد .

(١) وتنام الآية : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا
لئن الله يحب المحسنين » سورة البقرة آية : ١٩٥ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

وتنام الآية : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون
« أولى الأبواب » .

واتباع الشرع هو الدين ، وترك الاتباع خروج من الدين لمن تأمل .

قال : ورأيت طائفة أخرى ضيقت على نفسها في القوت ، حتى اقتصرت منه على الحلال عندها ولسكنها مع ذلك تهمل تفقد القلب ، والجوارح في غير هذه الخصلة ، ومن تعمق في بعض المأمورات ، وترك التعمق في بعضها تساهلاً ، فهو مغرور .

قال : ورأيت فرقة أخرى ادهت السخاء وحسن الخلق ، وخدمة الفقراء ، والعميان والضيوف الواردين . فجمعوا لهم جماعة في زاويتهم ، وصاروا يتكفون لهم الطبخ ، والمعجن ، والكسوة ، ولعلمهم إنما فعلوا ذلك شبكة لجمع حطام الدنيا من التجار ، والولاة تكثراً ، وتبسطاً ، فترى أحدهم يبالغ في خدمة الفقراء ، ومهما حصل من الأغنياء ، والولاة يفرقه على الفقراء ، ولا يلحس منه لحساً ، ثم بعد ذلك يرفع القواعد ، ويصير يختص بما نصبه ، وأخذ به على اسم الفقراء ، حين شاع اسمه بالإيثار ، والسخاء وربما أنه لو جاءه شيء ستره لم يعط الفقراء منه شيئاً ، فمثل هذا شيطان في صورة الإنسان .

قال : ورأيت طائفة أخرى أشغلت نفسها بالرياضة ، وتهذيب الأخلاق ، وتنظيم النفوس من العيوب ، وتعمقوا في البحث عن العيوب ، واستنباط الدقيق من دسائسها الكامنة فيها ، وقطعوا عزمهم كله في ذلك ، فمثل هؤلاء اشتغلوا بأنفسهم عن ربهم ، ولو أنهم أنصفوا لا اتخذوا لهم شيخاً ، فأغناهم عن مثل ذلك ، فأشغفهم بالله عز وجل .

قال : ورأيت طائفة أخرى اشتغلت بمطالعة كتب الرقائق ، ولفقوا لهم منها بعض كلمات ، وصاروا يذكرونها للناس ، ويهزون رؤوسهم كالمتمحبين منها ، وصار معهم من كل مقام من مقامات الطريق بعض كلمات ، حتى ربما ظن بعض السامعين بهم أنهم سلكوا الطريق ، والحال أنهم لم يشموا منها رائحة ، وبعضهم أفنى عمره في مباح حكايات القوم ، وكتابتها ولم يتخلق بشيء مما قالوه فيها ، وهم يظنون بأنفسهم أنهم صاروا من الصوفية ، ومثالهم مثال من سافر إلى ملك ليجتمع به ، ويصير من جلسائه ،

فلما وصل إلى باب الميدان رأى روضة ذات أزهار ، فوقف يتعجب منها ، ومن روائعها حتى جاءه الموت ، ولم يجتمع بالملك .

وقال : ورأيت طائفة وقفت في مبادئ الطريق حين تجلى نور طريق الحق ، فظنوا أنهم وصلوا إلى مقامات العارفين التي يشتهون إليها في سلوكهم ، والحال أن بينهم وبين حضرة الحق تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب إلا وظن أنه ليس بعده حجاب ، ولعل ذلك النور الذي تجلى لهم إنما هو نور من أنوار القلب ، فإنه إذا ظهر أدركوا فيه الوجود كله على ما هو عليه ، فظنوا أن ذلك إشراق نور الله تعالى عليهم وربما دهش أحدهم من حال ذلك النور ، وسمع النداء منه أنا الحق لا إله إلا أنا ، والحال أنه شيطان تجلى ، في قلبه حين رأى الوجود كما مر تسمي في قلبه ، ومن جملة الوجود إبليس ، فإن لم يتدارك الحق تعالى هذا الشخص ، والا هلك في دينه ، وبهذه العين كان نظر النصاري إلى المسيح عليه الصلاة والسلام فإتهم لما رأوا إشراق نور الله تعالى عليه أكثر من غيره ظنوا أنه هو الله تعالى فعبدوه ، فهم كن رأى كوكبا في مرآة أو في ماء فظن أن الكوكب في المرآة ، أو الماء ، فصار يمد يديه إليه ، ليأخذه ، فهكذا غرور من دخل الطريق بلا شيخ ، فإنه يضل ، ويضل غيره^(١) انتهى كلام الغزالي رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

(١) ولعل قراءة منانية لكتب الإمام أبي حامد الغزالي كالتقذ من الضلال وغيره توضح لنا صفات هذه الفئات الضالة وتبين لنا فساد منهجهم وكيفية هدايتهم . وقد قال أبو نصر السراج الطوسي في كتابه الدعاء : باب في ذكر : من غلط من المترجمين بالتصوف ومن أين يقع الغلط وكيف وجوه ذلك :

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أحمد بن علي السكرخي يقول : سمعت أبا علي الروذباري رحمه الله يقول : قد بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف ، فإن قلنا : كذا ففي النار وإن قلنا : كذا ففي النار .

يعنى : إن غلطنا فيما نحن فيه بدقيقة فتعير من أهل النار ، لأن الغلط فى كل شىء
نُعون من الغلط فى التصوف وفى علمه ، لأنها مقامات ، وأحوال ، وإرادات ومراتب ،
وإشارات ، فن تخطئ فى ذلك إلى ما ليس له فقد اجترأ على الله فيكون الله خصمه ، فإن
شاء عفا عنه وإن شاء طاقبه بما شاء كيف شاء

وكل من ترسم برسوم هذه العصابة أو أشار إلى نفسه بأن له قدماً فى هذا القصة ،
أو توهم أنه متمسك ببعض آداب هذه الطائفة ، ولم يحكم أساسه على ثلاثة أشياء فهو مخدوع
ولو مشى فى الهواء ونطق بالحكمة ، أو وقع له قبول عند الخاصة أو العامة .

وهذه الثلاثة أشياء :

أولها : إجتناى جميع المحارم : كبيرها وصغيرها .

والثانى : أداء جميع الفرائض : عسيرها ويسيرها .

والثالث : ترك الدنيا على [أهل] الدنيا : قليلها وكثيرها إلى إقبالها للوهم منها .

وهو ماروى عن النبي ﷺ ، أنه قال : أربعة فى الدنيا ، وليست هى من الدنيا :
كسرة تسد بها جوعتك ، وثوب توارى عورتك ، وبيت تسكن فيها ، وزوجة سالحة
تسكن إليها .

فأما سوى ذلك : من الجمع والمنع والإمساك ، وحب النكاح ، والمباهاة ، فجميع
ذلك : حجاب قاطع يقطع العبد عن الله عز وجل .

فكل من ادعى حالا من أحوال أهل الخصوص ، أو توهم أنه سلك منزلا من منازل
أهل الصفة ، ولم يبن أساسه على هذه الثلاثة فإنه إلى الغلط أقرب منه إلى الإصابه فى
جميع ما يشير إليه أو يدعيه أو يترسم برسمه ، والعالم مقر والجاهل مدع .

ومن أخلاقهم : عدم التنقيد على أحد من مشايخ العرب
أو الأمراء إذا محبهم بأن لا يصحب غيرهم

لأن التنقيد إنما يكون المرید الصادق الذى يطلب طريق القوم ، وأما هؤلاء الأمراء
ومشايخ العرب ، فإنما هم معتقدون من خارج الطريق .

وما رأيت قط أميراً ولا شيخاً حرب ، صار شيخاً يسلك الناس فى الطريق ، كشايخ
القوم أبداً ما دام كل منهما باق على وصفه .

وإنما يصح منهم طلب الطريق لو خرجوا عن مناصبهم ، وأرضوا خصومهم كما هو
مقرر فى رسائل القوم .

وقد حدث فى زماننا هذا جماعة تمشيخوا من غير إذن من أحد ، وصاروا يصطادون
كل من حوله بر وإحسان من الكشاف ، ومشايخ العرب ، وغيرهم ، ويرسلون تقباهم
لاستجلابهم إليهم ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك بقصد ائتلافهم عليهم ، ليشفعوا
فى المظلومين عندهم ، لا بقصد هلة أخرى ، ولو أنهم محبوبوا غيرهم من أقرانهم لتميزوا
من الغيظ .

فليمتحن من عمل شيخاً فى النصف الثانى من القرن العاشر نفسه إذا استجلب محبة
أمير ، فربما يكون ذلك لغير الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إجلال أسيانهم في غيبتهم وهدم الوقوع
في شيء يكدر قلوب أسيانهم عليهم عادة

فإنهم بذلك يدوم عليهم الترقى على يدهم ، ومن خير قلب شيخه ، فقد قطع حبله
منه ، وقد ورد مرفوعا « رضى الله تعالى في رضى الوالد وسخط الله تعالى في سخط
الوالد » ، ولا شك أن أبا الترييه يلحق بأب الولادة في ذلك .

وأجمع القوم على وجوب التأدب مع الوسائل .

وقالوا : من لم يتأدب مع الوسائل لا يصح له الدخول إلى المقاصد ، فإن الوسائل
كالطهارة للصلاة .

وقالوا : من تهاون بغضب شيخه عليه مقته الله عز وجل وقد بسطنا الكلام على
ذلك في كتاب المتن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تكبرهم من مريدهم إذا زار شيخا آخر
إلا إذا علموا من طريق كشفهم أنه ليس كذلك المريد نصيب هندم ، فهم يظهرون
لهم التكدر فيحصل لهم وله الخير .
فمن منع مريده من زيارة غيره من غير كشف ، فهو فارق في حظ نفسه ، وعلى ذلك
يحمل أحوال الأشياخ من الساف الصالح ، ولا يجوز حلهم على أنهم إنما منعوا مريدهم
رغبة في الرياسة كما بسطنا الكلام عليه في كتاب العهود وغيره والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أنشراح صدرهم لكل شيخ عقده مجلس ذكر
تجاه مجلسهم الذي ملوه في الجامع مثلاً

وذلك لمدح محبتهم في الرياسة ، وكيف يليق بمن يدهي محبة الله تعالى أن يتكدر
من يذكره تعالى .

وقد وقع لبعض الصادقين أنه كان يذكر الله تعالى في جامع ، فجاء شخص بمجاءته ،
وجلس تجاهه يذكر الله تعالى فقام بمجاءته ، وجلس في حلقة الشيخ الجديد ، وقبل
رجله ، وأمر مجاءته بذلك ، وهذا خلق غريب لا يوجد إلا في أفراد من الفقراء بل
ربما غضبوا من ذلك الشيخ الطاريء ، وربما ترافعوا للحكام كما وقع لبعض المنتمشين
من يذكر الله تعالى فالحمد لله وبالعالمين .

ومن أخلاقهم : عدم التميز في الجلسة بفروش سجادة
تحتهم إلا لضرورة شرعية

ثم إن جلسوا بالشرط المذكور أعلموا أصحابهم بذلك خوفاً أن يقعوا في مرضهم ،
ولو في نفوسهم إذ من شأن البشر كراهة شغوف نفس غيره عليه إلا من حفظه
الله تعالى .

وكذلك من العذر تمييزهم في الجلسة ليعرفهم الغريب فيسألهم عن أمور دينه إقتداءً
بسيدنا رسول الله ﷺ ، ولا يحتاج أن يقول الشيخ .

وتقدم أول هذه الأخلاق أن الأعراب كانوا يأتون النبي ﷺ ، ليتعلموا منه أمور
دينهم فلا يعرفونه ، حتى يسألوا عنه ، فتكلم الصحابة في أن يعملوا له ﷺ مكاناً
مخصوصاً يميزه عن أصحابه ، فعملوا له دكاناً من طين ، وفرشوا له فيه حصيراً من
خوص ، فصار يجلس عليها ، فللقراء الأسوة في ذلك ، برسول الله صلى الله عليه وسلم
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراحتهم لأكل طعام مریدهم قبل أن يتمكن أحدهم
من محبتهم ويرى أن جميع ما هو فيه من فضل أستاذه

وذلك أن الأكل من طعام المرید المذكور ، وقبول الإحسان منه يورثه إذلالا على
الشيخ ، فيقل نفقه على يديه ، وهذا خلق غريب في هذا الزمان ، فلا يكاد أحد يفتش
على مثل ذلك .

وكان سيدى محمد الشناوى يقول : مال المرید حرام على الأشياخ قلت : وهو محمول
على التفصيل الذى ذكرناه وعليه يحمل حال من امتنع من السلف من مثل ذلك
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : فرحهم بتحويل من صحبهم من الولاء إلى غيرهم من الأقران وإن
رأوهم قليلا من الاعتقاد ، فيمن اتقلوا إليه حسنوا اعتقاده فيه حسب الاستطاعة ،
وهذا خلق غريب لا يصح وقوعه إلا ممن فطم عن الدنيا ، وشهواتها ، وزهد فى حلالها
فضلا عن شهواتها ، وقد تخلفنا بذلك والحمد لله ، ولم أجده ذائقا من الأقران إلا قليلا
بل بعضهم يفسد ذلك الأمير على ذلك الفقير ، ويقع فى عرضه ، حتى يتركه ، ويصحبه
هو ، وذلك خروج عن آداب أهل الطريق والحمد لله رب العالمين .

وهن أخلاقهم : رجوعهم باليوم على أنفسهم إذا خالف أحد أخصائهم
من زوجة أو خادم أو ولد أو صاحب

ويقولون في أنفسهم : لو استقمنا مع الله تعالى لاستقام الناس معنا ، ولو أطعنا
الله تعالى في امتثال أمره لأطاعنا الناس ، وإن لم يكن ذلك قاعدة كليه .

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول :

إنى لأعصى الله تعالى فأهرف أثر ذلك في خلق حمارى ، وخادى ، وزوجى ،
فيشمص الحمار ، ويخالف الخادم ، وتلشز الزوجة ، فإذا رجعت إلى نفدى ، وشرعت
في تقويم هوجها رجع الحمار عن شموحه والخادم عن مخالفته ، والزوجة عن نشوزها انتهى
وقد تقع مثل هذه الأمور للمستقيم من الأولياء ، ليقنذى الناس به في الصبر
لا لإعرج بكون هناك ، أو يبتلى بها ليعرف صبره أقوى هو أم ضعيف حين ادعى
أنه من الصابرين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صبرهم على تحمل الأذى لهم من الناس وعدم صبرهم
على من أذى أحدا من أصحابهم

لأن غالب أصحابهم إنما يصحبهم ليحموه من الأذى لهم إلا أن يكون أصحابهم
في مقام الرياضة لنفوسهم ، فهناك يأمرهم بالصبر كما يأمرهم نفوسهم .

وكثيرا ما يأخذ الله تعالى لأصحابهم ثأرهم من أذاهم من غير سؤال من الشيخ
انتصارا من الحق تعالى له ، وذلك إما بعزله من وظيفته التي بها معاشه عادة ، أو مرض
شديد ، أو بصادرة من الحكام ، ونحو ذلك .

فالعاقل من لم يؤذى للفقراء أصحابا ، وقد سمعت سيدي محمد السروي يقول :
الفقير إذا غلب عليه الحال كان كالسبع المضاري الذي تغلب من صاحبه فرجا كسر
صاحبه وولده والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم تبجيل كل من أذاًم في غيبته وحضوره

وذكر محاسنه دون مساويه .

وقد تخلقت بذلك والله الحمد ، فذكرت منافع الجماعه القدين أذوني ، ودسوا في كتبى العقائد الزائفة ، حتى أتلّفوها في كتاب الطبقات^(١) ، فله الحمد على ذلك ، ولم أر له فاعلا من أهل مصرى ، إنما يذكرون في كل من أذاًم المعجر والبجر ، ولا تنكاد نفوسهم تسمح بذكر شيء من محاسنهم للناس ، وذلك دليل على بقاء الرهونة في النفس ، واقتد يا أخى بالسلف الصالح في ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١) يقصد بذلك كتاب « الطبقات الكبرى » للشمرانى .

ومن أخلاقهم هدم تساهلهم - كلما طعنوا في السن - في الأكل من هدايا الولاة
ومن لا يتورع في مكسبه ليفارقوا القوم لأنه من كمال الورع .
وهذا يقع في الإخلال به خلائق من الفقراء .

وقد تساهلت مرة في أكل بعض حبات من عنب أرسله لنا عيسى شيخ العرب
بالبحيرة لما اشتهر عنه من الدين ، وكثرة السكر ، فرأيت تلك الليلة كأنى راكب
جملا هظيا وأنا طالب أرض مكة ، فرجعت من الطريق ، وحولت وجهى إلى بحرى
مصر طالبا ناحية برشوم التين ، وأنا جنب أريد أن اغتسل من ساحل بحرهما ، ثم
استحال الحمل ببغلة ، فموت على أرض فيها برسيم ربه ، فسمحت لما بالأكل من
ذلك البرسيم ، فأكلت منه شيئا يسيرا ، ثم تذكرت الحساب عليه فكشفتها عنه ثم
رجعت إلى مصر قبل أن أصل إلى برشوم ، وأنا جنب ، ثم أركبت البغلة ولدى
عبد الرحمن ، ورجعت ماشيا ، ثم استيقظت فتقيأت تلك الحبات العنب ، حتى خرج
معهما ما أكلته أمس ، فكأنه خرج من بطنى حجر مظلم مسموم ، وكان اخطأى البغلة
لودى عبد الرحمن كناية عن إذنى له فى الأكل من العنب .
فانظريا أخى فى هذا المنام الغريب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن لا يسكتوا الجاهة إذا كانوا في مجلس الله
إلا بعد أن يستأذنوا الحق تعالى بقلوبهم

أو يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستأذن لهم ربهم أن يسكتوا
الجاهة بعد أن يأخذوا من الله كرمهم ، ويظهر للشيخ . اللهم من ذلك ليشغلهم في مهم
آخر من أمر دنياهم ودينهم (١) أو آخرتهم .

فإن الله تعالى ما نوع لعباده الأمور إلا لما سبق في علمه من ملهم من نوع
واحد ، وإلا فإذا حصلت مجالسة الحق تعالى بنوع من الأمور ، فإذا يطلب العبد
بعد مجالسة سيده ، فإنها محط رجال الأولين والآخرين ، وأشرف حالة تكون ،
وأعظم ثمرة تحصل لهم من سائر أعمالهم فافهم .

فعلم أنه لا ينبغي لشيخ المجلس أن يسكتهم غافلاً عن الاستئذان ، فإنه محدود من
سوء الأدب عند العارفين ، وما وجدت لهذا الخلق فاعلام أقراني إلا قليلاً فالحمد لله
رب العالمين .

(١) ياض بالأصل .

ومن أخلاقهم أن لا يظهر ولى للناس من إخوانهم من آداب الطريق إلا ما يعلمون
من الناس القدرة على العمل به إلا لغرض صحيح

وذلك أن يكون لهم هذا عند الله تعالى بنحو قولهم يا ربنا (١)
ذلك خير لنا ولو علمناه خيرا لنا لا تبعناه ويؤيد ذلك قول القائل : إن من البيان لسحرا
قال : سفيان ولا ترى السحر إلا حراما انتهى .

وقد كان المريدون في الزمن الماضي لا يقنعون بالآداب القليلة لعلو همهم ، فصار
أحدهم اليوم إذا سمع من شيخه بعض آداب يقول : يكفيني هذا ، فللناس حال في حال
لإدبارهم وحال في حال إقبالهم .

وتأمل يا أخى الناس حين يسافرون إلى الحج كيف يكرهون النقطير ، ولو أن
شخصا طلب أن يقطر جهالمهم يبتلون المال لمن يقطروا ، وإذا رجعوا وأشرفوا على
أوطانهم كيف يكرهون النقطير ، ولو أن شخصا طلب أن يقطر جهالمهم كرها لبذلوا له
المال على هدم النقطير ، فهكذا حال الناس اليوم ، فإن الدنيا الآن ، كأنها مركب
موسقه أشرفت على أن ترمى على بر الآخرة وما يقع لنا من الأهوال في هذه الدار ،
فهو كالإدمان لأموال الآخرة ، والتمهيد لطريق مقاساة أهوالها والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إذا ظلم حكامهم رعيتهم أن يتصالحوا الرعية ليرجعوا عن معاصي الله تعالى ويأمروا الولاة بالرفق بالرعية ، والرحمة لهم حسب الطاقة ، ولا يشتغلوا قط بسبب الولاة كما عليه المحجوبون عن معرفة أسرار الله تعالى في خلقه ، فالظلم أمر مركب من الرعية ، والولاة فيقدر الله تعالى على الرعية الوقوع في ما سبق به علمه من المعاصي ثم يسلط الولاة عليهم على حسب ما سبق في علمه ، ولا^(١) لسبيل لترك الرعية ما سبق في علم الله تعالى من المعاصي ، ولا سبيل إلى ترك الولاة مجازاة العصاة باستخلاص ما بأيديهم من نعم الدنيا ، وهزلهم عن وظائفهم جزاء وفاقا .

فمن أراد من فقراء الزمان هدم جور الحكام ، فاليناد في رعاياهم معاشر الناس لا يعصى أحد منكم ربه لا سرا ولا جهرا ، فإن سمعوا ، وتركوا المعصية ، كما ذكر ، فإن الحكام يرجعون عن جورهم .

فإن قال الرعية : للولاة أرجعوا عن ظلمنا قالوا لهم : استقيموا ونحن نرجع عنكم فإذا قالوا : ليس ذلك بأيدينا قال لهم الولاة : وكذلك رجوعنا عن ظلمكم في هذا الزمان ليس بأيدينا .

وبالجملة فهذا أمر مابقي يرجي تركه مابقيت الدنيا إلى ظهور المهدي رضي الله تعالى عنه بحكم الوعد الصادق من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فاللوم على كل الرعية والولاة شرعا .

وتأمل يا أخى الحكام تخدم كالعجام للدابة الحرون ، وإذا كان الناس يتعدون الحدود مع هذا العجام ، فكيف لو ترك الحكام مؤاخذتهم على ظلمهم ، ولعلمهم كانوا يأخذون أموال بعضهم بعضاً ويفسقون في حريمهم جهراً ويتلون بعضهم بعضاً .

فعلم أن وقوع المصلحة بوجود الحكام أعظم من مفسدة جورهم مع أنهم نواب لقدرة في تنفيذ أحكامها في الخلق .

فارجع يا أخى باللوم على نفسك إذا ظلمك كما قبل أن تلوم الحاكم والحمد لله وبالعالمين .

ومن أخلاقهم : تعظيم أولاد مشايخهم في العلم والطريق
والقيام لهم في المحافل ، وغيرها ولو كانوا عواماً إجلالاً لوادهم .

ومن أدركته هلى هذا القدم سيدى محمد الشناوى ، وسيدى هلى المرصى والشيخ
سليمان الخضيرى ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ناصر الدين الطباطبائى ، رضى الله
تعالى عنهم ، فإرأيت أحداً يعظم أولاد مشايخهم ؛ وأصحابهم مثلهم ؛ وذلك دليل هلى
موت نفوسهم وفلاحهم فإن أصحاب الرعونات لم يزل بينهم الوقفة ؛ وبين أولاد مشايخهم
وذلك لأن كل واحد يطلب أن يكون شيخاً على الآخر ؛ فالله يند يقول :
أنا صرت فى رتبة الشيخ وولده بالنسبة إالى كالريد .

وولد الشيخ يقول : أنا مكان والدى ؛ فأنا شيخ على جميع تلامذته ؛ ولو أن هؤلاء
فطموا عن الرعونات على يد شيخ ما وقعوا فى ذلك ، فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم شهود فضل تعلمهم عليهم في حياته وبعد مماته

فلا يرون أنهم شتموا رائحة مقامه فضلاً عن مساواته ؛ حتى إن بعضهم سمع شخصاً يقول : إن فلاناً خليفة شيخه ، فزجره عن ذلك ؛ وقال : لست بخليفة له ؛ وإنما أنا من معارفه ؛ لأن شرط الخليفة أن يكون على قدم من استخلفه في الورع ؛ والزهد ؛ وقيام الليل ؛ وعدم وضع جنبه إلى الأرض .

وقد كان شيخى على هذا القدم ؛ ولم أتبعه في واحدة من هذه الخصال ؛ فكيف تسميني خليفة له ؟ انتهى .

وهذا الخلق قد صار غريباً في فقراء هذا الزمان بل سمعت بعضهم يقول : أنا بحمد الله أعلم من شيخى بالكتاب والسنة ؛ وبأحوال الطريق ؛ ومثل ذلك لا يقع إلا ممن مكنه الله عز وجل ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم هدايتهم من جاءهم يسألهم في أن يحملوا
حملته من الأمراء والمبائيرين

لما داوت رحلتهم شمالا إلى التوبة والاستغفار من كل ذنب فعلوه إلى وقتهم ذلك
قبل أن يدخلوا في جهنم .

فكم ضرب أحدهم مسلما حتى دمي لحمه ، وكم حبسوه ظلما ، وكم شربوا الخمر ،
وكم زنوا وكم لاطوا ، وكم تعاونوا في الناس عند الظلمة ، وكم ، وكم ، وكم .

وهذا أمر قد أغفله غالب المتمشيعين في هذا الزمان ، فيدخل أحدهم في حملة من
هزل من ولايته أو وظيفته مثلا ، وربما كان ذلك عقوبة له على ذنوب مضت ظن أن
الله تعالى قد غفرها ، والحال أنها لم تغفر .

فالعاقل من أمر صاحب الحاجة بكثرة الاستغفار والتندم ، ثم بعد ذلك يدخل في
حملة بشرط أن يسكن الشيخ الآخر نائبا من كل ذنب يعمل الله ، وليس له سريرة
سيئة يفتضح بكشفها في الدنيا والآخرة .

ومنى كان الشافع أو المشفوع له مرتكبيا ذنبا فليس هما من أهل هذا المقام
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : ملاحظة مریدیهم إذا سافروا أو إذا أقاموا فی بیوتهم
فلا یزال أحدہم یراہی مریدہ ویحفظہ من الوقوع فی المعاصی المملقة علی ملاحظة
الشیخ ، ودعائہ ، وأما الأمور المبرمة ، فلا قدرة للشیخ نفسه علی دفعها عنه ، فكیف
یدفعها من غیرہ .

فعلم أن كل من عمل شیخا علی مرید ، وغفل عن حفظہ كان خائنا للمهد ، والله
لا یحب الخائنین .

وكذلك إذا راسل أحدہم أمیرا فی قضاء حاجة لمکروب لا یزال أحدہم یلاحظ
حامل الكتاب ، حتى یجتمع بالأمیر وتقتضى حاجتہ ، ومتى غفل أحدہم عن القاصد ، ربما
لم تقض له حاجة .

وكنیراً ما أقول لمن طلب منی کتابا یسافر به لا یكشف أو شیخ العرب بعد ثلاثة
أيام مثلاً اصبر ، حتى ترید الخروج للسفر ، فإنی لا أقدر علی ملاحظتك ثلاثة أيام .
وهذا سر قل من یعرفه فضلاً عن أن یعمل به ، والحمد لله رب العالمین .

ومن أخلاقهم : اتهم نفوسهم في إيمانهم الوقوع في سائر الكبائر فضلا عن
الوقوع في الصغائر

فلا يخلوا أحدهم قط بامرأة أجنبية ويقول بعيد على مثلى بأن أقع في الزنا بها ، فإن
في الحديث « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » ومن كان الشيطان معه خيف
عليه من الوقوع في كل معصية .

بل العاقل لا يلجئ له أن يفعل شيئاً يكون ابليس جليسه فيه أبداً بل يفر من
مجالسته من حيث أنه عدو لله ملعون ، فإن مجالسته مدمومة ، ولو لم يقع بمجالسة في
معصية أخرى .

ويتعين اجتناب مثل ذلك على أمثلنا ممن نفسه لا ترند عن المعاصي إلا إذا لم تجد لها .
وقد خالف في ذلك أقوام ، وقالوا للعجوز : أنت أختنا وللمغيرة : أنت بنتنا ،
فوقعوا في مالا يلجئ ، فاعاقل من بعد عن مثل ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أنهم لا يتزوجون لشيخهم زوجة سواء طلقها في حال
حياته أو توفي عنها .

ولو موطؤة بملك ، أدباً معهم أو خوفاً من قتلهم كما وقع لسيدى محمد الشويى ،
وسيدى بهاء الدين ، فطعننا ذلك الزوج في المنام ، فاستيقظ ، وأخبر الناس ، ثم مات لوفته
وأما سيدى محمد بن هنان ، فطعن الذى عقد على زوجته أم أبى العباس ، فاستيقظ
والطعنة في جنبه ، كالسكبة المشوى ، فحمل من جامع المقسم إلى بلاده بالشرقية ،
فمات في الطريق .

وكذلك وقع لسيدى نور الدين الشونى ولكن حصل فيمن أخذ امرأته شفاعته من
سيدنا رسول الله ﷺ ، لكون الذى تزوجها من المسكتلارين من العلالة عليه ﷺ .
ثم إن الممول في الزجر عن مثل هذا الأمر التجربة بمحصل الضرر من الأولياء إذا
حصل عندهم خيرة على عيالهم وإلا : فذلك جائز في الشرع ومن شك ، فليجرب
لا سيما في حق أرباب الأحوال .

وقد تقدم أن سيدى محمد المغربى الشاذلى كان يومى أصحابه أن يتزوجوا حلاله بعد
موته ويقول : لا أحب أن أشارك رسول الله ﷺ في هذه الخصوصية أدباً معه ﷺ
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا دخلوا محفلاً وجلسوا عند الغال لا يرون نفوسهم
بذلك على المتعذرين في المجلس من حيث مواضعهم أو غيره .

ولو أنهم كانوا في صدر المجلس ، فدخل شخص من أراذل الناس ، فزحزحهم صاحب
الدار إلى أسفل المجلس لا يتأثرون ، وذلك لأن نفوسهم قد ماتت إلا فيما يرضى المولى
عزل وجل .

وتقدم أن من شأنهم أنهم يرون نفوسهم أقل الناس ، وأن حكمهم مع الناس كحكم
التلامذة مع شيخهم ، فلو زحزحهم أحد من مـكانهم لأجل شيخهم لا يتركه دون بل
يفعلون ذلك اختياراً وينسرحون له ، فكذلك الحكم مع جميع المسلمين .

وسمعت سيدى على الخواص رضى الله عنه يقول : ليس التواضع أن يثبت الفقير له
مقاماً هالياً ثم ينزل منه للناس كما قد يشعروا لفظ التواضع أن لا يرى له مقاماً على أحد من
المسلمين ينزل منه ، ولو أن أحداً رفعه على أقرانه في مجلس أو غيره لا يرى أنه
ارتفع بل هو دائماً تحت زعمال أقرانه ، وأهدائه فضله عن غيرهم انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا قرءوا القرآن أو سمعوه أن يجعلوا جميع مواضعه
وزواجره في حق أنفسهم

وكذلك إذا سمعوا خطيباً أو واعظاً يأخذون جميع ما ويخ به الناس في حق أنفسهم
دون غيرهم ، وقليل من يتخلق بهذا الخلق ، وإنما يأخذون الكلام الصعب في حق
غيرهم ، ثم ينصرف أحدهم ، ويقول :

أفلح الخطيب أو الواعظ اليوم في حق هؤلاء الفسقة ، والظلمة ، ولا يسكاد يأخذ
له في حق نفسه كلمة واحدة ، وغاب عنه كونه فاسقاً ، أو ظالماً لأن الفسق هو خروج
عن السنة ، والظلم هو ظلم النفس بارتكاب المخالفات سرا وجهراً .

فأى هائل يدهى سلامته من هذا الفسق والظلم .

فعلم أن من كان همه الفهم في معاني القرآن ، وما فيه من الزواجر ، والقوارع ، فهو
غائب عن الوسوسة في مخارج الحروف ، وعن الإدغام ، والاقلاب ، والترقيق ،
والتفخيم إلا بقدر ما جرت العادة ، إذ إلقاء الذهن إلى مثل ذلك يغيب به العبد عن
كمال الحضور مع الله تعالى .

وقد قالوا : ليس من قدرة النفس أن تشتغل بشيئين معاً في آن واحد إلا إن أمكنها
الحق تعالى بقوة إلهية ، ولذلك كانت قراءة السلف الصالح ساذجة خالية عن الأنعام
التي ابتدعت والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الاحتجاب عن كل من أتاهم لغير غرض شرعي
فلا يفتحون له الباب عملاً بالإحتياط في ذلك ، وأعرف جماعة يأتوني كل قليل
ولا يحفظون لسانهم عن وقائع الناس وزلاتهم ثم يجيء بحكي ذلك لي ، ومجرت عن
أن أردم فكأنهم رسل إبليس إلى .

وقد كان سيدي يوسف المعجمي مع تمكنه في الطريق لا يفتح باب الزاوية
إلا لمسترشد أو مكروب أو لمن معه برالفقراء ويقول :

إن أعز ما هندا وقتنا ، وأعز ما على أهل الدنيا دنياهم من مال ، وطعام ، وكلام
في خير ضرورة ، فما كان عندهم حسنا ، فهو قبيح عندها ، وإعما فتحنا الباب لمن آتى
ببر للفقراء جبرا لخاطرهم ، ومجبرة لبره ، لكونه بذل لنا أحسن ما عنده ، فنزلنا
لعقله ، وإلا فالفقراء في غنى عما آتى به .

وقد قدمنا أنه لا ينبغي دق الباب على فقير لأنه ربما كان في جمعية قلب مع الله
تعالى لا وجهة له إلى الخلق فينشئ الداق عليه الباب الأدب معه .

وربما غارت عليه القدرة ، فأدبته بمرض ، أو زوال وظيفة ، ونحو ذلك .

وفي القرآن العظيم : (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم)^(١) .

وفي الحديث « لي وقت لا يسعى فيه غير ربّي » أي لا يسعى من الله تعالى أن
اشتغل بغيره فيه والحمد لله رب العالمين .

(١) وتام الآية : ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ،
سورة الحجرات آية : هـ

ومن أخلاقهم : كراحتهم لقيام الليل قبل أن يصطف كبراء
الحضرة الإلهية

بل يصبر أحدهم حتى يصطف الجاهة الذين هم أكبر منه عادة وعلى ذلك أهل
حضرة ملوك الدنيا ، فلا يقف الأدون إلا بعد وقوف الأكبر .

وقد وقع لي أننى قت أتهجد ليلة قبل دخول النصف الثانى فما كنت إلا هلكت
فأعلم ذلك يا أخى وأهمل عليه ولا تغتر بمن تراه يقوم من العباد قبل نصب للوكب
الإلهى ، فليس من يعلم كمن يجهل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : محبة مناجاة الله تعالى في الأسفار
من حيث مجالسته فيها لا لعله أخرى من حصول أنس ، وانتعاش قلب ، وانفساحه
فمن قام الليل لأجل ذلك ، فأما قام لحظة نفسه .
وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام :
قل لفلان العابد أخلص عبادتك لله تعالى ، فإنك إنما تقوم في الأسفار لمن تجده
من لذة مناجاتي ، وأنا لا بجانبه بيني وبينك ، حتى تستلذ بي ، أو تأتسى فلنفسك قت
لا لي انتهى .

وسياتي ذلك بأبسط مما هنا قبيل الباب السابع إن شاء الله تعالى .
وقد قال الشيخ في الفتوحات : لا تكون إلا بالمناسب والمشاكل والحق تعالى
لا مناسبة ولا مشاكلة بينه وبين خلقه ، وما حصل له من الأنس في عباداته ليس هو
في عباداته ليس هو بالله تعالى ، وإنما هو بما من الله تعالى لا بالله تعالى .
قال : وهذا سر يغلط فيه كثير من الناس انتهى .

فعلم من باب أولى أن الفقراء الصادقين غائبون عن طلب الثواب بعبادتهم
إذ لا يطلب الأجر على عبادته لربه تعالى إلا كل محجوب عن حضرة الأدب مع الله
تعالى ، وما طلب أحد من الأكابر الأجر إلا من باب المنة والفضل .

وقد قدمنا أن الله تعالى قال في بعض الكتب الإلهية : ومن أظلم ممن عبدني
لجنة ونار ، لو لم أخلق الجنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أطاع ، انتهى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يزوروا وليا أو عالما حيا أو ميتا إلا بقصد
أن يمدم بمده أو لغرض شرعى صحيح دون أن يروا نفوسهم
عليه بالزيادة

وكذلك كانوا لا يخرجون من عند من زاروه إلا بمدد وخبر بخلاف من يروا
نفوسهم على من يزوروه من جهة الزائرين ، فإمهم إما يمتنوا ، وإما يخرجوا بلا مدد ،
ومن رأيت في عصرنا هذا يزور الفقراء بقصد الاستمداد من مدهم الشيخ ناصر الدين
الطباطبائى ، وسيدى محمد الرملى ، والشيخ نور الدين الطنطاوى ، والشيخ شمس الدين
الخطيب ، والشيخ نجم الدين الغيطى ، والشيخ سراج الدين الحانوتى رضى الله تعالى
عنهم فاقتد يا أخى بهؤلاء الأشياخ .

وكان بعضهم إذا زار وليا ، ورآه نائفاً فى مقام كله له فى البرزخ .
ووقع لى مع سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه ذلك وشكرنى على ذلك
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافهم : تصديقهم للفقراء فيما يخبرون به عن أنفسهم من
الأمر التي تحملها العقول هادة

وقد وقع لسيدى على المرصفي أنه قرأ القرآن الكريم في يوم وليلة ، ثلاثمائة ألف
مرة وستين ألف مرة كل درجة ألف ختم . كما سمعته منه مراراً .

ووقع أن ألقى الشيخ أبا العباس الحريشي صلى المغرب في خلوتي في رمضان وتعميت
أنا وإياه ثم انتح القراءة فقرأ القرآن قبل غيب الشفق خمس مرات .

ورفع لي أنني صليت خلف الشيخ همر الامام عندنا بالزاوية في صلاة الصبح .
فافتتح بسورة المزمل ، فسموت عن سماه واننتحت من سورة البقرة فرصات إلى
الآية التي هو فيها في الركعة الأولى هذا أمر شهدته من نفسي وآمنت به ، فإنه كما يجب
الايان بكرامات الأولياء ، كذلك يجب علي العبد الايمان بكرامة نفسه التي أكرمها
الله تعالى بها لأن كلا الكرامتين بأقدار الله تعالى للعبد لا مستقلا .

وإذا نظر العبد إلى كرم الكرامة فعل الله تعالى ، وخلقه لا يقع في تعجب يعنى
استبعادا على القدرة ، فان القدرة لا يعجزها شيء ، والله على كل شيء قدير ، وإنما
تعجب الناس من مثل ذلك لوقوفهم مع نسبة ذلك للولى ، وهو حجاب عظيم
إذ لو كانت الكرامة من قدرة العبد مستقلا لم يمت إذا حضر أجله ، وكان يحى نفسه
إذا مات ويفعل كل ما يريد فافهم^(١) والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول الإمام الطوسي في كتاب التمع :

باب : في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له شيء من ذلك :

قال الشيخ رحمه الله : حكى عن سهل بن عبدالله رحمه الله أنه قال : الآيات لله والمعجزات
للأنبياء ، والكرامات للأولياء ولخير المسلمين .

وحكى عن سهل بن عبدالله رحمه الله أنه كان يقول : من زهد في الدنيا أربعين يوما
صادقا خلاصا في ذلك تظهر له الكرامات من الله عز وجل ومن لم يظهر له ذلك فإنما
عدم في زهده من الصدق والإخلاص ، أو كلاما نحو ذلك .

وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : من يتكلم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء مثله مثل من يعض التبن . قبل لسهل رحمه الله في الحكاية التي قبل هذه فيمن زهد في الدنيا أربعين يوما : كيف يكون ذلك ؟ فقال : ياخذ ما يشاء من حيث يشاء .

وصحت ابن سالم يقول : الإيمان أربعة أركان . ركن منه الإيمان بالقدر ، وركن منه الإيمان بالقدرة ، وركن منه الثبري من الحول والقوة ، وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء .

وصحت ابن سالم رحمه الله وقيل له : مامنى قولك الإيمان بالقدرة ؟ فقال : هو أن تؤمن - ولا ينكر قلبك - بأن يكون له عبد بالشرق ويكون من كرامة الله تعالى له أن يعطيه من القدرة وما يتقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب ، بمنى تؤمن بجواز ذلك وكونه . والصحيح عن سهل بن عبد الله أنه كان يقول لشاب كان يصعبه : إن كنت تخاف من السبع بعد ذلك فلا تصحيف .

ودخلت مع جماعة بتستر قصر سهل بن عبد الله رحمه الله ، فدخلنا في القصر بيننا كان الناس يسمونه بيت السبع فسالناهم عن ذلك فقالوا : كان تجيء السباع إلى سهل بن عبد الله رحمه الله فكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم ثم يخلها ، والله أعلم بذلك ، ومارأيت أحدا من صالحى أهل تستر ينكر ذلك . وصحت أبا الحسين البصرى رحمه الله يقول : كان ببادان رجل أسود فقير ياوى الخرابات ، فحملت معى شيئا وطلبته ، فلما وقعت عينه على تبسم وأشار بيده إلى الأرض ، فرأيت بيني الأرض كلها ذهباً تلمع ثم قال لى : هات مامك فتاولته ما كان معى ، وهربت منه وهالنى أمره .

وصحت الحسين بن أحمد الرازى رحمه الله يقول : سمعت أبا سليمان الخواص رحمه الله يقول : كنت راكباً حماراً إلى يوما ، وكان يؤذيه القذباب فيطاطىء رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت فى يدي ، فرفع الحمار رأسه إلى وقال : اضرب فإنك هوذا تضرب على رأسك ، فقال أبو عبد الله : فقلت لأبى سليمان : يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته ؟ فقال : سمعته يقول كما تسمعى .

وصحت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول : كان لى مذهب فى أمر الطهارة فكنت ليه من اليبالى أستنجى - أو قال : كنت أتوضأ - إلى أن مضى من الليل ربه ولم يطب قلبى فضجرت ، وبكيت ، وقلت : يارب العفو ، فسمعت صوتاً ولم أر أحداً يقول : يا أبا عبد الله

المعفو في العلم ، وكان عند جعفر الخدي رحمه الله فص ، وكان يوما من الأيام راكبا في ممرارية في الدجلة ، فأراد أن يعطي الملاح قطمته ، فحل الشبكة ، وكان الفص فيها ، فوقع الفص في الدجلة ، وكان عنده دعاء للضالة مجرب فكان يدعو به فوجد الفص في وسط أوراق كان يصفحها ، والدعاء (اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي ، قال : ثم أراني أبو الطيب العسكي جزءا قد جمع فيه ذكر كل ضالة رد الله إلى من دعا بهذا الدعاء في مدة قليلة ، فنظرت فيه وكان أوراقا كثيرة .

وصمعت حمزة بن عبيد الله العلوي يقول : دخلت على أبي الخير التميمي وكنت قد اعتقدت في مري فيما ينفى وبين الله تعالى أن أسلم عليه وأخرج ، ولا أتناول عنده طعاما ، ثم دخلت فسلمت عليه وودعته وخرجت من عنده ، فلما تباعدت من القرية فإذا به وقد حمل معه طعاما فقال لي : يا أخي ، كل هذا ، فقد خرجت الساعة من اعتقادك ، أو كلاما هذا معناه وهؤلاء القوم مشهورون بالصدق والديانة ، وكل واحد منهم إمام مشار إليه في ناحيته ، ومقتدى به في أحكام الدين ، فقد صدقهم المسلمون في أحكام دينهم ، وقبلوا شهادتهم على رسول الله ﷺ فيما رووا عنه وأستدوا إليه من الأخبار والآثار ، ولا يجوز أن يكذبهم أحد ويتهممهم في هذه الحكايات وما يشبه ذلك ، وإذا كانوا صادقين في واحد ، ففي الجميع كذلك .

باب : في حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم في جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام في ذلك :

قال الشيخ رحمه الله : قال أهل الظاهر : لا يجوز كون هذه الكرامات لغير الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء مخصوصون بذلك ، والآيات والمعجزات والكرامات واحدة ، وإنما سميت معجزات لإعجاز الخلق عن الإنيان بعثتها ، فمن أثبت من ذلك شيئا لغير الأنبياء عليهم السلام فقد ساوى بينهم ولم يفرق بين الأنبياء وبينهم .

قال الشيخ رحمه الله : من أنكر ذلك فإنما أنكرها احترازا من أن يقع وهن في معجزات الأنبياء عليهم السلام ، وقد غلط قائل هذا القول لأن بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام في ذلك فرقا من جهات شتى !

فوجه منها أن الأنبياء عليهم السلام مستعبدون بإظهار ذلك للخلق ، والإحتجاج بها على من يدعوهم إلى الله تعالى ، فحق ما كنتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى في كتابها ،

والاولياء مستبدون بكتان ذلك عن الخلق ، وإذا أظهروا من ذلك شيئا للخلق لا اتخاذ الجاه عندهم فقد خالفوا الله وعصوه بإظهار ذلك .

والوجه الآخر في الفرق بينهم وبين الانبياء عليهم السلام : أن الانبياء عليهم السلام يحتاجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل والاولياء يحتاجون بذلك على نفوسهم حتى تظن وتوقن ولا تضطرب ولا تهتز عند فوت الرزق لأنها أماراة بالسوء ، جاحدة مشركة ، مجبرة على الشك ، ليس عندها يقين بما ضمن لها خالقها من الرزق وذكر القسم عليها .

وقد سألت ابن سالم عن ذلك فقالت له : ما معنى الكرامات وهم قد أكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا فكيف أكرموا بأن يجعل لهم الحجارة ذهبا ، فاجبه ذلك : فقال : لا يعطهم ذلك لقدرها ، ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتاجوا بكون ذلك على أنفسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولوا الذي يقدر على أن يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا تنظر إليه ، أليس بقادر أن يسوق رزقك إليك ومن حيث لا تحسبه ، فيحتاجوا بذلك على ضجيج نفوسهم عند فوت الرزق ، ويقطعوا بذلك حاجج أنفسهم ، فيكون ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتأديبها لها .

وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كان رجل بالبصرة يقال له إسحاق بن أحمد ، وكان من أبناء الدنيا ، يخرج من الدنيا أغنى من جميع ما كان له - وتاب ، وصحب سهلا رحمه الله فقال يوما لسهل رحمه الله : يا أبا محمد ، إن نفسي هذه ليس تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام ، فقال له سهل رحمه الله : خذ ذلك الحجر وسل ربك أن يصيره لك طعاما تأكله ، فقال له : ومن إمامي في ذلك حتى أفعل ذلك ، فقال سهل : إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال : (رب أرني كيف يحيي الموتى قال أو لم تؤمن) قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

فال معنى في ذلك أن النفس لا تطمئن إلا برؤية العين لأن من جيلتها الشك ، فقال إبراهيم عليه السلام : أرني كيف تطمئن نفس ، فإني مؤمن بذلك ، والنفس لا تطمئن إلا برؤية العين . فكذلك الاولياء يظهر الله تعالى لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم ، وتأديبها لها ، وزيادة لهم ، ويكون في ذلك فرق بينهم وبين الانبياء عليهم السلام ، لأنهم يعطون المعجزة للاحتجاج بها في الدعوة ، والدلالة على الله تعالى ، والإقرار بوحدايته تعالى .

والوجه الثالث : في الفرق بينهم وبين الانبياء عليهم السلام لان الانبياء كلما زيدت معجزاتهم ، وكثرت ، يكون أتم لمعانيهم وأثبت لقلوبهم كما كان نبينا ﷺ قد أعطى جميع ما أعطى الانبياء عليهم السلام من المعجزات ثم زيادة أشياء لم يعط أحد غيره مثل : المراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه .

وشرح ذلك بطول ، ومتصودنا من ذلك أن الانبياء عليهم السلام كلما زيدت لهم من المعجزات يكون أتم لمعانيهم وفضلهم ، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زيدت في كراماتهم يكون وجلهم أكثر حذرا أن يكون ذلك من المكر الخفي لهم والإستدراج وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل ، وسببا لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل .

باب في الأدلة على إثبات الكرامات للأولياء ، وعلة قول من قال لا يكون ذلك إلا للأنبياء عليهم السلام : قال الشيخ رحمه الله : والدليل على جواز ذلك من الكتاب والاثار ، قال الله تعالى (وهزى إليك بجذع النخلة . تساقط عليك رطبا جنيا) وسرم لم تكن نبيه .

وحدث النبي ﷺ في قصة جريج الراهب ، وكلام العصى ، وجريج لم يكن نبيا . وقال النبي ﷺ في قصة النار : (بينا ثلاثة يمشون إذ آواهم الليل إلى غار) الحديث وماروى عنه ﷺ (بينا رجل يمشى ومعه بقرة فركبها فقالت : يا عبد الله ما خلقتنا لهذا إنما خلقتنا للحرث فقال القوم : سبحان الله فقال النبي ﷺ : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وليس هما في القوم ، ولم يذكر أن الراكب للبقرة كان نبيا ، وكذلك حديث الذئب الذي كلم الراهب ، ولم يذكر أنه كان نبيا .

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (إن في أمي مكلمون ومحدثون وإن عمر رضى الله عنه منهم) والمكلم والمحدث أتم في معناه من جميع الكرامات التي ذكر الله عز وجل على البدلاء والأولياء والصالحين ، وحدث ، عمر رضى الله عنه أنه قال في خطبته : (يا سارية الجبل) فسمع صوته بالعسكر على باب نهاوند .

وقد روى في الحديث لعلى بن أبي طالب ولفاطمة رضى الله عنهما كرامات وإجابات كثيرة .

وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ في مثل ذلك أشياء مثل حديث أسيد بن حضير وعتاب بن بشير أنهما خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فاضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج ، على حسب ما روى في الخبر .

وحديث أبي الررداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما أنه كان بينهما قصصه فسمعت حتى سمعا تسبيحها ، وقصة العلماء بن الحضرمي حيث بعث رسول الله ﷺ في غزاة خاله بينهما وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله تعالى بإسمه الأعظم ومشوا على الماء كما جاء في الخبر ، وكذلك دعاؤه لما استقبله السبع .

وحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه حين لقي الجماعة الذين وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنما يسلط على ابن آدم من يخافه ولو أن ابن آدم لم يخف شيئا غير الله لم يسلط الله عليه شيئا يخافه غيره ، ومنه في الاخبار كثير .
والصحيح عن رسول الله ﷺ ما قال : (رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه وإن البراء بن مالك منهم : ولا يكون في الكرامات شيء أتم من أن يقسم العبد على الله تعالى فيبر قسمه وقد قال الله عز وجل (ادعوني أستجب لكم) ولم يقل في شيء دون شيء .

وقد روى أيضا جماعة من التابعين بالأسانيد الصحيحة كرامات وإجابات يطول ذكرها إن ذكرنا بعضها فكيف كلها ١١ وقد صنف العلماء في ذكرها وروايتها عنهم مصنفات وقد روى أشياء في الحديث من الكرامات كثيرة من ذلك لعاصم بن عبد القيس والحسن بن أبي الحسن البصري ومسلم بن يسار وثابت البناني وإصالح المري ولبكر بن عبدالله المزني ولأويس القرني ولهم بن حيان ولأبي مسلم الخولاني ولصاة بن أشيم وللدريج ابن خثيم ولداود الطائي ولطريف بن عبدالله بن الشخير ولسميد بن المسيب ولعطاء السلمي ولغيرهم من التابعين ، قدروا عن كل واحد من هؤلاء وغير هؤلاء كرامات كثيرة وإجابات وأشياء قد ظهرت لهم ، لا يتبها لأحد أن يدفع ذلك لصحتها عند أهل الرواية ، وكذلك لطبقة أخرى بعدهم ، مثل مالك بن دينار وفرقد السخي وعتبة الغلام وحبيب المعجمي ومجد بن واسع ورابعة العدوية وعبد الواحد بن زيد وأيوب السختياني وغير ذلك ممن كان في عصرهم فإذا روى عنهم العلماء والأئمة الذين كانوا في عصرهم وقد صح عنهم ذلك عندهم وقد حدثوا بها ، مثل أيوب السختياني وحامد بن زيد وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة والثقات ولم ينكر ذلك واحد منهم ، وهم أئمتنا في الدين ، وبرواياتهم صح عندنا علم الحدود والأحكام وعلم الحلال والحرام ، فكيف نجوز أن نصدقهم في بعض ما يروون ولا نصدقهم في بعض ذلك ١١

وقد رأيت جماعة من أهل الأمم جمعوا ما يشاكل هذا الذى ذكرنا من كرامات الأولياء والإجابات والذى ظهر لهم فى الوقت فى هذا المعنى ، فذكروا أنهم قد جمعوا فى ذلك أكثر من ألف حكاية وألف خبر ، فكيف يجوز أن يقال : ذلك كله كذب موضوع ؟

وإن صح من الجميع واحد فقط صح الكل فإن القليل والكثير فى ذلك سواء .
والذى يحتاج بأن الذى كان قبل النبي ﷺ من ذلك كان إكراما للنبي ذلك الزمان الذى كان ذلك فى وقته والذى كان لأصحاب رسول الله ﷺ كان إكراما للنبي ﷺ فيقال له : فالذى كان أيضا للتابعين ولغيرهم وما يكون من مثل ذلك إلى يوم القيامة من الكرامات فكل ذلك إكراما للنبي ﷺ لأنه أفضل الأنبياء عليه السلام وأمه خير الأمم . وكما استحالى أن يكون اتى من الأنبياء عليهم السلام شيء من المعجزات إلا وقد كان للنبي ﷺ من مثل ذلك أو أتم من ذلك أو أكثر ، فكذلك يستحيل أن يكون فى الأمم السالفة لقوم منهم شيء من الكرامات إكراما لأنبيائهم إلا ويكون فى أمة محمد ﷺ أيضا اطائفة منهم أكثر من ذلك إكراما لمحمد ﷺ معا إن فى أمة محمد ﷺ من لا يرى ذلك حالا ولا مرتبة ولا كرامة ولا يرى ذلك إخبارا ومحنة موضوعة على طرق أصفياؤه والمخصوصين من أوليائه فمنهم مخلصون من ذلك إذا ظهر لهم سقوط منزلاتهم عند الله تعالى ونكوصهم على عقبيهم ونزولهم عن درجتهم ولا يعدون من ركن إلى ذلك ورضى به حالا أنه من أهل الخصوص ، ونحن نذكر فى ذلك بابا نبين فيه ذلك إن شاء الله . وإنا أردنا بذكر ذلك جواز كونه وبطلان قول من زعم أن كون ذلك غير جائز فى الأمة .

ومن أخلاقهم : أنهم يكرهون من يقبل يدهم أو يقوم لهم أو يمشی معهم

من غير غرض شرعي

كما أنهم يحبون من لم يقبل يدهم : ولم يقيم لهم ، ولم يعتقدم أكثر ممن كان بالصد من ذلك ، وهذا خلق غريب في هذا الزمان لا يوجد إلا في أفراد من الناس .

وكان هذا الخلق من أخلاق سيدي علي الخواص وأخي الشيخ أفضل الدين رحمهما الله تعالى ، ولا يقدر على المشي عليه إلا من غلبت عليه مراقبة الله تعالى ، وكان في حضرته على الدوام كشفنا وشهودا لا ظنا وغفلة ، فأشد ما على العبد من يعظمه بمحضرة الله تعالى ، فيكاد يندوب من الحياء والتجل لا سيما إن كان ذلك الوقت مشهوده ولأنه السابقة ، وهو يطلب من الله تعالى أن يعفو عنه ، ويسامحه ، فإنه يهلكه بالسكينة كما جربنا ذلك وما يعقلها إلا العالمون والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إكرام أهل الحرف النافعة

كالقنواقي ، والفرآن ، والمعداوي ، والجزار ، والطباخ ، ونحوهم

فإنهم من أهل الفضل علينا ، وإن قال العلماء بكراهة كسب بعضهم ، أو كانوا
هواما ، ونحن علماء .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقوم للقنواقي ، والزبال الحمام ويقول :

إن هؤلاء لهم الفضل علينا في نزحهم قاذوراتنا ونسخينهم الماء في الشتاء لطهارتنا ،
والقيام لأهل الفضل محمود .

وهذا خلق غاب أصحاب الأنفس عنه ، ولو نظر أحدهم إلى نفسه هو في السكون
لوجده كلاً نفع منه ، وأين هو من الطباخ الذي يقوم من نصف الليل يبيء الطعام
للعزاب الذي ليس لهم أحد يخدمهم ، فكم يأكل من طعامه فقير وسكين وعاجز
بفلوس ، وغير فلوس كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى واحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تصبرهم على المرض

وعدم الضجيج من الألم في حال بدايتهم ، وعدم الصبر ، وإظهار الضجيج أيام نهايتهم ، فإن السكك من شدة لطافة أبدانهم بالرياضة والمجاهدة صاروا يتألمون من قرصة برغوث ، ولا هكذا حالهم أيام بدايتهم لشدة كثافتهم ، وكثرة دعوى نفوسهم للقوة ، كالفراشة إذ النفس تريد بتصبرها مقاومة القهر الإلهي ، والسكك ظهر له ضعفه ، وألقى سلاحه ، وما بقى معه قوة تقاوم بها القهر الإلهي .

فكان من فضل الله تعالى على العبد أنه يحبس في مقام الصبر والتجهد وتحمل المرارة ، ليحصل له أجر الصابرين ، ثم ينقله أواخر عمره إلى مقام الرضى ، ليحصل له أجر الراضين ليحوز السكك في المقامين .

وقد سئل أبو عبد الله الحكيم الترمذى عن صفه الخلق ؟ فقال : ضعف ظاهر ودعوى هريضة انتهى .

ولما علم العارفون ذلك من نفوسهم طلبوا من الله تعالى الترخيف عن مرضهم فإن مثاهم إلى ذلك السؤال كما وقع للسيد أيوب عليه الصلاة والسلام بقوله أواخر المرض (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين)^(١) والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يقبلون هدية من لا يتورع في مكسبه
ثم إن قبلوا هدية من يتورع كافؤه على هديته ، وإن علموا أنه لا يقبل مكافأتهم
ردوا هديته عليه هروبا من تحمل منن الخلق في الدنيا والآخرة .
فعلم أن كل تقبر قبل هدية من لا يتورع كبعض الولاة ، والقضاة ، والتجار الذين
يبيعون على الظلمة ، فهو لم يشم لطريق القوم رائحة .
وكان سيدى على الخواص لا يتدىء أحدا هدية إلا إن كان فقيراً ، فيهديها إليه ،
ويساعه بالمكافأة عليها ، وإن أهدي أحدا له ممن لا يقبل مكافأة اغناه أو تكبره
مثلا يردها عليه ويقول للرسول : قل له : أن يهديها إلى من هو أحوج إلى ذلك منى كما
أوضحت ذلك فى كتاب اليهود والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هروبهم من تحمل منن من زارهم من الأكابر
لا سيما العلماء والأولياء فإن جميع رأس مال الفقير من أعمال لا يجيء به حق طريق
أحدهم هذا مع ازدرائهم نفوسهم ، وعدم رؤية استحقاقهم لمجشي أحد إليهم .
وكثيراً ما أسأل الله تعالى أن ينسى أخواني من طلبة العلم أن يزوروني خوفاً أن
ينقص أجر زيارتهم لي هن أجر اشتغالهم بالعلم الذي فوتوه بمجيئهم إلي .
وكثيراً ما أجعل ثواب هملي ذلك اليوم إن كان سبق في علم الله تعالى أن فيه ثواباً
في صحايف من زارني ذلك اليوم من العلماء ، والصالحين .
وهذا خلق لم أر له فاهلاً إلا القليل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الإكثار من الأعمال الصالحة

ثم لا يرون أنهم قاموا بشيء من واجب حقوق الله عز وجل ، ولو صام أحدهم وصلى وتورع وزهد . حتى ، صار كالشن البالي .

وقد غاب عن مثل هذا غالب أولاد المشايخ ، فاكتمفوا عن العمل بالاتسكال على أعمال سلفهم ، وشهرتهم بالصلاح ، ففاتهم خير كثير .

وقد أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوى رحمه الله تعالى : أن شريفا دخل على سيدى ياقوت العرشى ، فرأى الناس يقبلون رجل سيدى ياقوت ، ولا يلتفت إليه أحد ، فتكدر الشريف فى نفسه .

فقال له سيدى ياقوت : يا شريف أنا كلى بأكارهى وجميع أخصاى الناشفة الهزيلة لو وضعونى فى السوق ما أقبل أحد على شراىى بعشرة دنانير ، ولكر لما تبعت أخلاق سلفك الطاهرا كتسبت الشرف والعز ، وأنت لما خالفت أخلاقهم ، واتبعت أخلاق الأرازل أكتسبت الذل ، فتنبه ذلك الشريف لنفسه ، وتاب إلى الله تعالى ، وأخذ الطريق عن سيدى ياقوت انتهى .

وتقدم بعض ذلك .

فعلم أن كمال مرؤة الفقير أن يكون فى حرز أعماله الزكية لا فى أعمال سلفه الذين ماتوا .

وقد سمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

أكثرنا من الأعمال الصالحة على نية أن تعطوها لخصمائكم يوم القيامة ، ولا تطعموا نفوسكم منها بشيء إلا بعد استيفاء الخصوم منكم الحقوق ، وأمله لا يفضل عنهم شيء لكم ، وربما أعمالكم الكثيرة لا تكفيهم ، فيضع الملائكة من أوزارهم على ظهوركم انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مراعاة حق الجار

حقى إن أحدم بود أن يتحمل عن جاره كل بلاه نزل عليه ويود أن يدخل عليه كل شىء يسره ، وإذا كان ساكنا على الخليج ، وطلب جماعة الوالى منه أن ينزح ماء خراته ، فن المعروف أن يجعلها الفقير خراته ، ويقول : هذه خراتى وينزحها عنه لا سيما إن كان الجار فى كدر من ولد مات أو مال ضاع ، أو عنده مريض أو ضيوف يستحق منهم أو طلبوه للتفتيش ليعمل حسابه فى الوقف الذى تحت نظره أو جبايته فإنه يكون فى أهلا طبقات النكد .

وقد عملت ذلك مرة ، ونزلت بالمجاورين ، فنزحنا خراة الحمام ، والجامع الذى بمجوارنا ، ونزل معنا الشيخ رضى الدين قاضى قليوب نفع الله به المسلمين كل ذلك خوفا من أهوان الوالى أن يرهبوا صاحب الحمام ، وناظر جامع الميدان من جماعة الوالى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : اشتغالهم بتوديع الدقائق والدرج والساعات

وخروج أوقات الصلوات ، وتوديع الأيام والليالي ، والجمع والشهور ، والسنين ، بالأعمال الصالحة ، فلا يصير لهم وجهة ، لأحد من الخلق ، وكيف حال من تشهد عليه هذه الأوقات كلها بما عمل فيها من السيئات .

فإن حكم العبد حكم مجرم اجتمعت عليه شهود عدول هند ملك جبار يشهدون عليه بتعدى حدوده التي نصبها ، ونهاه عن تمديدها وقالوا له : إنه استهان بنظرك إليه ، وخاف من نظر هبيدك ، وذكروا فيه العجر والبجر ، حتى اشتد غضب ذلك الملك عليه ، والله المثل الأعلى ، فإن نظر لعدد مفاصله التي تشهد عليه وجدها ثلاثمائة ، وستين شاهدا في كل وقت عصى الله تعالى فيه ، وإن نظر للأيام والليالي وجدها هند قرب انسلاخ السنة ، كأنها سبعمائة وعشرون شاهدا ، وإن نظر إلى الكرام الكاتبين في اليوم ، واللييلة وجدتم ألفاً وأربعمائة وأربعين شاهدا ، وهكذا القول في المفاصل والدقائق والثواني والساعات وإذا ضربتها صارت كذا كذا ألفاً يشهدون عليك وهذا الخلق ما رأيته إلا في أفراد قليلة ومن عرف هذر الفقير في هروبه من الناس في وقت من الأوقات من الدقائق إلى السنين ، فربما يكون مشغولا بتوديع ما طارقه من الزمان في ذلك الوقت ، لأن كل وقت ورد عليه رسول من عند الله عز وجل ، فإما يرجع شاكرا ، وإما كفورا لاسيما أواخر السنة ، فإن الفقير يسكاد يندوب من الخجل والحياء من الله تعالى ، حين تصعد رسل جميع الأوقات المذكورة إلى حضرة الله تعالى ذامة أفعاله ، وأقواله .

وقد دخل على أواخر سنة إحدى وستين وتسعمائة الأخ الصالح الورع الزاهد الشيخ بدر الدين الشهاوى الحنفى زايرا ، فما وجدت لى وجهة إليه ، فلو لا أنه يعرف أحوال الفقراء ، لخرج نادما على زيارته لمن لا يلتفت إليه ولا أنصت في السلام .

فأعلموا ذلك أيها الإخوان وأعملوا به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : زيادة العمل للطاعات بحضرة مريدهم

لينهضوا همتهم ، حتى يصير المريد يجهد في أثرهم فلا يباحثهم بحسبكم الإرث لرسول الله ﷺ فقد قام ، حتى تورمت قدماء .

ووالله إنى لأخرج إلى الزاوية في الليل ليس لي حاجة إلا أن أحلم الفقراء إنى مستيقظ خوفا أن يظنوا أننى نائم ، فيناموا .

فعلم أنه متى كان المريد أكثر عملا من الشيخ ربما رأى نفسه على الشيخ ، فلا يفلح بعد ذلك على يديه .

قال الجنيد رضى الله عنه : مارأيت أعبد من السرى السقطى أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارؤى مضطجعا إلا فى حلة الموت .

قال : وكان يقول لنا أعملوا يا أولادى قبل أن يصير أحدكم حاجزا مثلى .

قال الجنيد : وكنا نجهد أن نعمل مثل عمله فى ذلك السن ، فلا نلحقه انتهى .

وهذا الخلق قد أخل به مشايخ الزوايا ، فإنهم فى النهار مع الناس ، وفى الليل مع النساء ، والنوم ، ومع ذلك ، وربما يزعم أحدكم أنه فى مقام لا يشغله الخلق عن الله تعالى ، وربما كان كاذبا كجلوسه للشيخة بلا إذن من شيخه ، وقيل خرد نار بشريته ، وروحاناته ، ويؤيد ذلك تكديره إذا سمع أحدا يذمه ، ويمدح أقرانه ، وتكديره إذا كان الباشا ، والافتدار ، وقاضى العسكر يزورونه ، ويمتقدونه ، ثم فارقه إلى أحد من أقرانه ، وصاروا ينكرون عليه ، ويندكرون نقائمه فى المجالس ، فإن هلاكة الصادق القدى لا يشغله عن الله تعالى شيء أن يشرح صدره إذا أنكر عليه الولاية ، وخصمه ، وأهتقدوا أقرانه ، ومدحوم ، وهذه ميزان تطيش على الذر ، فليمتحن المدعى نفسه ، ثم بعد ذلك يدعى أنه لا يشغله عن الله تعالى شيء والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إكرامهم لحلة القرآن والشرعة المطهرة

وإن لم يعملوا بما حملوا كما مر ، فيكفينا منهم كون الحق تعالى جملهم عرشا يكون القرآن العظيم ، والعلم الشريف في قلوبهم ، وإن كان غير حال في القلوب كما هو مقرر في كتب قواعد العقائد ، ولم يزل علم الناس في كل عصر أكثر من عملهم ، ومن توقف في إكرام عالم على عمله بكل ما يعلم ، فانه خير كثير .

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول :

ينبغي للمبدا أن يعظم حلة شريعة رسول الله ﷺ من حيث كون الحق تعالى أهلهم لحملها ، فتخرج الدين مبتدع قاموا عليه ، وقطعوه بالحجج .

وهذا أفدرك أني في الحث على إكرامهم ، فعلم أن أهل الله تعالى لا يتوقفون في محبتهم لعالم على إحسانه إليهم ، أو مصاحبتهم لهم ، ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية بل يحبونه ، ولو لم يجالسهم قط محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غير والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة منرتهم لطالب العلم إذا دخل عليهم وهم
يقروون في كلام أهل الطريق

فلا يمزمون عليه أنه يقرر إلا إذا علموا منه باصطلاح القوم خوفا عليه أن
يضحك عليه المريدون ، وهو يقرر الكلام على خلاف مراد القوم .
ثم إذا خفنا عليه ما ذكرنا قررنا نحن .

فمن الأدب أن نصير نستشير في المعاني التي نبديها ، فإن قال : هي حسنة كان ،
وإلا رجعنا إلى ما فهمه هو ، ثم إذا خرج من عندنا قررنا للفقراء الكلام على
مصطلح القوم ، وذلك لأن بعض طلبة العلم الآن علمهم موضوع في نفوسهم لا في
أرواحهم ، فلا يزداد أحدهم بكثرة العلم إلا تكبرا ودهوى ، فهو الشجر الخنظل
كلما ازداد ربا من الماء كلما ازداد مرارة بخلاف من كان علمه موضوعا في روحه ،
فإنه يزداد تواضعا ويدهى الجمل كما درج عليه الساف الصالح ، فكان من حسن
سياحة الفقراء العمل مثل هؤلاء القوم ، وإلا خرج أحدهم يمزق في أعراض أهل الطريق
ويدهى أنهم خارجين عن الشريعة بحسب فهمه السقيم ، ولو أنه اهتدى لنفذ لأهل
الطريق ، حتى عرف مصطلحهم ، ثم بعد ذلك جالسهم وحضر دروسهم .

قال سيدي عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه ونفعنا به :

دع هنك تعينى وذق طعم الهوى فإذا عشقت فبعد ذلك هنك

أى فإنك إذا ذقت طعم الهوى لم تعنف أحدا من أهل الطريق عن طريقه ، وإنما
يعتف من اعترض عليهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة كراهتهم للتقدم للإمامة في الفرائض والجنائز والاستسقاء ونحو ذلك

حياء من الله تعالى ، وأخذوا لأنفسهم بالاحتياط ، ويقولون : يكفي أحدا وزوجه صلاة نفسه .

وكان سيدي إبراهيم للتبولى رضى الله عنه يقول :

لا ينبغي أن يتقدم للإمامة في الفرائض والجنائز إلا من كان ظاهره مثل باطنه ، وليس له سريرة يمتنع بها في الدنيا والآخرة أما من كان مرتكباً في الباطن شيئاً بحيث لو اطلع عليه المؤمنون لكرهوا الصلاة خلفه ، فلا ينبغي له التقدم .

فليعرض من يطلب التقدم على الناس في الإمامة ذلك على نفسه ، ويقدر أنه لو أظهر المؤمنون على جميع زلاته التي عملها طول عمره هل كانوا يصلون خلفه أو يمتنعون ؟ ويفعل بمتنقى ذلك .

وأظنه لو أطلعهم على جميع زلاته لم يكن أحد منهم يحب أن يصل خلفه .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

لا ينبغي أن يزاحم على الإمامة في الجنائز إلا من لم يكن عليه ذنب ، حتى يقبل الله شفاعته ، فإن من عليه ذنب يحتاج عادة إلى من يشفع فيه ، فكيف يكون شافعاً لا سيما الصلاة على المكس ، ومقدم الوالى ، وغيرهم من الظلمة ، فإنه يحتاج إلى جاء هريض عند الله تعالى ، حتى يرضى عنهم جميع خصمائهم .

فقلت له : فإن كان ذلك مشهد جميع الكافرين . (المصلين؟)

فقال : لا يتقدم أحد المذنبين منهم ، ويدهوا لنفسه ، ولذلك المبت قياماً بحق الشرع وبفرض الكفاية ، وبحق أخيه المسلم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافهم : مبادرتهم للشكر لله تعالى إذا قدر لهم طاعة ومبادرتهم
للاستغفار إذا قدر عليهم معصية

ولا يقولون : هذا قدره الله تعالى علينا إلا بعد الندم والاستغفار ، ومن أين لأمثالنا
أن يأذن الحق تعالى له في الوقوف بين يديه ، ولو لحظة ، فلذلك بادروا إلى الشكر ،
وإن كانوا يستغفرون من طاعاتهم من حيث نقصها ، وعدم خشوعهم فيها ، ويرضون عن
الله تعالى من حيث فضائلهم المعصية لا من حيث المنقضى الذي هو من كسبهم ، فافهم .
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول :

يفبغى للعبد أن يشكر الله تعالى علي يسير الطاعات ويحمده علي يسير المعاصي التي
لم تكن أكثر مما وقع له ، فيقول : الحمد لله الذي قسم لي شيئاً من الطاعات ،
ولم يحرمني منها بالكلية ، الحمد لله الذي لم يقدر علي من المعاصي أكثر مما وقعت فيه ،
وبحسب حاجتنا هنا المقام إلى منزع دقيق بحيث لا يكون له رغبة في المعاصي شيء من
المعاصي والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : المبادرة للشكر إذا غلا السمر

ويقولون : الحمد لله الذى لم يقدر علينا غلاء أعظم من هذا ، ثم بعد ذلك يكثرون من الاستغفار لأن الغلاء لا يقع بالعباد إلا بعد إغضاب خفى للحق جل وعلا وأقل ما هناك استعانة العباد بنعم الله تعالى على معاصيه ، وقلة الاعتراف بأنهم لا يستحقون من تلك النعم ذرة واحدة لكثرة عصيانهم ، ومخالفاتهم .

وقد وقع غلاء على عهد سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه ، فأتوه يسألونه عن سبب ذلك فقال سببه الاستهانة بالقمح والدوس عليه بالأقدام انتهى .

وقد وقع فى زمن السلطان شعبان : أن الناس أكلوا الكلاب ، وحفروا على الأموات ، وأكلوهم ، وأكلوا أولادهم ، فصار الأب والأم يذبحون ولدهم ، ويأكلونه : فقل غلاء لم يصل إلى مثل ذلك ، ^(فكل)

فيلبغى لنا الشكر عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يخرجون من بيتهم إلا بعد أن يقول أحدهم
بقلمبه اللهم : إن كان أحد قد هزم علي زيارتي وخرج
في الطريق عوقني له حتى يجيىء

وإن لم يكن خرج ، فعوقه في بيته أو في الطريق ، حتى أرجع من حاجتي هذه ،
وذلك شفقة على أخيهم خرفا أن يتسكف أو يجيىء إلى بيتهم فلا يجدهم لا سيما إن جاءه
من موضع بعيد بنية خالصة .

وهذا خلق غريب قل من يفعله الآن فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : فعل الأمور التي أخبر الحق تعالى أنه يحبها
وتقديمها على ما لم يرد فيه شيء بخصوصه فيأتونها من حيث كون الحق تعالى يحب
ذلك الأمر لا لعله أخرى .

فيحبون العفو عن عباده ولولا ذلك ما أحبوا العفو عنهم والعافية لأبدانهم من
حيث كون الحق تعالى أخبر أنه يحب العفو عن عباده ، ولولا ذلك ما أحبوا العفو عنهم .
وهذا خلق هريب لم أجده ذاتقا من أهل هصرى إلا قليلا ، وأكثر الناس إنما
يحب الطاعات لما فيها من الثواب ، أو لما فيها من مجالسة الحق جل وعلا ، وربما رجع
فذلك لحظ النفس فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم مؤاخنة أحد بجنابته عليهم

بل يرجعون على نفوسهم بالقوم ، ويقولون لو أننا واقفناه على طلبه منا من الأغراض
المباحة ما أذانا ، ولا جنى علينا لا سيما إن كان من أذاهم يحضر مجالس الله كرا أو
مجالس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه يجب إكرامه الله تعالى ، ثم
لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لمجالسته لربه تعالى ، أو نبيه صلى الله عليه وسلم .

وتأمل يا أخى لو أذاك شخص ممن يجالس السلطان ، لأكرمه غاية الإكرام ،
وسامحته تمظيما له فالله تعالى ورسوله أحق بذلك ، وربما غفر الله تعالى لذلك الشخص
الذى جالسه فى ذكره جميع ذنوبه ، وأرضى عنه جميع خصمائه ، وأذن بالحرب كل من
أذاه ، فإن الله كرام مشور الولاية أى مرسوم من الله تعالى بها كما قاله أبو على الدقاق
رضى الله تعالى عنه ، فمن وفق لمجالس الله كرا فقد أعطى ذلك المرسوم .

فإياك يا أخى أن تؤذى ذا كرا ثم إياك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم دعائهم على شريف أدام

بل يرون أذاهم من جملة المقادير الآتية إليهم من قبل الحق بلا واسطة فلما الرضى
ولما الصير لما أنزل من ذلك .

وكيف يدعوا مؤمن على بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا تخاصم
الشرفاء مع بعضهم بعضا لا يلتصرون لأحد منهم على الآخر بل يتوجهون إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : يا رسول الله نسألك أن تصلح بين أولادك ، فعلم أن
من أذى الشريف أو اشنكاه من بيوت الحكماء ، فقد رقى من الأدب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءني شرفاء يسألوني أن أنوجه إلى الله تعالى في ولدعهم فقلت لهم : ليس
لفقير توجه إلى الله تعالى إلا بواسطة المصطفى صلى الله عليه وسلم .
وكيف يقول أحدنا يا رسول الله سل ربك أن يميت ولدك فلان لأجل ولدك فلان
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : فرحهم بنفزة أبناء الدنيا منهم

من المبشرين ، والنجار ، والأرءاء ، ومشايخ العرب ، والفلاحين ، وكل من لا يرجى منه خير آخرى .

ويحبون كل من نفر مثل هؤلاء منهم .

ويكرهون من يرغب مثل هؤلاء فيهم عملا بالاحتياط لأنفسهم لعجزهم عن القيام بواجب حق المستقيم من إخوانهم ، فكيف بالمعوجين منهم .

وكل فقير لا يعزم على تحمل بلاء كل من أراد التعرف به جميع هممه ، فلا ينبغي له التعرف به .

وفي الحديث « خص البلاء من عرفه الناس » يعنى من غير تعرف منه ، فكيف بمن يتعرف هو بهم .

فكل يوم لا يرى الفقير الصادق فيه أحد من أبناء الدنيا ، فذلك عنده يوم هيد . وقد رأيت من ادعى الإلتقاط إلى الله تعالى ، وصار يعتب على الناس في عدم ترددهم إليه ، وصلاتهم الجمعة عنده .

قلت له : هناك هذا يخالف دعوائك لمحبة للعزلة ، والإلتقاط إلى الله تعالى ، فما درى ما يقول .

فليمتحن كل من ادعى الصدق في التوجه إلى الله تعالى نفسه فإن رآها تفرح إذا نسيها الناس ، حتى كأنهم لم يعرفوها ، وصاروا يتسبونهم إلى عمل الزغل مثلا ، فليعلم أنه مخلص ، وأنه صادق فيه ، فليشكر الله تعالى وإلا ، فليعلم أنه كاذب ، راء مخادع لله تعالى ولعباده .

وقد كان الفضيل بن عياض يقول لنفسه :

كنت فاسقا في شبيبتيك ، ثم صرت مرأيا في كهولتك والله للمرأى شر من الفاسق انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هدم الإعتزاز بكثرة المعتقدين فيهم

من الأمراء ، والأكابر ، والفلاحين ، ومشايخ العرب ، وغيرهم ، ولو صاروا ،
يحملون بحياة أحدهم فإن غاية أحدهم حسن الظن بالفقراء ، فهم مأجورون بذلك .
وقد يكون الفقير على خلاف ما ظنوه فيه من الصفات ، وفي كلام الإمام الشافعي
رضي الله عنه : أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس انتهى .
لكي يلبغي لأحدهم الشكر لله تعالى إذ ستر عليهم نقايصهم بين الناس ، حتى صاروا
يعتقدونهم ، ويحملون بأسمائهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هـدم اعتنائهم واهتمامهم بشيء من أمور الدنيا
إلا بنية صالحة

وذلك كحضور مطبخ عرس أو وليمة أو إنشاء مركب أو خرس بستان أو بناء
دار ونحو ذلك من ما هو من شأن الغافلين عن أمور الآخرة
فإن الدنيا ليس لها حكم إلا على أبنائها وأما من كشف له عن أهوال يوم القيامة ،
فهو في غفلة عن الاهتمام بشيء من أمور الدنيا .

وقد نزلت درجة من غرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فانفكت فأرادوا أن يلصقوها بالطين ، فنهاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وقال : الأمر أسرع من ذلك انتهى وفي الحديث : « فإني بعثت
بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها » رواه البيهقي وغيره .

وهذا الخلق قد صار غريباً ، حتى بلغني أن بعض من ينسب إلى المشيخة اشتغل
بطعام عرس ولده ، حتى عدوا عليه نفقته لثلاث صلوات .
فإياك يا أخى من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : اذا استوى طعام وائمة العرس أو غيره أن يأذنوا للناس في أكله .

ولا يتوقفون على نظام ، ولا مد سباط ، ولا يدهون أحدا من الأكار بل كل من حضر أكل ، وحمل لمياله ما شاء إلى أن يفرغ الطعام .

وقد أغفل هذا الخلق غالب الفقراء ، فدهوا الأكار وحجروا على الفقراء ، وصار المسكين المميل يحضر بإذنه يطلب لم شيئا ، فيمنعونه ، وربما دفعوه ، فوقع هلي وجهه ، وكسروا وعاءه ، وذلك خروج عن الطريق .

ورأيت شخصا يدهى للشيخة هجر نقيبته ، الذي أهطى فقيرا مأمونية أو شيئا من أطايب الطعام .

وقال : هؤلاء لا يستحقون ذلك ، وإنما عملناه لوجوه الناس .

فقال النقيب : أنا قصدت بذلك هضم الأجر لكم .

فقال : أنا قلت لك إنني محتاج إلى أجر انتهى .

ويعوذ بالله تعالى من الوقوع في مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهة من يرفهم هلي أقرانهم

وزجرهم له ، وعدم اتخاذه صاحباً ، فإن في تقريبه مقاصد كثيرة منها تسكبر الأقران الذين لم يقطعوا هلي بد شيخ ، ومنها تعاطى أسباب شهرته بالصلاح ، حتى تسكنر اتباعه ، فينفية الولاة بحكم قانونهم ، ومنها ميل النفس سرأ إلى ذلك ، ومنها هماء عن هيووب نفسه بكثرة مدح الناس له ، واعتقادهم فيه ، حتى يهلك ولا يشمر ، وربما قال في نفسه : لولا أننى عند الله من الصالحين ما أكب الناس هلي اعتقادى هذا الإنكباب ، وهذا شىء من الله تعالى ما هو منك ، ولا أنت تعاطيت أسبابه ، وغير ذلك من المفاسد الهى ذكرناها في كتاب المنن الكبرى .

وهذا خلق غريب قل من يتنبه له من فقراء عصرنا .

ومن أدركته هليه أخى الشيخ أفضل الدين كان إذا ذمه أحد ، وأنكر هليه ونفر الناس عنه يقول :

والله إن قلب هذا نير الذى هرف حالى الذى أنا منوط عليه .

وسبقه إلى مثل ذلك مالك بن دينار ، والفضيل بن هياض كانا يقولان :

والله لو هلم الناس منا ما ففعله فى بيوتنا لرجونا ، ولم يباله وناكل ذلك سدا لباب الشهرة هفهم ، وإلا فهم منزهون هن ما أشاروا إليه ، فافهم .

وقد قال شخص لمالك بن دينار :

وأبتك اليلة ، وأنت تثبختر فى الجنة .

فقال : أما وجد إبليس أحد يسخر به غيرى ، وغيرك .

وكان كثيراً ما يقول : والله لو أن الناس يشمون وأثمة ذنوبى كا أشمها ما استطاع أحد أن يجلس إلى لتن ربحى رضى الله عنه .

فاهلم ذلك واهضم نفسك ما استطعت والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهة سماعهم للغناء والآلات المطربة
خوفاً أن يتبعهم الناس على ذلك من غير ذوق مشاهدتهم في ذلك ، فيهلكون ،
ويصير وزر ذلك عليهم ، كما عليه بعض جماعة ، ممن يدمى الفقر في هذا الزمان
وكان أخى الشيخ أفضل الدين يقول :
من ادعى أن سماع الآلات للمطربة لا تورث عنه غفلة عن الله تعالى ، فأغضبوه
على غفلته ، فإن ملك نفسه عند الغضب ، فهو يملك نفسه عند سماع الآلات انتهى
وبالجملة فلا يسمع آلات اللهو والغناء في هذا الزمان إلا كل مطموس القلب عن
مصالح الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : هدم المبادرة إلى الإنكار على أحد من الفقراء بحكم
العموم والإشاعة

فإنه ما من طائفة من طوائف الفقراء من الأحدية ، والبرهانية والمطاوعة مثلاً
إلا وفيهم الجيد ، والردى ، فالحكم على الجميع بما تراه وقع من واحد منهم جور ،
وتهور في الدين ، وإن كان ولا بد لك يا أخى من الإنكار ، فخالط هذه الطوائف
ومهماتهم منهم يخالف الشريعة فأكره علي فاعله ، ولا تقس بقية خرقته عليه
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم هتاجهم لأحد في عدم التردد إليهم

لأنه نوع من الكبر إلا لفرض شرعى ، وهذا يقع فيه كثير من التمشيخين بغير إذن من أشباخهم ، فترى أحدهم لا يتردد إلى أحد من إخوانه ويمتدح عليهم إذا لم يترددوا إليه ، ولولا ما عنده من الكبر ما تجرأ على النطق بمثل ذلك ، كأنه يقول :

أنا كبير وأنتم صغار

فاليتمبه الغافل لمثل ذلك ولا يمانب أحدا في وجهه ، ولا يقول : أوحشنا فلان ، ولنا زمان ما رأيناه ، فإنه إذا جمع بذلك ربما تكلف المجيء وجاء ، وما كان في هزمه أن يجيء ، وربما كان وراءه حاجة أهم من مجيئه إلى سيدى الشيخ الذى يأكل من قنة محلوقة على إسم دينه وصلاحه .

فإياك يا أخى إذا عملت شيئا أن تعتب على أحد في عدم زيارته لك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يتكبروا من تلميذهم إذا تركهم .

ومضى إلى الاشتغال بالعلم في مثل جامع الأزهر بل يفرحون له لأنه مشى على قواعد الصوفية ، وهو تفقهم قبل طلب الطريق .

فن أنكر على تلميذه الاشتغال بالعلم ، فهو مبتدع كذاب لم يشم رائحة الإخلاص ، ولو أن تلميذه رأى هذه من علم الشريعة ما يكفيه ما فارقه ، والوم عليه القى عمل شيخا من غير تبحر في الشريعة ، وأحوج مرديه أن يذهبوا إلى غيره . وكذلك يلغى لفقهاء إذا رأى صاحبه في الفقه اجتمع بأحد من مشايخ الصوفية أن لا ينكر عليه إلا إذا رآه وقع في بدعة .

وهذا خلق غريب لأن غالب المتمشيعين يكرهون من يلتفت عنهم إلى غيرهم ، حتى ربما قالوا : إن فلانا ارتد عن دينه ، وذلك يؤدي إلى الكفر والعبادة بالله تعالى ، وكيف يكون مرتدا من يتعلم علوم الشريعة أو يجلس في مجالس الذكر ، ويجالس ربه عز وجل .

وقد سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول :

لا يجوز المبادرة إلى الإنكار على الصوفية إلا بعد أن يشاهد منهم أمرا يخالف ظاهر الشريعة .

قال : وما بلغنا عن أحد منهم أنه نهى أحدا عن الوضوء أو الصلاة مثلا أبدا إنما يتكلمون في أمور دقيقة عن الأفهام ، فأحسن أحوالهم فيها الوقف عنهم ، ووكول لهم إلى الله عز وجل انتهى .

فإياك يا أخي ثم إياك من الوقوع في مثل ذلك ، وكل من جاء يجيء ، وكل من دلح يروح .

وقد ذكر النورى في أدب العالم من مقدمة شرح المذهب ما نصه :

ومن أهم ما يؤمر به المعلم أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره ، وهذه حصية يبغى بها جهالة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم ، وهو من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعلم وجه الله تعالى انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حفظهم أن أكلوا عنده خبزا

أو ذاقوا عنده ملحاً أو شربوا عنده ماءً ، ولا يخونونه ، ولو بالغيث حفظاً للخبز والملح .

وهذا الخلق من أغرب الغرائب في الفقراء ، فربما أكل الواحد عند صاحبه أردب من العيش ، ثم إذا وقع بينهما تنافر يصير كل واحد يحط في الآخر لا بكيل ولا بيزان ، وقد كان هذا من جملة أخلاق الأصوص من أيام السلطان قايتباي رحمه الله تعالى ، فحكي لى سیدی على الخواص :

أن الشاطر حمور كبير الأصوص دخل على تاجر كبير بهمر . وهو قائم مع سريره على السرير ، ففتح هيليه فناظر فقل له حمور : لا تخف ياخواجا دلى نفسك فإن الصبيان إنما يطلبون منك الغداء فقط فقال : كم أنتم فقال : عشرة أنفس ، فأخرج لهم ألف دينار لكل واحد منهم مائة دينار ، وزاد الشاطر من ورائهم أربعمائة دينار فقال له حمور : هداك العيب ياخواجا ما كان أملنا فيك هذا كله ، فوضع كل واحد نصيبه في حبه ، ثم شرعوا في الخروج فرأى واحد منهم حفاً أبيض يضيء على رف البيت ، فأخذه ووضعه في حبه ثم حدثته نفسه وهو خارج في الجواز البيت أنه يفتحه وينظر ما فيه ، فرأى فيه شيئاً أبيض فاعما فقال أن هذا ملح فسمع بذلك الشاطر حمور فقال إن هذا ملح فسمع بذلك الشاطر حمور فقال : ردوا ما معكم حيث مذاق صاحبنا الملح عند هذا الرجل ، فما بقي ينظر منا سوءاً مدة حياتنا ، فردوا المال كله ، فخلف عليهم أن يأخذوا منها مائة دينار ، فأبوا انتهى .

فانظر ياأخى أحوال زمانك ، ولا تقند بأهل الخارجين عن الاستقامة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة زجرهم لمن ينقل إليهم نقائص الناس ومآله
الناس فيهم

فإنه رسول إبليس ، ولم يزل للناس يقومون في حق بعضهم بعضا من ورائهم ، حتى
السلطان ، ثم إذا واجههم مدحوم ، وعظوم ، فشيء لا تصح سلامة السلطان منه من
ورائه ، فكيف يطلبون منه .

وكان مالك بن دينار إذا قال له شخص إن فلانا يذكرك بسوء .

يقول له : أما وجد إبليس أحدا أحقر في عيبيه منك ، حتى استعملك في هذه
القاذورة ، ثم يزجره ، ويقول :

لأنني أنا الذي أبدا بشيء من ذلك .

وهذا الخلق غريب قل من يعمل به من الفقراء بل رأيت بعضهم يستجلب من
الداخل عليه مثل ذلك ويقول :

إبش أخبار الناس اليوم ، فيقول : إنه وقع لفلان كذا مع قاضي العسكر ، ووقع
لفلان كذا مع الدهتدار ، ووقع لفلان كذا مع أهل جامع الأزهر ، وكبسوا اليوم فلان
وذكروا عن فلان أنه يعمل الزحل ، فيقول له شيخ الزاوية :

هيه ما أنت إلا حكيث لي ، ثم يصير يشخص نقائص الناس في ذهنه ، ويزدريهم
بقلبه ، ويقع في أعظم الذنوب بعد الشرك بالله تعالى لأن فيه إضرار للناس ، حتى لو أراد
أن يجعل من حكي عنه النقائص مثل ما كان قبل أن يحكي له لا يقدر بل يحكم عليه
الازدراء له وفي الحديث الصحيح : لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر .

فقال رجل : يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا .

فقال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى جميل يحب الجمال .

وفي رواية : (إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، إنا الكبير بطر الحق وغمط الناس .

قال العلماء : بطر الحق رده وغمط الناس استحقارهم وازدراؤهم .

فيـكفي شيخ الزاوية من الإثم أنه يصير بسباع نقائص الناس يرى نفسه أحسن حالا منهم ، فيستحق بذلك اللعنة ، ودخول النار كما وقع لإبليس في قوله : « أنا خير منه » ، فاهل ذلك وإياك وتقريب من ينقل إليك أخبار الناس ، وتوارى عنهم ، فإنه هدر في صورة صديق والمحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حسن صياحتهم وتأليفهم بين المتشاحنين مما

أو بين من وقع في حق أحد من العلماء ، والصالحين ، فيقولون للعالم أو الصالح :
أنتم بحمد الله تعالى ، كالبحر تملون الرمم والجيف ، وإن لم تحملوا أنتم مثل ذلك ،
فمن يحمله ، ويقولون للفاسق الذي وقع في حق من ذكر : يا ولدي بن لحوم الأولياء
والعلماء سم ، وإنا خائفون عليك من المقت ، ولا يقولون قط للعالم أو الصالح : مالك
ولفلان تشاحنه أو اصطلمح أنت وإياه ، فإن ذلك يؤذن بأنه مشاحن يقع في عرض الناس
كما يقع فيه الفاسق ، وفيه ازدراء للعالم أو الصالح بين الناس ، وربما سمع بعض الساذجين
كلام من أمره بالصالح مع الفاسق ، فيكشف رأسه له ، ويصالحه ، فيخالف قول
الامام الشافعي :

لا تبدأ بالصالح من خاصمك بغير حق ، فتذل نفسك في خير محل ، وتسكبر نفسه
بغير حق انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم هدم موافقتهم لغرض صاحبهم فيما يضره

وصبرهم على جفاه لأجل ذلك فإن كان داؤه يحب القيام له ، ولو لم يقوموا له لمزق
أعراضهم ، فيصبرون على تمزق أعراضهم ويسامحونه بما وقع فيه من عرضهم خوفا
عليه أن يتبوأ مقعده من النار ، اللهم إلا أن يترتب على هدم القيام له مفسدة هي أعظم
من مفسدة قيامنا له ، فتقوم له مشيا على قواعد الشريعة ، ثم للسأل الله عز وجل أن
لا يؤاخذنا بذلك ، وأن يكشف حجابنا حتى يرى نفسه أحقر خلق الله تعالى ، وأنه
لا يستحق القيام له من أحد من العوام فضلا عن غيرهم بل يصير يتكدر كلما دخل
مجلسا وقام له منهم أحد .

فيا أيها الأخي أن تبادر إلى الانكار على أحد من العلماء إذ رأيت أنه قد قام لظالم
أو ذى لسان يتقى كالشعراء أو نفوسهم فإن ذلك القيام إنما هو لغرض صحيح لانعظيما
له من حيث كونه من أبناء الدنيا ، وربما يقومون لذلك الظالم لكونهم رأوه من أهل
الفضل عليهم في الدين ، كما هو الغالب عليهم ، فإنهم يرون نفوسهم من أفسق الناس ،
وإن ذنوب الناس كلهم مفعورة بخلاف ذنوبهم ، فإنها باقية إلى يوم القيامة هضما
لنفوسهم لاسوء ظن بالله عز وجل كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى
والحمد لله رب العالمين .

البَابُ السَّابِعُ

فِي جَمَلَةِ أُخْرَى مِنَ الْأُخْلَاقِ

فمن أخلاقهم : هم المبادرة إلى تزكية الولاية بالكتابة في المحاضر
إلا إن اضطروا إلى مثل ذلك بطريقه الشرعي

إذ لا يبادر إلى الكتابة إلى مثل ذلك إلا من خبر الناس ، ونظر إلى عيوبهم
ومساوئهم ، والفقراء ليس لهم خلطة بالناس في العادة ، ولا نظر لهم إلى مساوئهم لأنهم
يلحظونهم بعين الوداد والتمظيم ، فلا يكادون يرون فيهم عيبا ، ولا فضلا مفسداً، وذلك
يخالف الحال الغالب على الناس اليوم .

وقد سحب رجل سيدي إبراهيم بن أدهم فلما أراد فراقه قال له : إنك لم تلبني
على شيء من عيوبى مدة صحبتك .

فقال : يا أخى إنى ألحظ إخوانى بعين التعميم ، والوداد ، فلا أرى فيهم عيبا ،
فأسأل عن ذلك غيرى انتهى .

فإن اضطرك الأمر يا أخى إلى تزكية أحد من الولاية أو غيرهم فاستخر ربك في ذلك
ثم زك بطريقه الشرعي والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم إذا كان لم خراج أن يوصوا الجاني أن يرفق بالفلاحين
ويطالبهم بسياسة من غير عنف ، فإن العنف إنما يكون من جماعة جبابرة العمال ،
وأما الفقراء فلا يليق ذلك بهم .

وإذا عملوا للجاني ضيافة بطيب نفوسهم ، فاليأكل منها ، وإلا تركها ، وأكل من
خلة الوقف بالمعروف ، حتى يرجع ، ثم إن في أكل جاني الفقراء من ضيافة الفلاح ،
تضييع لمال الوقف غالباً ، فكل من أكل طعامه يستحق أن يطالبه بحكم الطبع ، فليحذر
الجاني من مثل ذلك .

وكان هندي جاني اسمه الشيخ إبراهيم السنه وكان على قدم العفة عن طعام الفلاحين
والولاية فكان يأخذ معه من مصر ما يأكله ، وإن فرغ اشترى له ما يأكله ، ولا يأكل
لفلاح طعاماً أبداً ، وهو نادر في جماعة الفقراء .

وقد بلغني من شيخ من أولاد مشايخ مصر أنه كان يتزل معه بجنازير للفلاحين
فينجزر كل فلاح عجز عن الخراج ، ويمشي معه في الحر حافياً اليومين ، والثلاثة ،
وإذا جاء الفلاح بطعام قليل الدم أو بهسل ردى يصب الطعام أو بهسل على وجهه ،
ورأسه ، ويصير الذباب ينف عليه ، وهذا أمر لا يجوز فعله ، فليحذر الفقير أو المسلم
أن يفعل ذلك مع من له عليه خراج ، فإنه خروج من حدود الشريعة ، ولو أن جاني
الفقراء كان عنده سياسة لم تقامت سياسته مقام الزنجير والحبس ، وغير ذلك وحماه
ذلك من الوقوع في الإثم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم حسن سياستهم لفقراء الزاوية إذا تركوا قراءة الأوراد
والعبادات واتخذوها مقبلا ومراجا

وطالبوا فاعلهم بما يقوم بهم من الخبز والطعام ، فيسوسون الرجال بحسن الكلام ،
والترفيب في مجالسة الله عز وجل في الأوراد ، والأطعمال بقطع خبزهم ، وطعامهم ،
حتى يجوعوا ، فيحضروا مجالس الأوراد ، ويشغلوا بالعبادة لأجل أن يصرف لهم
الطعام والخبز .

وذلك نظير من يعبد الله تعالى لأجل الثواب الأخروي على حد سواء ، وما أفصحها
من خصلة تقع ممن طلعت حينئذ من فقراء الزاوية ، فيحضر الحزب خوفا من قطع خبزه
لا محبة في الخير ، ومجالسة الله عز وجل ، ومن فعل مثل ذلك ، فهو أهمل حسابا من
الحمار ، حيث احتاج في حذبه إلى مجالسة به لقطع خبزه (١) .

ثم إذا قطع الشيخ خبز كبير أو صغير للتأديب ، فليس لكبراء الزاوية أن يمترضوا
على الشيخ في ذلك ، فإنه سعى في الفساد ، والله لا يحب المفسدين ، فإن خبز الزاوية ،
وطعامها بالأصالة إنما جعل للمقبلين على عبادة ربهم جل وعلا ، فلم يدبر لاحق له في خبز
الزاوية ، وطعامها ، وما يأكله من ذلك حرام لكن يلجئ للشيخ أن يعطى ما توفر
من خبز المريدين المقبلين في الزاوية ، ويؤخره عنه على اسم من يحدث من المجاورين
المقيمين .

(١) عن الإمام الجنيد رضى الله عنه قال : من النذالة أن يأكل الرجل بدينه .
وكان رضى الله عنه يقول : بصفاء المطعم والملبس والمسكن يصلح الأمر كله .
وقال السرى السقطى رضى الله عنه : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الفرق .
وكان يقول : آه على لقمة ليس لله على فيها ثمة ، ولا تخلق على فيها منه .

في الزاوية إلا أن يكون ذلك لجماعة معينين في كتاب الوقف وذلك يكون واجب
الناظر إن كان له الإدخال والإخراج والتغيير والتبديل .

فاعلموا ذلك أيها الاخوان ، وكونوا أهوانا لكم لإخوانكم علي الأدب دون
الغضب مع أحد بالباطل ، يرجع وبطل ذلك عليكم في دينكم ، وقد نصحتكم
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: إذا ضيق الله تعالى على أحدكم الرزق ائدى ينفق منه على إخوانه أن يكتسب لهم بالحرفة والزراعة وسؤال السلطان

فإن الفقير كالأمير إن لم ينفق على خلمانه فروا منه إلى غيره ممن يقوم بطاعهم .
فلم أنه لا اعتراض على من سافر إلى الروم مثلاً في طلب رزقه أو جوالى ، لينفق على جماعته ، فإن في الحديث (إن كان أحدكم ولا بد سائلاً فليسل الصالحين أو ذا سلطان) انتهى .

فأما الصالحون الآن في العرب فقد تودع من صبرهم لإخوانهم غالباً أو مقامتهم في ما بأيديهم بل كل واحد يقول : نفسى نفسى ، فلام يقاسمون إخوانهم ، ولا م يسكتون عن الاعتراض عليهم ، فما بقى للفقراء ملجأ إلا باب السلطان نصره الله تعالى ، لكونه يعطى ، ولا يمن بما يعطى كالصالحين الكرام على حد سواء ، ولا يقال الواجب على الفقير إنما هو الاشتغال بالعبادة ، والاقبال على الله تعالى ، حتى تصير الدنيا تبعاً ، فإن ذلك أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا لقلّة صبر الناس اليوم ، وقلة صدقهم في طلب الطريق بخلاف السلف الصالح كان أحدهم يشتغل بالله تعالى ، حتى تأنيه الدنيا ، وهي راضية فإن شاء أخذ منها كفاية ، وإن شاء ردها .

فيلبى لكل من ليس عنده صبر الآن على ضيق المعيشة أن لا يسأل الناس إلا بعد هجره من عمل الحرف والصنایع ، فإن تحصيل القوت مقدم على نوافل العبادات في كل زمان .

وإنما ذم أميّاخنا من يسافر إلى الروم مثلاً في طلب الرزق فتعالى باب رفع الهمة لأصحابهم ، فإن هلو الهمة من الإيمان .

وقد يكون الشيخ الذى سافر من مصر إلى الروم مثلاً إنما يسافر بعد اطلاعه من طريق كشفه على ما قسمه الله له من الرزق في الروم ، فسافر إليه على كشف ، وبصيرة وفي الحديث (ومن يستغفب يعفه الله تعالى) .

فاوقفوا هممكم أيها الأخوان عن طلب ما زاد على ضروراتكم فإنكم لو ترفقتم .
عن جمع المال للإستمتاع به في المأكل والملبس وسعيتم لكسب الخيرات على وجه
الإخلاص لا غير ولم تسيئوا في حق أهل الحرف جهدكم ، فإنه لو لا استغناؤكم بوقوف
أوقافكم لكنتم أشد سعيًا في الدنيا منهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافتهم : إذا صحب أحد من أشياخ الطريق أحدا من الأمراء
فن الأدب عدم مزاحمتهم لذلك الشيخ في صحبة ذلك الأمير

بل يحسنوا إعتقاد الأمير في ذلك الشيخ ، وإن دهام الأمير إلى صحبته تعلوا
بالعمل المقبولة ، واستخفروا خوفا من تكدير ذلك الجزء البشرى القدى في الشيخ
إذا نقص إقبال ذلك الأمير عليه ، وصار يقبل على أفرانه لاسيما إن كان الأقران
حديثي عهد بالطريق ، وذلك الشيخ في رتبة أشياخهم .

وقد فعلت أنا مثل ذلك لما هزم الباشا اسكندر على زيارتي بعد زيارة الشيخ
سليمان الخضيرى ، حتى لا أشاركه في نزول الباشا له ، فرعده بأني أطلع له ، وأسلم
عليه في القلعة ، فرضى منى بذلك ، حتى تناسى العهد ، وكان ذلك العهد منى صوابا
من وجوه منها .

أن الواسطة لما سأله الباشا المذكور عن الصلحاء والزهاد يزورهم ذكرنى من جملتهم
فما كان الباشا يزورنى إلا لكونى صالحا زاهدا ، وأنا أعلم من نفعى ضد ذلك الصلاح
والزهد بخلاف الشيخ سليمان الخضيرى فسبح الله تعالى فى أجله ، فإنه أسن منى بنحو
خمين سنة ، وأكثر عبادة منى بيقين ، وإن لم يكن هذا الشيخ صالحا ، فم بقى
فى مصر صالح .

ثم الذى يابغى للفقير إذا آثر أصحابه بصحبة ذلك الأمير أن لا يكون عنده حزن ،
ولا تأسف فى الباطن على ذلك بل يرى الفضل لله تعالى عليه الذى أبهده عنه ، ثم
يسأل الله تعالى لذلك الشيخ الذى صحبه أن يحميه من الآفات ، ولم تكن المزاحمة على
صحبة الأمراء فى أحد من أشياخ الطريق الذين أدر كنههم فى النصف الأول من القرن
العاشر إنما حدث ذلك فيمن بعدهم ، وهو عنوان على هدم فطامهم عن محبة الدنيا
فصار الشيخ إذا اجتمع بأمر واعتقد فيه يود أنه لا يجتمع على غيره ، وإنما تليق
المزاحمة على العلماء الذين يرشدون الطالب إلى ما يقربه إلى الله تعالى ، وأما الأمراء فإنهم
(٢٣ - الأخلاق المتبولة - نان)

يهدون الفقير عن حضرة الله تعالى لاسيما إن أكل من طعامهم وأخذ من مالهم .

وقد كان الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يقول :

لولا علي بسيدى رسول الله ﷺ يكره إجتماعى على الأمراء ، والملوك لاجتمعت بهم ، وقد اجتمعت به فى اليقظة خمسا وسبعين مرة انتهى .

ولمنا من سيدى محمد بن زين النحراوى رحمه الله تعالى أنه كان يرى النبي ﷺ كثيرا ، فأخذه أهل النحارية فى شفاعته إلى حاكم البلد وأجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤيه ، ثم إذ رأى النبي ﷺ ، وهو يمر بعيدا عنه ، فتبعه ، وقال : يا رسول الله ما ذنبى ؟ فقال : تجلس على بساط الظالمين ، وتطلب رؤيتى لاسبيل إلى ذلك ، فلم ير رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى أن مات انتهى .

فاحذروا ذلك أيها الإخوان ولا تميلوا إلى القرب من الأمراء ، فإنه سم قاتل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يأمرُوا إخوانهم أن لا يجلس أحد منهم عند شيخ
من أشياخ الطريق إلا على طهارة من الحدث الظاهر والباطن

فإن حضرة الفقراء هي حضرة الحق تعالى لغلبة مشاهدتهم للحق جل وعلا وربما
نزات علي أهل المجلس الأمداد الإلهية ، فلا تجدد محلا يصلح لنزولها فيه ، فتصير
رافقه بين السماء والأرض ، حتى تجدد أحدا خاليا من الحدث الظاهر والباطن .

فإن حكم الأمداد كالسك وحكم الحدث الظاهر والباطن كالقذر فإياكم أيها الإخوان
من الجلوس عند الأشياخ على حدث ، وأصلحوا قلوبكم ، وطهروها كما تطهروا أجسامكم
للمصلاة ، فإن نفحات الحق جل وعلا لعباده لا تنقطع في الليل والنهار .

وقد رأيت سيدي الشيخ علي النبتي رحمه الله تعالى لم تزل يده ممدودة إن جلس
أو مشى أو ركب فقبل له في ذلك .

فقال : إن أمداد الحق تعالى لم تزل نازلة في الليل والنهار ، فأنا أعرض لأن ينالني
منها شيء انتهى .

فلم أن من جالس شيخنا علي حدث ظاهرا أو باطنا حرم مدمه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يزجروا كل من رغب أحدا من الأمراء في زيارتهم
ويحبوا كل من نفرم عنهم ، ثم إن وقع أن أحدا من الأمراء زارهم باستجلاب أحد
من أصحابهم أو غيره .

قالوا له : يا أمير نحن لا نستحق زيارة مثلك ولست إن كان لك ولا بد لك من زيارة
الصلحين فزر فلانا وفلانا من الصالحين ، ويذكرون له من في بلادهم أو إقليمهم من
أقربائهم ، ويقولون له من ذلك علينا قد غشك وغشنا فافقه تعالى يفر لنا وله .

وقد فعلت أنا مثل ذلك مع الدفاتر والمصنّاج الذين يزوروني ، فبحمد الله تعالى
انقطعوا عني ، وصاروا يزورون أقراني إلى وقتي هذا .

ولم أجد لهذا الخلق فاعلا في مصر إلا القليل كسيدي على الخواص ، والشيخ ناصر
الدين اللقاني ، والشيخ شهاب الدين بن الشلبي رضي الله تعالى عنهم فالحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يتنزلوا لعقل نسائهم فإذا غلوت زوجتهم من كلامهم
لجاريتهن أو التبسم لها مثلاً فن العقل ترك ذلك وإلا خربت الدار

وضاعت مصالحها وقد فعلت أنا مثل ذلك مع أمي وزوجتي ، وذلك أني شئمت
من فم الجارية لما طأطأت تصب علي يدي الماء رائحة نوم أو يصل فقلت لها : اغسلي
فك من ذلك فقالت زوجتي : لأي شيء تقول لها اغسلي فك ، فن ذلك الوقت ، وهي
عندي كالخبرة الأجنبية مراعاة لخاطر زوجتي المذكورة ، ولو أنني لم أوافقها لربما غلبت
عليها الغيرة ، حتى ظن الناس أنه لولا رأيي أقبلها مثلاً ما غارت مني .

فاتبعني يا أخي في ذلك ولا تراع ناموسك وتقول أنا شيخ مشايخ وكيف يظن بي
سوء ، فتخرب دارك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يرشدوا فقراء الزاوية إلى كمال الأدب
في المشي وفتح الخزان بلا صوت

فيفعلوا ذلك بالسر ولا بصوتوا بالك على الأرض بأقدامهم ولا يلقوا الضربة
بالمفتاح بالقوة ، فإن ذلك يشوش على قلوب الفقراء حال جمعية قلوبهم لاسيما في وقت
إحرامهم بالصلاة أو قراءة الأوراد .

ومن إدراكته يزجر أصحابه عن التصويت بأقدامهم إذا مشوا في الزاوية الشيخ تاج
الدين الذي كرمه الله ، ثم إنه فرش الزاوية كلها بابايبه سود ، حتى لا يسمع وقع
الأقدام من أحد منهم ، وهذا من محامن آداب الفقراء فإن أصعب ما على الفقير إذا
كان في جمعية قلب مع ربه تعالى أن يسمع صوتا يفرقه عنه ، وكثيرا ما أحس بتعب
في كبدى وقلبي إذا دق أحد من الجبهة على الباب فاحذروا أيها الفقراء أن تفعلوا مثل
ذلك مع أحد من الفقراء والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا جاءهم أحد يطلب على يدهم الطريق أن يملوه
بما يستقبله فيهم من أنواع الإمتحان

فإن كل مدع ممنحن بخلاف من سبق له من الله تعالى المحبة ، فإنه لا يحتاج إلى امتحان
إذ لا يمتحن إلا المحب لا المحبوب .

وقد جاءني أخونا الشيخ محمد الغزوي يطلب طريق الخواص .

فقلت له : أنت الآن في راحة وخير بتأديتك الفرض ، ونعمالك ما تقدر عليه من
الطاعات ، فإن طريق الخواص لا بد لك فيها من الجذام والبرص ، وتحويل النعم مع
قساوة قلوب العباد عليك ، ونحو ذلك .

فعرض ذلك على نفسه ، فرجع عما كان طلبه .

فإن قلت : إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد ابتلوا مع أنهم محبوبون بالاختصاص
الالهي فلا يحتاجون إلى امتحان قلنا كل نبي محب من وجه ومحبوب من وجه ففيه
جزء بشري يطلب الحق تعالى ، ومنه ابتلى اختبارا له كما قال تعالى في السيد أيوب
عليه الصلاة والسلام بعد ابتلائه « إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ^(١) » وفي
قول الحق سبحانه إنا وجدناه صابرا راضيا من الاختبار بالنظر لمقام النبوة ^(٢) .

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : في ابتلاء الأنبياء أمور كثيرة : منها

(١) سورة ص آية : ٤٤

(٢) ومن ذلك المقام أيضا سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث ابتلى عدة مرات منها :
يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الصافات : (وإن من شيعته لإبراهيم ، إذ جاء به
بقلب سليم ، إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ، أنفك آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم
برب العالمين ، فظن نظرة في النجوم ، فقال إني سقيم ، فتولوا عنه مدبرين ، فراغ إلى
آلهتهم فقال ألا تأكلون ، ما لكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضربا باليمين ، فاقبلوا إليه
يزفون ، قال أنعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون ، قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه
في الجحيم ، فأردوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) سورة الصافات الآيات ٨٣ - ٩٨ .

أختبار أحدهم من حيث الجزء البشرى المشار إليه بحديث (إنما أنا بشر مثلكم
أغضب كما يغضب البشر ، وأرضى كما يرضى البشر) لا الوهي .

ومنها اقتداء قومهم بم في الصبر ، والتجلبد .

لقد استمر سيدنا إبراهيم عليه السلام ، يدعو قومه إلى عبادة الله ، ويقيم لهم الحجة
تلو الحجة ، على فساد ما هم عليه من العبادة .

لقد أنكر عليهم عبادة الاوثان فقال :

(ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أى معتكفون عندها وخاضعون لها ، فما كان
ردهم عليه إلا أنهم فعلوا ذلك تقليدا لأبائهم وأجدادهم ، (قالوا وجدنا آبائنا لها عاكفين)
فقال لهم : (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) كما في قوله تعالى : (إذ قال لأبيه
وقومه ماذا تعبدون ، أنفكا آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم برب العالمين) .
قال فتادة : (لما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره) .

وسألهم سيدنا إبراهيم عليه السلام عن آلهتهم هل يسمعونهم إذا دعوهم أو ينفعونهم
أو يضرونهم فكانت إجابتهم أنهم : وجدوا آبائهم كذلك يفعلون .

ويظهر لنا من هذا أنهم سلموا له ، أنها لا تسمع داعيا ولا تنفع ولا تضر ، وأن عبادتهم
محض تقليد لا غير ، ولهذا قال لهم :

(أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدولى إلا رب العالمين) .
وهذا برهان قاطع على بطلان إلهية ما دعوه من الأصنام ، لأنه تبرأ منها فلو كانت
تضر لضرته .

واستمرروا فى عنادهم فقالوا :

(أجئنا بالحق أم أنت من اللاعين)

فرد عليهم قائلا : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم
من الشاهدين) يعنى بل أقول لكم ذلك جادا محققا ، وإنما إلهكم الله الذى لا إله إلا
هو ربكم ورب كل شيء ، وخالق السموات والأرض ، فهو المستحق للعبادة وحده
لا شريك له ، وأنا على ذلك من الشاهدين :

كل ذلك : أبان لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، أنه لا ينفع معهم حجة ولا برهان ، وأن
عقلهم لا يزن الأمور بميزان المنطق الصحيح ، فعمد عليه السلام ، إلى برهان على قام به

ومنها رفع درجاتهم الثلاثة بهم انتهى .

فأهلوا ذلك أيها الإخوان ولا تدخلوا في عهد شيخ إلا إن وطنكم نفوسكم على تحمل
البلايا والحن فإن الله تعالى يحب من عباده الراضى بما أعطاه ، حتى يكون الحق تعالى
هو الذى يبتدئ به بالمقامات ، والأرزاق المحسوسة ، والمعنوية والحمد لله رب العالمين .

فى جد جاد ، وتقلب غالب ، لا يثنيه عنه سلطانهم ، فترك القوم ينصرفون إلى عبد من
أعيادهم معتذرا عن انذهاب معهم بقوله : إني سقيم .

وبعد أن خرجوا راغ إلى آلهتهم ، أى ذهب إليها مسرعا مستخفيا ، فقال لها على
سبيل التمسك والإزدراء ، وقد وجد أن قومه قد وضعوا بين أيديها أنواعا من الأطعمة
قربانا لها فقال :

(ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون ؟ فراغ عليهم ضربا باليمين) .

لقد حطم سيدنا إبراهيم عليه السلام الأصنام فجعلها أجذاذا ، أى حطاما كسر ها كلها ،
ولم يترك منها سوى كبير هذه الأصنام .

فلما رجع القوم من عيدهم ، ورأوا ما حل بآلهتهم قالوا :

(من فعل هذا بآلهتنا ، إنه لمن الضالين .

قالوا : معناه قى يذكركم يقال له إبراهيم :

- أى يذكرها بالعيب والتنقص والإزدراء بها ، فلا بد أن يكون هو الفاعل لهذا -

قالوا فأنوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون

- نادوا بأن يأنوا به على أعين الناس ليشهدوا عليه بمقاتته ، ويروا ما يحل به من

شديد العقاب .

ولاشك أن اجتماع القوم فى صعيد واحد كانت أمنية سيدنا إبراهيم عليه السلام ليقوم

لهم الحججة جميعا على بطلان ما يتقدمون وبرهمن البرهان على فساد ما هم عليه عاكفون .

المحاكمة : تقدم سيدنا إبراهيم عليه السلام للمحاكمة وهنا شخصت الأبصار لسامع

الجواب والنقاش وعرضت عليه تلك الأسئلة : (أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟) .

ولكن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان حكيما ذكيا صاحب عقل ومنطق سارهم

فى الجدل إلى ناحية أخرى ليبلغ رسالته مهما كانت النتائج ، وبرهن بطريق الحكمة

إلى جواب لم يقصدوه ، ليلزمهم الحججة لعلهم يرجعون إلى صوابهم فقال :

.

(بل فعله كبيرهم هذا . فاسألوهم إن كانوا ينطقون) .
صفهم بهذه الحجة القاطعة ، التي نهتهم من غفلتهم ، وأيقظتهم من غفوتهم فأقبل بعضهم
على بعض يتلاوون ، وقالوا :
(إنكم أنتم الظالمون) .

لقد تركتموها للاحفاظ لها ولا رقيب عندها ، فخطمها من لا يؤمن بها ، ثم أدركتهم
الحيرة وعقدت ألسنتهم فأطرقوا مفكرين ، ثم توجهوا بالكلام مع إبراهيم :
(لقد علمت ما هؤلاء ينطقون)

لقد عرفت يا إبراهيم أن هذه الأصنام لا ترد سؤالا ولا تسمع كلاما ، فكيف تأمرنا
بسؤالها وهي حجارة صماء جامدة ؟

ولما أقروا بعبجز الآلهة ، وقصورها عن معرفة ما يجري حولها ، وجردوها من القدرة
على دفع العدو ، ورد كيد المعتدين ، حينئذ ظهرت حجة سيدنا إبراهيم عليه السلام واضحة .
ورأى للفرصة سانحة لإلزامهم بالمنطق السوى السليم قال لهم : (أفتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ أف أنتم تعلمون أن الله أفلا تعقلون)
فلما غلبوا على أمرهم ، وخافوا انفضاح حالهم ، ولم تبق لهم حجة أو شبهة يكابرون
بها ، عمدوا إلى القوة يسترونها عزيمتهم ، ويخفون باطلهم ، فقالوا : (حرقوه وانصروا
آلهتكم إن كنتم فاعلين) .

وشرع القوم يجمعون حطباً من جميع ما يمسكهم من الأماكن فسكنوا مدة يجمعون له
له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لأن عوفيت لتحملن حطباً لحريق إبراهيم
عليه السلام ، ووضعوا ما جمعوا من الحطب في المكان الممدله ، وأشعلوا فيه النار فاضطربت
واللهيب وعلا لها شرر لم ير مثله ، ثم وضوا الخليل في كفة منجنيق والقوه في النار .
روى البخاري بسنده عن ابن عباس أنه قال عندما ألقى إبراهيم في النار قال : (حسبنا
الله ونعم الوكيل) ، واستجاب الله له . فقد كان في رعاية الله وكله فلم تحرق منه إلا الوثاق :
(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) .

وهكذا رد الله كيدهم في نحرهم ، وأبان عن خسارتهم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم
الآخرين .

ومن أخلافهم : الخروج من محبة أولادهم بالطبع إلى المحبة الدينية حتى
تصير أولادهم هندم بمثابة الأجانب على حد سواء

فكل من كان أكثر طاعة لله عز وجل قدموه في المحبة .

وقد تحققت بذلك والله الحمد ، فرجما يترك ولدى الشيخ عبد الرحمن حضور درس
أو مجلس ذكر ، فأقدم عليه في المحبة جميع من كان حاضرا في المجلس من الرجال ،
والأطفال ، وأريد أن أرجعه بحكم الطبع ، فلا أقدر ، وهذا من أفضل نعم الله على العبد
فإنه من أوثق الإيمان فيحب العبد أخاه الله تعالى لا حاجة إليه ، ولا لسكونه والداله ،
ويبغضه كذلك إذا عصى ربه حتى لو كان من المحسنين إليه ، وفي القرآن العظيم (فأعرض
عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا)^(١) . . . الآية إذ الإعراض عادة
لا يكون إلا عن مبعوض .

فاعلم ذلك يا أخى وكن دأرا مع مرضاك الله تعالى لا تحب ، ولا تبغض إلا تبعاً
لقواعد شريعته والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقتهم : إذا صار أحدهم موردا للاخوان ومقصودا في قضاء
حوالهم وأهلا لزيارة الناس له من الأكابر والأصاغر أن
يقدم المكوف في بيته على زيارة إخوانه أو عيادتهم

فلا يذهب إلى زيارة أحد ، ولا إلى عيادته إلا إن كان فارغا وغلب على ظنه أن
أحدا لا يأتي إليه من الأكابر ، فيكون عمله على الترجيح دائما .

وقد خرجت مرة إلى عيادة شخص كان به وجع في رأسه ، فجأني الدفتر دار ،
وجاعة من الأمراء ، فلم يجدوني فلا تسأل يا أخى ماجركالى من التشويش ، ثم خرجت
إلى زيارتهم في بيوتهم مكافأة لهم لبعض ما فعلوا معي ، ومن ذلك اليوم ما عزمت على
خروج من الزاوية إلا بعد قولي (اللهم ان كان أحد خرج لزيارتي ، وهو في الطريق
فموقني له ، حتى يحضر ، أو كان عازما على الخروج لي ، فموقه في بيته ، حتى أرجع
أنهى) ووجدت بركة ذلك .

فاعملوا بمثله أيها الإخوان إذا صار أحدكم موردا للاخوان ، والزوار ، وأهلوا
إخوانكم بمنزركم في عدم زيارتهم ليقبل متبهم عليهم ولا يحملوكم على التكبر عليهم ،
ويقولوا إنما يترك فلان زيارتنا استمناة بحقوقنا ، وربما قالوا إن إلانا يقدم الأمراء
أهل الفقراء في الاعتناء ، والإقبال ، ولو كان من الصالحين ، لعظم الفقراء أكثر كما
أوضحنا ذلك في المنن الكبرى .

وقد كان الشيخ عبد القادر الدشغوطي إذا سلم عليه فقير لا يعتنى به كل ذلك
الإعتناء ، وإذا سلم عليه أمير أو جندي يعتنقه ، ويقبل في عنقه ويظهر له المحبة ، فقيل له
في ذلك فقال إن الفقير لا يظلم أحدا ولا أسمع عنده في مظلوم بخلاف هؤلاء الأمراء
فمنعهم لمعاملهم على المحامل السنية ثم إليك راتباع المولى والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : (١) اتقى أرسل لهم للسلام ثم لا يرون أنهم كافؤه بالمشي
إليه فإن خطورهم على قلبه أكثر فضلا من مشيهم إليه .
ومن هو ذلك الفقير حق يخطر على قلب ذلك الأمير هذا ما هملنا أشياخنا من
الأدب مع الأكا بر في هذه الدار والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا كان طعام زاويتهم لـسـكـل وارد عليهم بشرط الواقف
أو بإشارة الناظر الذى له الإدخال والإخراج أن لا يردوا
من جاء يطلب المجاورة عندهم

توفيرا لطعام الزاوية عليهم بل يقرؤا كل من جاور هـنـدـم على المجاورة إلى حد
يبلغه إلى أوائل مرتبة الاضطراب ، فهناك يمنعون من يجاور خرف الإضرار به ،
وبهم ، فلام يصبرون على الجوع الشديد ولا هو يرجع عن طلب الخبز والطعام هذا
كله فيما إذا لم يكن المجاورين هـدـد معلوم .

وقد كثر المجاورون عند سيدى الشيخ أبى الحسن القمى فعزم على إخراج بعضهم
فقال له الشيخ يوسف الحريش رحمه الله تعالى : أنظر فـسـكـل من رأيت رزقه عليك ،
فأخرجه إن شئت ، وأما من رزقه على الله تعالى فدها في بيته يعبد ، فرجع الشيخ هما
كان عزم عليه ، وبالجملة مرتبة الفقراء في كل عصر الإيتار والقناعة ، فإذا فعل كل واحد
منهم ذلك أسبغ الله تعالى عليهم النعمة ، ورزقهم من حيث لا يحتسبون ، وحامهم من
الخاصة على الطعام ومن الشرور الواقعة بسبب ذلك هادة .

ومن تأمل وجد سدة الفقراء ولحمهم تحمل شدائد وكروب ماديوا في هذه الدار
إلا من شاء الله تعالى ، كسيدى محمد الحنفى وسيدى على بن وفا ، وسيدى مدين ،
وأضرابهم فإن هؤلاء ربهم الله تعالى على وصف الدلال .

وكان سيدى على بن وفا يقول : ما عرفنا ولا ألفنا سوى الموافاة والوصال .

وكان سيدى محى الدين بن عربى رحمه الله يقول : ما نبجلى الحق تعالى لقلبي بـظـهـر
قهر قط ، وما سمعت بالقهر إلا من خبرى ، فاقهرنى تعالى قط انتهى .

وفى عصرنا هذا جماعة على هذا القدم الشريف في ممة الرزق منهم سيدى محمد
البكرى فسح الله في أجله فإن ملبسه وما كاه وسكنه ومنسكحه كاللوك مع هدم حصول
ذل في طريق ذلك الفنى ، ومن أراد من فقراء العصر أن يتبعه في ذلك هلك ولم يتله
من ذلك إلا التعب ، والعناء والله يتفعا ببركته ويعدنا بإمداده والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا هجر أحدهم مريضا بطريقه الشر هي أن لا يكون
في باطنه له حقد ولا غل ولا مكر

وهو معنى قوله تعالى « واهجرهم هجرا جميلا^(١) » أي هجرا لا حقد فيه ،
وإيضاح ذلك :

أن السكك لا ينظرون من الخلق بالأصالة إلا حقائهم ، وهو القدر المدبر لأرواحهم
من سر الحق جل ، وعلا ، فهو خاص بمن غلب عليه شهود الحق قبل الخلق ، وهو
مقام السيد أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان يقول :

ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله انتهى .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط السكك أن لا يكون عنده
حقد ولا مكر ولا استمزاز لأن عبوديته كشهوده له وأما وجه سيادته المعبر عنه برياسة
الروح ، فهو مستور عنه لأنه يؤدي إلى الزهو والمعجب ، والكبر ، وذلك يناقض
السكك وفي الحديث (من تواضع لله رفعه الله عز وجل انتهى) فجعل الحق تعالى رفعة
عبده بذله ، وانكساره وملازمة عبوديته لا تكبره ، ودعواه ، ومن حقد على أخيه
المسلم أيام هجره ، وقال : ما حقدني عليه الأسود الخلق القائم بي فسر الحق حقد على
سر الحق كما يقع فيه بعض أهل الشطح الخارجين عن الأدب .

قلنا له : هذا جمل منك بوجا الأدب ولو كنت كاملا لشهدت ذلك وانكسارك
يقينا بلا حجاب ، وشهدت كالاتك إيماننا مع الحجاب هذا حكم هذه الدار ، وفي الدار
الآخرة ينعكس هذا الحكم ، فيكون وجه سيادته مشهودا ووجه عبوديته إيماننا ،
وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب الجواهر والدور والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا دخلوا على سلطان أو وزير أن يسلموا عليه
باللفظ الوارد في السنة

فيقول أحدهم السلام على مولانا السلطان مثلاً ورحمة الله وبركاته ، واليه حذر من الخضوع
له بالصدر أو العنق كما عليه جملة المتصوفة من إيمانهم بحب الدنيا وتعظيم أهلها فيكاد
أحدهم برقع للوزير إذا رتب له جوالى أو رزقه ونحو ذلك ، وقد نقل الحافظ الجلال
السيوطى رحمه الله (١) في كتاب التحيات له أنه كان
يقول تحية العرب (٢) وهي أشرف التحيات ، وتحية الأكامرة
السجود قدام للملك ، وتقبيل الأرض ، وتحية الفرس طرح اليد على الأرض قدام الملك ،
وتحمة الحبشة هقد اليدين على الصدر بين يدي الملك بسكون ، وتحية الروم كشف غطاء
الرأس من بعد مع تنكيس الرأس ، وتحية النوبة إيماء الداخل بالدعا بالإصبع ، كأنه
يقبله ، مع جعل يديه جميعاً على رأسه ، ووجهه ، وتحية حمير إيماء الداخل بالدها بالإصبع .
وتحمة البجة وضع يد الداخل على كتف الملك فإن بالغ في الخدمة رفعها ووضعها مراراً
انتهى .

قال الجلال السيوطى رحمه الله . وقد تأملت في هذه التحيات فرأيت غالبها مجموعها
في الصلاة التي هي خدمة ملك الملوك سبحانه وتعالى ، فلم هذا ناسب أن يقال في آخر
جلوسها التحيات لله إشارة إلى أنه المستحق ، لجميع التحيات انتهى .

فاعلم يا أخى ذلك وسلم على الملوك ، فمن دونهم بسلام أهل الإسلام فإنه هو المشروع ،
وإياك ، وفعل الأعاجم ، وغيرهم مما ابتدع أو خالف السنة ، فإنه لا يليق بمن يدهى
طريق القوم أن يخالف السنة ، ولا يفتر بما يفعله مشايخ الروم والعجم مما يخالفه
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة الخوف من الله تعالى كلما دنى أجلهم

فإن ما قارب الشيء أعطى حكمه ، ومعلوم أن الدار الآخرة هي محل الخوف لأنها دار كشف السرورات هل رؤس الاشهاد فيها فضيحة من كانت له سريرة سيئة بينه ، وبين الله تعالى ، وظهرت في الآخرة بين يدي من كان يعتقد فيه الولاية والصلاح في دار الدنيا . وبلغنا أن من الناس من يسقط لحم وجهه هناك من الخجل من الله تعالى ومن الخلق . وسمعت الأخ العزيز سيدي شرف الدين شيخ جامع أمير الجيوش بمصر يقول : مما يدل على شدة كرب يوم القيامة ، وأنه أكثر من كرب الدنيا بدرجات أن الواحد منا في هذه الدار كلما تأخر الزمان إزداد كربا فلو كان يوم القيامة يوم راحة لكننا كلما دنى أجل الواحد منا إزداد راحة انتهى ، فأعجبني حذقه ، وإدراكه لهذا السر العظيم وهذا خلق قل من يتنبه له من الفقراء فضلاء من غيرهم بل المشهود منا أننا كلما دنى الأجل وقرب قل خوفنا وورعنا ، وزهدنا وتقوانا .

وسمعت سيدي علميا الخواص يقول : الخوف حقيقة إنما هو في هذه الدار ، حتى لمن كل عبد لاء شيء على الصراط يوم القيامة إلا بحسب مشيئه هنا على قواعد الشريعة ، ومن زاغ عن الشريعة هنا زاغ وزلق على الصراط هناك ، فزاقه هناك بعد زلقائه هنا فالعاقل من جاهد نفسه هناك ، حتى استقامت ولم يقل لـكل شيء وقت ورحمة الله واسعة ، وإن كان ذلك صدقا انتهى .

فاعلموا ذلك 'بها الأخوان واعملوا به^(١) والحمد لله رب العالمين .

(١) وما يساعد على دراسة نص الإمام للشمراني هذه الدراسة عن البحث تبدأ بالنالي :

الحياة : (الحياة تلاقى للروح بالبدن واتصاله به) تفسير فتح البيان ج ٤ ص ٦٧ .

أو هي : الصفة التي يكون الموصوف بها ذا علم وقدره ، تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٥٤ هذه هي الحياة في تعاريف العلماء ، والواقع أن الله سبحانه وتعالى خلقنا في هذه الحياة الدنيا لتعرف كمال قدرته ، وإحاطة علمه ، لتعبد وحده لا شريك له ، فإنه خلقنا (٢٣ — الأخلاق المتولية — ثان)

من بطون أمهاتنا ، لا نعلم شيئا ، ولا تقدر على شيء ، ولا نملك شيئا ، ولا تقدر على منع ضرر ، ولا دفع شر ، ثم مكنا الله سبحانه وتعالى من هذه الحياة الدنيا ، وسخر لنا ما في بحرها وبرها وجوها ، وجعل لنا السلطان على دواب الماء وعلما ما لم نكن نعلم ، ومع ذلك كفرنا بعم الله ، ولم نضع في اعتبارنا : أنه لم يخلقنا إلا لنعبد وحده لا شريك له ، بل اندفعنا وراء شمواتنا ، ووراء مصالحنا الدنيوية إن دفاط أنسانا كل ما يتعلق بحق الله سبحانه وتعالى ، وجعلنا الحياة الدنيا هي كل مطلبنا ، وهي لأمل الذي تهفو إليه النفوس في كل وقت وحين ، ونسينا الحياة الآخرة التي هي الحياة الحقيقية لو كنا نعلم .

روى الإمام أحمد في مسنده - من حديث بشر بن جحاش القرشي - أن رسول الله ﷺ ، بصق يوما في كفه ، فوضع عليها أسبعه ، ثم قال : قال الله تعالى : (يا ابن آدم أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، وبالأرض منك وئيد ، فجمعت ومنمت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وأنى أوان للصدقة) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ١٢٠ .

والواقع : إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، فبئس أصله ، وبكذب بالحسن ، ويجعل أنه راحل من هذه الدنيا إلى الحياة الأخرى ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (لولا ثلاث ما طأ ابن آدم رأسه ، للفقر والمرض ، وللموت ، وإنه مع ذلك لو تاب) أنظر تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٠٦ .

وفي شرح الصدور للسيوطي بسنده ، إلى ابن أبي شيبة في مصنفه ، والإمام أحمد في كتاب الزهد ، عن حبيب بن الشهيد ، عن الحسن قال : لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة :

إن الأرض لا تسعهم

قال : إني جاعل موتا

قالوا : إذا لا يملأهم للعيش

قال : إني جاعل أملا أخرج ، الإمام أحمد وابن أبي شيبة .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ :

قال : (يرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان : الحرص ، وطول الأمل) رواه البخاري

• • • • •

ومسلم في صحيحهما .

وعن الإمام علي كرم الله وجهه يرفعه : (إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل) في الصحيحين والنسائي وأحمد .

فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل يقرب الدنيا ويبعد الآخرة ، ولا يدري الإنسان أن الموت أقرب إليه من جبل الوريد ، ويوضح لنا ذلك الإمام الحسن البصري بقوله : (من أراد الدنيا على الآخرة عافيه الله بست عقوبات : ثلاث في الدنيا ، وثلاث في الآخرة :

أما التي في الدنيا ، فامل ليس له منتهى ، وحرص غالب ليس له حد ، وأخذ منه حلاوة العبادة .

وأما التي في الآخرة : فهو يوم القيامة ، والحساب الشديد والحسرة الطويلة) من كتاب المنهايات لمؤلفه أحمد محمد الحبحي .

وقد بين سيدنا رسول الله ﷺ ، أن طول الأمل في الدنيا مذموم ، ويؤدي إلى أن ينسى الإنسان آخرته ويفتر بدنياء : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور) روى أوله البخاري ، وآخره الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، وفي رواية : وعد نفسك من أهل القبور ، كما جاء في مجمع الزوائد .

الموت : يقول الله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) سورة الزمر آية : ٤٢ . وقد بين لنا العلماء حقيقة الموت أخذاً من النصوص الشرعية ، والبراهين العقلية ، فهو ليس بدم محض ، ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعاقب الروح بالبدن ظاهراً وباطناً ، ومفارقة وحيلولة بينهما ، وتبدل من حال إلى حال ، وانتقال من دار إلى دار ، بخلاف النوم ، فإنه انقطاع الروح عن ظاهر البدن من بعض الوجوه . (أنظر شرح الصدور وبحري الكتيب للإمام السيوطي ص ١٢٠) .

يقول الإمام ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس .. الآية . تلتقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات في المنام فيتساءلون ما شاء الله ، ثم يمسك الله قرواح الأموات ، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجل مسمى ، لا يخالط شيء منها ، فذلك قوله تعالى : (لن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أخرجه ابن مردويه ، وعبد ابن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني في الأوسط ، وأبو الشيخ في العظمة .

حقيقة الروح :

اختلف العلماء في حقيقة الروح ، فريق أمسك عن الكلام والبحث فيها واعتبرها سرا من أسرار الله سبحانه وتعالى ، استأثر الله بعلمه ، ولم يؤته أحدا من البشر ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) سورة الإسراء آية : ٨٥ :

وعن ابن مسعود رضى الله عنه وأرضاه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في قرب المدينة ، وهو منكئ على عسيب ، فر يقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، فقال بعضهم لا تسالوه ، فقالوا يا محمد ما الروح ؟

فزال منكئا على العسيب فعلمت أنه يوحى إليه . فقال : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أخرجه ابن أبي حاتم في الصحيحين . ومن هذه الطائفة أيضا الإمام الجليل رضى الله عنه يقول : الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ، فلا يجوز لعباده البحث عنه باكثر من أنه وجود . وقد ثبت هذا الرأي عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه كان لا يفسر الروح ، فمن عكرمة قال : سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الروح قل : الروح من أمر ربي لا تسالوا هذه المسألة ، فلا تزيدوا عليها ، قولوا كما قال الله تعالى وعلم نبيه : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أخرجه ابن أبي حاتم كما في شرح المصدر .

أما الطائفة الثانية التي عرفت الروح فيعبر عنها الإمام ابن القيم في كتابه الروح والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية ، لهذا الجسم المحسوس وهو - أى الروح - جسم نوراني علوى خفيف ، حى متحرك شفاف ، ينفذ في جوهر الاعضاء ، ويسرى فيها سريان الماء في العود الأخضر ، وسريان الماء في الورد ، والدهن في الزيتون ، والنار في الفحم ، فادامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف ، بقى هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة ، والإرادة وإذا فسدت هذه الاعضاء بسبب ينافى للروح كاستيلاء الأخطا للتلبيطة عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن ، وانفصل الى عالم الارواح .

والواقع أن الرأي الاول هو الرأي الصحيح في نظرنا وهو يشمل الجو الإسلامى العام

• • • • •

فأله سبحانه وتعالى اعتبرها من أمره ، ولم يبين ماهيتها ، ولم يخبر بهذا رسوله ﷺ ، فلا ندري حقيقتها ولا كنهها .

البعث : ادعى المشركون والملحدون على مر المصور أنه لا يوجو بعث بعد هذه الحياة الدنيا ، فكان قولهم دائما (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) سورة التناين آية : ٧ (أنذا كنا ترابا ائنا افي خلق جديد) سورة الرعد آية : ٥ (من يحيى العظام وهى رميم) سورة يس آية : ٧٨ .

(وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

وكان رد الله سبحانه وتعالى مبطلا لزعمهم وزيف ادعائهم : (قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (اليوم نحجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) سورة غافر آية : ١٧

فالبعث كائن لا محالة ، وهو النشأة الآخرة ، التى يرجع فيها الانسان الى الله سبحانه وتعالى ، فيحاسب على حياته التى أمضاها ، ففيه يكون سعادة الانسان أو شقاؤه خالدا في أحدهما ، وقد بين لنا القرآن الكريم كيفية البعث عند الموت ، وكيفيته عند قيام الساعة ، يقول الله سبحانه وتعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) سورة الروم آية : ٢٧

ويقول : (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) سورة المؤمنون آية : ١٦
ويقول : (فإذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون) سورة يس آية : ٥١ .
ويقول : (فسيقولون من يبعثنا ؟ قل : الذى فطركم أول مرة) سورة الاسراء آية : ٥١ .

ويقول تعالى : (أيعسب الانسان أن لن نجمع عظامه ، لى قادرين على أن ندوى بنانه) سورة القيامة آية : ٣ ، ٤ .
ويقول تعالى : (كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين) سورة الأنبياء آية : ١٠٤ .

.

وقد ذكرت لنا الأحاديث النبوية الشريفة كثيراً عما يتعلق بهذا الشأن نذكر منها :
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمظلم حائل ، ففتنه بيده فقال : يا محمد أيجي الله ماذا بعد ما أرى ؟
قال : نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ، ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم ، فنزلت الآيات من آخر سورة يس : (أولم ير الإنسان) الى آخر السورة) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والإسماعيلي في صحيحه والحافظ بن مردويه والضياء في المختارة والبيهقي في البعث كما في الروائع ٢ ص ١٥٨ .

وعنه رضى الله عنهما قال :
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال :
« يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده ،
وهذا علينا إنا كنا فاعلين » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما ،

وعن السيدة عائشة رضوان الله عليها قالت :
فقلت للرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم الى بعض ؟
قال : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك .

نفخة الصور الأولى :

وهي نفخة الفزع ، والتي بها تنتهى أحوال العالم :
« ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله »
ويوضح لنا الحديث الشريف التالى : ما يحدث من هول ذلك اليوم :
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو ووضعه
على فيه شاخصاً يبصره الى العرش ينتظر متى يؤمر .
قلت : يا رسول الله وما الصور ؟

قال : القرن :

قلت أى شيء هو ؟

.

قال : عظيم ان عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات :
الاولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق والثالثة : نفخة للقيام لرب العالمين .
فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى ، فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فينفخ فيفزع أهل
السماء والأرض إلا من شاء الله ، فيأمره فيمدها ويطيها ولا يفتقر وهي التي يقول
الله تعالى :

« وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق » سورة ص آية : ١٥ .
فيسير الله الجبال فتتمر من السحاب فتكون سرايا وترتج لأرض بأهلها رجا
فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج وكالغدير الملق بالعرض تؤرججها
الارواح ، وهي التي يقول الله عنها :

« يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة »

سورة النازعات آية : ٦ : ٧ .

فتميل الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان
وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتتأقها الملائكة فتضرب وجوهها
فترجع ويولى الناس مدبرين ، وينادى بعضهم مضا ، وهو الذى يقول الله تعالى :

« يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من ماض » سورة غافر آية ٣٢ : ٣٣ .
فيبينهم على ذلك إذ تصدعت لأرض ، فانصدعت من قطر إلى قطر ، فرأوا أسرار عظمها ،
ثم نظروا إلى السماء ، فإذا هي كالملح المذقوق فانتثرت نجومها واخلفت شمسا وقرها .
قال رسول الله ﷺ : والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك .

قلت يا رسول الله من استثنى الله تعالى في قوله « إلا من شاء الله » ؟

قال أولئك الشهداء - إنما يتصل للفزع إلى الأحياء ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون ،
وقام الله فزع ذلك اليوم ، وآمنهم منه ، وهو عذاب يبعثه الله على أمره خلفه ، يقول الله :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن
عذاب الله شديد » سورة الحج آية ١ - ٢ .

فيمكنون في ذلك ما شاء الله :

• • • • •

وفي حديث طويل وهو مخرج في تفسير ابن جرير والطبراني في المطولات وفي مسند أبي يعلى وفي البحث للبيهقي وفي المطولات لأبي موسى المدني وفي كتاب الطاعة والعصيان لعلي ابن مبريد وعبد ابن حميد وأبي الشيخ في المعظمة كلهم عن أبي هريرة ، ينظر في ذلك النهاية لابن كثير - ١ ص ١٧٢ واللوامع - ٢ ص ١٦١ .

النفخة الثانية :

وهي نفخة الصعق ، وهي المشار إليها في قوله تعالى :
(وتنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) .
سورة الزمر آية : ٦٨ .

وبوضحها بقية الحديث المتقدم ذكره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة للصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله
فيقول الله - وهو أعلم - فمن بقي ؟
فيقول أي رب بقيت أنت الحى القيوم ، الذى لا يموت ، وبقيت حملة العرش ، وبقي
جبريل وميكائيل ، وبقيت أنا فيقول الله تعالى :
فلبست جبريل وميكائيل فيموتان ، ثم يأتى تلك لاوت إلى الجبار فيقول : « رب قد
مات حملة العرش فيقول : وهو أعلم فمن بقي ؟ فيقول :
أنت الحى القيوم الذى لا يموت وبقيت أنا .

فيقول : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فت فيموت ، فإذا لم يبق إلا الله
الواحد القهار وطوى السماء والأرض كطوى السجل للكتب ، وقال :
أنا الجبار ، لمن الملك اليوم ، ثلاث مرات ، فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه : لله الواحد
القهار ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد لأديم لا ترى فيها
عوجا ولا أمنا ، أخرجه بنحوه مسلم بروايات أخرى ، وأخرجه بنحوه أيضا ابن ماجه
وأبو داود ، باب الرؤيه .

الحشر :

والحشر معناه الجمع أى جمع أجزاء الإنسان بمد النفرة وإحياء الأبدان بعد موتها
وحضورها للحساب .

• • • • •

يقول الله تعالى :

« يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا » سورة النبا آية ١٨ .
أى زمراً تسوقهم الملائكة .

ومما يشرح ذلك قول رسول الله ﷺ :

يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم
ينظرون فصل القضاء .

أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني من عدة طرق أحدهما صحيح والحاكم وقال : صحيح
الإسناد

وعن أبي هريرة رضى الله عنه :

يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجهم العرق
حتى يبلغ آذانهم » . ورد في الصحيحين

وعن المقداد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال :
فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه إلى عقبه .
ومنهم من يأخذه إلى حقويه .
ومنهم من يلجمه إجمالاً .

مسلم ومثله عن أبي بكر بن أبي الدنيا من رواية للمقداد بن الأسود كما في النهاية لابن
كثير ١٠ ص ٢٢٣ .

ومن أوصاف بعض من يحشر يوم القيامة التي ذكرها سيدنا رسول الله ﷺ .
وصف المنكبرين .

عن جابر رضى الله عنه مرفوعاً :

يبحث الله يوم القيامة ناساً في صور القدر يطوهم الناس بأقدامهم فيقال : ما هؤلاء في
صور القدر ؟

فيقال : هؤلاء المنكبرون في الدنيا . رواه البزار .

.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً :
يجاء بالجبارين والمنكبرين يوم القيامة رجال في صورة القدر ، يطأهم الناس من
هوانهم على الله ، حتى يقضى بين الناس ، قال :
ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار ، قيل يارسول الله وما نار الأنيار ؟
قال : عصارة أهل النار .
الإمام أحمد في كتاب الزهد كما في نهاية ابن كثير - ١ ص ٢٢٧ .

النفخة الثالثة :

وهي نفخة البعث والنشور ويقول عنها الله سبحانه وتعالى :
« ونفخ في الصور فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون » . سورة يس آية : ٥١ .
ويقول الله تعالى :
« ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » الزمر آية ٦٨ .
« يوم يناد المئاد » سورة ق آية ٤١ .
« يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج » سورة ق آية ٤٢ .
ولأبي هريرة حديث في ذلك :
إن الله ينزل مطراً على الأرض ، فينزل عليها أربعين يوماً - في يكون فوقهم اثني عشر
ذراعاً فيأمر الله تعالى الأجساد أن تنبت كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت .
قال الله تعالى :

« وابعث حملة العرش ، ابعث جبريل ، وميكائيل ، وإسرائيل ، وعزرائيل ، ثم
يأمر الله تعالى إسرائيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ، ثم يدعو لأرواح فيؤتى بها تنويع
أرواح المؤمنين نوراً والأخرى ظلمة فيقبضها جميعاً ، ثم يلقبها في الصور ، ثم يأمره أن
ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ثم
يقول الله تعالى :

« وعزني وجلالي لترجمن كل روح إلى جسدها » .
فتدخل الأرواح من الحياشيم ، ثم تمشي مشى السم في الدبع ، ثم تنشق الأرض عنهم
سراعاً فاما أول من تنشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تفسلون ، أي تخرجون
من الأجداث أحياء ، فيقول الكافرون والمناقون حينئذ :

« يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » سورة يس آية ٥٢ .
ويقول المؤمنون :

« هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .
للحديث شواهد مخرجه في الصحيحين وغيرهما ، كما تؤيده الآيات القرآنية الكثيرة .
الحساب :

الحساب هو تعريف الله عز وجل الخلائق ، مقادير الجزاء على أعمالهم ، ونذكيرهم
بإيام ما قد نسوه من ذلك . قاله الثعلبي كما في اللوامع - ٢ س ١٧١ .

وقد ثبت في القرآن الكريم بقول الله تعالى :
« فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » . سورة الحجر آية : ٩٢ ، ٩٣ .
وقوله تعالى :
« أولئك لهم سوء الحساب » ، سورة الرعد آية ١٨ .
وقوله تعالى :

« ووجدوا ما عملوا حاضراً » ، سورة الكهف آية ٤٩ .
وقوله تعالى :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الزلزلة آية ٥ ، ٦ ،
وأصح الأقوال أن الله تعالى يحاسب عباده في شأن أعمالهم وثوابها وعقابها .
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال :
عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه وما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه
وعن حسبه فيما أبلاه » . رواه الإمام أحمد وابن أبي الدنيا .

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول :
يحسّر الله العباد يوم القيامة ، أو قال الناس : عراة غرلا بهما ، قال قلنا وما بهما ؟
قال : ليس منهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا
الملك أنا اللبّان لا ينبغي لأحد من أهلك النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة
حق حتى أقضيه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل
النار عذبة حتى أقضيه منه حتى اللطمة .

.

قال : وكيف وإنما تأتي عرارة غرلا بهما ؟

قال : الحسنات والسيئات . رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو بكر .

وروى الحسن قال : سمعت أبا موسى الأشعري رضي الله عنه يقول :

قال رسول الله ﷺ :

يمرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فمرضتان جدال ومعاذير ، وعرضة تطاير
للصحف : « فن أوتي كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة ، ومن أوتي كتابه
بشماله دخل النار .

الإمام أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا واسكنه ضعيف أنظر هامش العقيدة الطحاوية

الميزان :

وإذا نقص الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء ، فإذا كان بعد المحاسبة
إذ المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون للجزاء بحسبها .
العقيدة الطحاوية .

ويقول الله تعالى في ذلك :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل
أتينا بها وكفى بنا حاسبين » سورة الأنبياء ، آية ٤٧ .

(والوزن يومئذ الحق) . سورة الأعراف ، آية : ٨

ويوضح ذلك ما روى عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما من حديث جبريل
عليه السلام عن الإيمان قال :

أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله وتؤمن بالجنة والنار والميزان ، وتؤمن
بالحيث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر ، خيره وشره .

قال : إذا فعلت ذلك فأنا مؤمن .

قال : نعم .

قال : صدقت .

رواه البيهقي في الشعب .

وعن أبي مالك الأشعمري رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« العاشر شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان » في صحيح مسلم .

وفي خاتمة صحيح البخارى رضى الله عنه قوله : صلى الله عليه وسلم :

« كلتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان : سبحان الله
ومحمده سبحان الله العظيم .

وعن أنس رضى الله عنه قال :

سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع في يوم القيامة ، فقال : أنا فاعل .

قلت : يا رسول الله فأين أطلبك ؟

قال : أطلبني أول ما تطلبني على الصراط .

قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟

قال . فاطلبني عند الميزان .

قلت . فإن لم ألقك ؟

قال . فاطلبني عند الخوض قال : فإنى لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن .

أخرجه الترمذى وحسنه والبيهقى .

وصح « أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتضى

لبعضهم من بعض ، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .

أخرجه البخارى ومسلم في صحيحهما .

حقيقة الجنة :

والجنة التى وعد المتقون هى دار الثواب أعدها الله لهم وهى فى الأصل مأخوذة من

الجن بمعنى للستر وتطلق على البستان الذى سترت أشجاره أرضه وعلى الأرض التى بها

.

شجر ونخل كما تطلق على نفس الشجر ثم صارت علما على دار الثواب التي فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مما تشبهه الأنفس وتلد الأعين .

وجمعت الجنة جمع قلة لقلتها عدداً مع اشتغال كل واحدة منها على درجات متفاوتة بحسب تفاوت درجات الأعمال .

وقد ورد أنها سبع جنات هي الفردوس والمأوى والخلد والنعيم ودار السلام ودار الإجلال وهذا رأى ابن عباس .

وذهب آخرون إلى أنها أربع فقط بدليل قوله تعالى في سورة الرحمن (ولمن خاف مقام ربه جنتان) هما النعيم والمأوى .

ثم قال تعالى : (ومن دونهما جنتان) عدن والفردوس وقيل الجنة واحدة والأسماء المتقدمة صادقة عليها والحق الذي يجب الإيمان به أن الجنة هي دار الثواب التي وعدها الله عباده الصالحين .

أما أنها واحدة أو أكثر فهذا بحث لا يترتب عليه كبير فائدة ولم يرد في ذلك نص صريح أو مستند صحيح .

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة بقوله :

(تجري من تحتها الأنهار) .

ويتحدث عن النعيم الذي يلاقه أهلها بقوله :

« على سرر موضونة » .

« متكئين عليها متقابلين » .

« يطوف عليهم ولدان مخلدون » .

« بأكواب وأباريق وكأس من معين » .

« لا يصدعون عنها ولا ينزفون » .

« وفاكهة مما يتخيرون » .

« ولحم طير مما يشترون » .

« وورعين كأمثال الأوثان المكنون » .

« جزاء بما كانوا يعملون »

« لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيلاً إلا قيلاً سلاماً سلاماً » .

ويتحدث عنهم أيضاً بقوله :

« في سدر مخضود »

« وطلح ممدود »

« وماء مسكوب »

« وفاكهة كثيرة »

« لامقطوعة ولا متنوعة »

« وفرش مرفوعة »

« إنا أنشأناهم إنشأ »

« فجعلناهم أبقاراً »

« عرباً أتراباً »

« لأصحاب اليمين »

حقيقة جهنم :

وافد أخبر سبحانه أنه أعد المنافقين والمشركين جهنم لتكون لهم دار عذاب مقيم خالدين فيها وساء هذا للعقاب جزاء لهم لسوء صنيعهم وساءت جهنم لهم مصيراً .

وجهنم اسم من أسماء النار الأخروية وتسمى أيضاً سميراً وتسمى لظى وتسمى سقر، وتسمى الهاوية وتسمى الجحيم ، وتسمى الحطمة .

وقيل أن هذه أسماء لطبقات متفاوتة في النار لكل طبقة طائفة خاصة ، وليس لهذا القول مستند في اختصاص كل اسم بطبقة معينة ، ولا في اختصاص كل طبقة بطائفة وكونها درجات متفاوتة في أنواع المذاب لا يستلزم أن هذه أسماء لطبقات مختلفة .

فالواجب اعتقاده أن لله تعالى دار عقاب أعداء المنافقين والمشركين ليخطبوا فيها وسيعذب بها من شاء من عصاة المؤمنين قبل أن يدخلهم الجنة .

وقد صرح القرآن الكريم أن للنار سبعة أبواب لكل باب طائفة خاصة من العصاة (وأن جهنم لهم مدخل أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم .

• • • • •

وقد عين قوم لكل باب فريقا من العصاة يدخلون منه، ولا سبيل إلى القطع فأمثل ذلك.
وجود الجنة والنار :

وقد ذهب لأجمعهم ور إلى أن الجنة والنار موجودتان الآن لأن هذا هو المتبادر من
قوله تعالى في صفة النار :
« وأعد لهم جهنم رساء مصيرا »

« واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .
وقوله تعالى في صفة الجنة :

« وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .
« سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين
آمنوا بالله ورسوله » .

حيث عبر في جميعها بالماضي وهو « أعدت » وقوله تعالى :
« النار يمرضون عليها غدوا وعشيا » ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد المذاب » .
وقوله تعالى عن الرسول ﷺ :
« ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » .

ولامتنقى للعدول عن هذا الظاهر ويرى بعض المتزلة أن الجنة والنار سيوجدان
يوم الجزاء ولا وجود لهما الآن وقد افترقت مسالك هذا الفريق في الاستدلال فهم سلك
مسلكا عقليا محتجا بأن الجنة والنار دارا جزاء والجزاء إنما يكون في الدار الآخرة بعد
البعث فالحكمة تقتضى إيجادهما يومئذ ، أما إيجادهما الآن فهو خال عن الحكمة فيكون
عبثا والله تعالى منزّه عن العبث في أفعاله والجواب أن الحكمة في إيجادهما الآن لا تنحصر
في الجزاء فيجوز أن يكون لإيجادهما الآن حكمة لانعلمها كما هو الشأن في كثير من أفعاله
تعالى يعجز العقل عن إدراك حكمته وعدم الإطلاع على الحكمة لا يقتضى عدمها فيجب
للتسليم بما ورد في الآثار ومن هذا الفريق من سلك طريق النقل محتجا بقوله تعالى :
« كل شيء هالك إلا وجهه » .

فلو كانت الجنة والنار موجودتين الآن للحقهما الهلاك وقد ضمن لها عز وجل البقاء
والخلود وقال في وصف الجنة :

• • • • •

« أكلها دائم وظلها » وهذا الدوام ينافي طرء العدم عليها فوجب ألا توجد الجنة والنار إلا بعد البعث حتى لا يمتريها الفناء ويحجب بأن المراد بالهلاك في قوله تعالى :
« كل شيء هالك إلا وجهه » .

الهلاك الحسكى معنى أن الممكن لما كان وجوده ضعيفا بالنسبة إلى واجب الوجود جل شأنه لاستفادة وجود الممكن من غيره كان في حكم الممالك الممدوم وهذا أولى من الأجوبة الأخرى مثل : المراد بالهلاك ، الهلاك الصورى الذى هو تفرق الأجزاء لحظة وهو لا ينافي دوام الذات ومثل قولهم :

المراد بدوام أكل الجنة الدوام البدىلى لاستحالة دوام مأكول بعينه .
ولا أدرى كيف نمسك هذا الفريق من الممتزة بهذه الآية مع إمكان تأويلها ونمسيها مع الآيات الأخرى والأحاديث الكثيرة .

ولو تأمل المنكرون وجود الجنة والنار قليلا وأنصفوا في حكمهم وقرأوا السنة بامعان لوجدوا فى كثير من الأحاديث للصحيحة النصريح بوجودها الآن ، ولا عترفوا بأنه ليس هناك ما ينافية عقلا ، أو لم يسمعوا قوله ﷺ فى حديث الإسراء الذى أخرجه البخارى وغيره :
« ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال الأولؤ وإذا تراها المسك » .

ومن أخلاقهم : اتخذوا المؤذن في سفرهم كما فاتتهم ولو كان هبدا حبشيا
بل هو مستحب فإن بلال مؤذن رسول الله ﷺ كان حبشيا ، وبلغنا أنه كان يقول

وما يروى في جهاد سيدنا بلال بن رباح رضى الله عنه في سبيل الدعوة الآتى :
أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أول من أظهر
الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ،
ونلقداد - رضى الله عنهم .

فأما رسول الله ﷺ فدعه الله بعمه ، وأما أبو بكر ممنعه الله بقومه ، وأما سائرهم
فاخذهم للشركون فالبسوم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس ، فقام منهم من أحد إلا
وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه ، فاخذوه
فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد - أخرجه
الحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي صحيح وأخرجه أبو نعيم في
الحلية وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث ابن مسعود بمثله .

وأخرج الزبير بن بكار عن هروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : كان بلال الجارية
من بني جرح وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك ، فيقول :
أحد أحد ، فيمر به ورقة - وهو على تلك الحال - فيقول : أحد أحد يا بلال ! والله !
لئن قتلتموه لا لنخذنه حنانا .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن هشام ابن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل
يمر ببلال وهو يعذب ، وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد أحد ، الله يا بلال ! ثم
يقبل ورقة بن نوفل على أمية بن خلف وهو يصنع ذلك ببلال فيقول : أحلف بالله عز
وجل ! لئن قتلتموه على هذا لنخذنه حنانا ، حتى مر به أبو بكر الصديق يوماً وهم
يصنعون ذلك فقال لأمية : ألا تتق الله في هذا للسكين ؟ حتى مقى قال : أنت أفستة فاتخذ
بما ترى . فقال أبو بكر : أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيك به .
قال : قد قبلت ، قال : هو لك . فاعطاه أبو بكر غلامه ذلك ، وأخذ بلالا فأعتقه : ثم
أعتق معه على الإسلام - قبل أن يهاجر من مكة - ست رقاب ، بلال سابعهم .

وذكر أبو نعيم في الحلية عن ابن إسحاق : كان أمية يخرج إذا حيت للظهيرة فيطرحه
على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأسر بالصخرة العظيمة فنوضع على صدره ، ثم يقول له :

أشهد أن لا إله إلا الله بالسبب المهمة قال له رسول الله ﷺ : (سينك عند الله شين^(١)).

لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتمبد اللات والعزى . وهو يقول - في ذلك اللبلاء - أحد ، أحد . قال عمار بن ياسر - وهو يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من اللبلاء وإعتاق أبي بكر إياه ، وكان اسم أبي بكر عتيقا رضى الله عنه : -

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه عتيقا وأخزى فاكها وأباجهل
عشية هما في بلال بسوء ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله شهدت بأن الله ربي على مهل
فإن يقتلونى يقتلونى فلم الحمد لأشرك بلرحمن من خيفة القتل
فيارب إبراهيم والعبد يونس وموسى وعيسى نجى ثم لا تبطل
من ظل يهوى للنهى من آل غالب على غير بركان منه ولا عدل

(١) وقد ورد ذكر لقمان في القرآن الكريم يقول الله تعالى : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فلإنما يشكر لنفسه ومن كفر فلإن الله غنى حميد . وإذا قال لقمان لإبنيه وهو يحظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . . .) إلى آخر الآيات التي وردت عنه في سورة لقمان .

أما قول الله تعالى : ولقد آتينا لقمان الحكمة (ففيها قولان : أحدهما : للفهم والعقل ، قاله الجمهور والثاني : النبوة . وقد اختلف في نبوته على قولين : أحدهما : أنه كان حكيما ولم يكن نبيا ، قاله سعيد بن المسيب ومجاهد وقتادة .
والثاني :

والثاني : أنه كان نبيا ، قاله الشعبي ، وعكرمة ، والسدي ، هكذا - كما عنهم الواحدى ،
والقول الأول أصح .

وفي صناعته ثلاثة أقوال :

أحدها : عن سعيد بن المسيب أنه كان خياطاً .

والثاني : عن ابن زيد أنه كان راعياً .

والثالث : عن خالد الربيعي أنه كان نجاراً :

وأما صفته : فقد قال بن عباس أنه كان عبداً حبشياً . وقال سعيد بن المسيب : كان

وفي حديث للطبراني مرفوعاً (اتخذوا السودان فإن فيهم ثلاثة من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي^(١) وبلال المؤذن) انتهى .

قال الطبراني : المراد بالسودان الحبش .

وفي حديث أبي هريرة من رواية الترمذي ، ورفعه بعضهم (الملك في قریش ، والقضاء في الأنصار ، والأذان في الحبشة) انتهى .

واستدل به الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في المذهب على استحباب كون المؤذن حبشياً ، وأقره النووي في شرحه .

وفي رواية لعبد الله بن الإمام أحمد رضي الله عنه مرفوعاً (الخلافة في قریش ، والحكم في الأنصار ، والدهوة في الحبشة) والدهوة هي الأذان .

لقمان أسود من سودان مصر . وقال مجاهد : كان غليظ الشفتين مشقق القدمين ، وكان قاضياً على بني إسرائيل .

(١) ويمكن تلخيص قصة النجاشي مع الرسول ﷺ من الرسالة التي بعث بها إليه رسول الله ﷺ وإجابة النجاشي عليها نقول :

أخرج البيهقي عن ابن إسحاق قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي في شأن جعفر ابن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم وكتب معه كتاباً :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحح ملك الحبشة ! سلام عليك ! فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة .

فحملت عيسى فخلقته من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخته ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي وباللهي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرأ ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فاقرهم ودع النجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وبلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي . والسلام على من اتبع الهدى » :

فإن قيل كيف نقصتم هذا الحديث ، فقلتم بوجوب كون الإمام قرشياً ، وباستحباب كونه مؤذناً ، فملا قلتم بوجوب كل منهما أو ندبه فالجواب من عشرة أوجه أحسنها :
أن النبي ﷺ أقام في الأذان غير الحبشة ، فدل على أن الحديث في النذب ، وأما الخليفة ، فإنه قائم ، مقام رسول الله ﷺ في تدبير أمور المسلمين ، فوجب أن يكون من أقاربه ، وما روى من قوله ﷺ لأبي ذر أسمع وأطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه (١) المراد منه أن الإمام يكون عبداً حبشياً ، وإما المراد منه مبعوثه

من عبيده قال الرافعي هو من باب المبالغة .

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن علي في قول الله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) (٢) قال : فما لم يقصص الله علي نبيه ﷺ أن الله تعالى بعث عبداً حبشياً نبياً أبداً ، وفي رواية أخرى لابن أبي حاتم (بعث الله تعالى نبياً من الحبش ، فهو ممن لم يقصصه علي نبينا ﷺ) قال أبو حنيفة : وجد الحبشة أممه أرفده بفتح الهمزة ، وسكون الراء ، وفتح الفاء وكسر ها أشهر ، ولما لعب الحبشة بين يدي رسول الله ﷺ في المسجد ، فزجرهم صرقال رسول الله ﷺ : (دهم أماناً بين أرفده منا) يعني من الأمان أي العبوا عليكم الأمان منا .

فأهل ذلك يا أخي واتبع سننه نبيك ﷺ في سائر الأحوال تفلح والحمد لله رب العالمين .

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم . إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصم ابن أبجن أ سلام عليك يا نبي الله من الله ! ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام . فقد بلغني كتابك يا رسول فيما ذكرت من أمر عيسى ، فو رب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فاشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً وقد بايعناك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثت إليك يا نبي الله يا نوحاً بن الأصم بن أبجر ، فإني لأملك إلا نفسي وإن شئت آتيتك فقلت يا رسول الله ، فإني أشهد أن ما تقول حق .

(١) مطموس من الأصل .

(٢) سورة غافر آية : ٢٨

ومن أخلاقهم : إرشادهم إخوانهم من الولاية إلى العمل بشروط الولاية

لينصلح حالهم فيما إذا كان أحدهم معوجاً أو يدوم فيها إذا كان مستقيماً ، وهي شروط هزينة قل أن يعمل بها أحد من فقراء الزمان فضلاً عن غوهم ، ومن عمل بها صارت ميزان ولايته معتدلة كالميزان التي تكون بيد البهلوان إذا مشى على الحبل .

وقد تلقيت هذه الشروط من سيدي علي الخواص من سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه من سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ من طريق كشفه ، روحانيته ، وقد علمها سيدي إبراهيم السلطان قايتباي فدامت ولايته تسعاً وعشرين سنة ، وكذلك علمتها أنا لبعض الولاة من الوزراء ، والأمراء ، فدامت ولايته ، حتى مات ، فإن أدهى أحد أنه عمل بها ، وهزل من ولايته ، فهو غير صادق لأن من عمل بها صار هداماً مرضياً ، والعمل لا يعزل ، وإنما يعزل بالموت مثل ما وقع لأبي بكر وعمر وهمان وعلي .

وقد قال بعض المحققين : إنه لا يلزم من السبق لولاية أحد من الأئمة أن يكون أفضل ممن تأخر قطعاً ، لأن رسول الله ﷺ أفضل من سائر المرسلين ، وقد تأخرت رسالته ، حتى كان خاتم النبيين ، ولكن لما سبق في علم الله تعالى أنه لا بد لسلك من الخلفاء الأربعة أن يلي الخلافة بعد رسول الله ﷺ كانت ولايتهم على حسب أعمارهم ، فإن كل واحد منهم عدل مرضى بالإجماع ، وإذا تولى لا يصح عزله ، فلو قدمت ولاية عمر مثلاً على أبي بكر لكان لا يعزل إلا بالموت وكان أبو بكر يخرج من الدنيا من غير ولاية وكذلك القول في همان وعلي فإن كلا منهما لم يزم أن يخرج الآخر من الدنيا من غير ولاية ، ويتبدل ما سبق به العلم الإلهي وذلك محال ، ولم يأت نص صريح لنا بالترتيب في الفضل .

قال : وإنما أخذ العلماء ذلك من ظواهر الأدلة وقرائن الأحوال ، فالقلاء الأئمة يلزمه اعتقاد تفضيلهم على الترتيب ، وغير المقلد يفوض الأمر إلى الله تعالى العالم بمراتبهم ، فكل له عنده فضل وحرمة انتهى .

قلت : وهذا القول وإن مال إلى الألب في نفس الأمر لكن اعتقاد ما عليه الأئمة في ترتيبهم في الفضل أولى لئلا يتمسك بذلك الروافض بغير علم والله سبحانه أعلم .

إذا علمت ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق شروط دوام الولاية :

أن يحرر صاحبها نيته ، ويقوم فيها بنية نفع العباد لا بانية نفع نفسه ، وهو بالثواب الأخرى أو الدنيوى ، فيقف في ولايته بنية نفع العباد أولاً ، ويجعل نفع نفسه بحكم التبعية لا بالقصد الأول فإن كل من قام في نفع العباد كان الوجود كله يده بالقدرة والنصر والدوام .

ومنها أن لا يخون من ولاءه ، وهو الله تعالى بحكم الأصاله ، ثم السلطان أو الوزير مثلاً ، فلا يعصى ربه لاسراً ولا جهراً ، ولا يعصى إمامه كذلك سراً ، ولا جهراً ، فإن من عصى إمامه انقطعت وصلته به ، وانقطع استمداده من الله تعالى لانه سند متصل إلى حضرة الله تعالى ، فإدام لم يخن فخل استمداده متصلاً يده بالتأييد .

وسمعت سيدى هلياً الخواص رحمه الله يقول : متى خان الأمير من ولاءه بأخذ مال من رعيته مثلاً بغير حق بحيث لو هرضه على السلطان لتكدر منه ، ولم يسمح له به وهزله ، فقد استحق العزل ، وصار كالعمود الذى تزلزلات قاعدته ، وصار يرتج ، فلا بد أن يقع ، ولو على طول .

ومنها أن لا ينفذ غضبه في هدوه إذا قدر عليه بل يمهله عنه ، ويصفح ، فإن كل من نفذ غضبه في هدوه ذهب حياية الحق تعالى له واستحق أن يسلط عليه من هو أقوى منه فيعزله ويشومه شوم الهوان .

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله يقول : حكم من نفذ غضبه في هدوه حكم من أخذ فأساء ، وصار يهد بها جدار نفسه ، حتى يرميه إلى الأرض وأصلح حكم من صار يلطخ جدار نفسه كل قليل بالجبس ، حتى يصير متين بليان نفسه ومنها أن يحسن إلى حاشيته وحاشية من كان قبله في بلده فإنه إذا أحسن إليهم صاروا من جنده

ولا يباطنوا عليه فإن غالب الخلق الآن هبيد من أحسن إليهم فإذا لم يكرم حاشية من كان قبله عملوا له المكائد ، والحيل هند من ولاء ، وكشفوا له أموراً في الولاية نضر المنولي حين أيسوا من إحسانه إليهم كما جرب فإذا أحسن إليهم ، ولو بلمعة كانوا كالهائم لجداره إمال وإذا أسي عليهم كانوا لجداره كالغاس التي يعرقبون بها جداره .

ومنها أن لا يغفل عن كف الظالم من رهيته عن المظلوم ، فلا يدع أحداً يسمي عنده إلى أخذه وظيفة أخيه ، ولا يقبل على ذلك رشوة ، وهذا الشرط من أعظم الشروط ، فإن به دره الفساد من العالم ، وذلك هو المقصود الأعظم بالولايات ، ومتى ترك الأمير الناس يسمي بعضهم على وظائف بعض ، فقد تسبب في وقوع الفساد في العالم ، واستحق من الله تعالى المقت ، والعزل ، وخراب الديار ، كما هو مشاهد فيمن أدركناهم من المفتشين ، والقضاة .

ومنها أن يكون تائباً إلى الله تعالى من سائر الذنوب ، فلا يقع في شرب خمر ، ولا لواط ، ولا زنا ، ولا غير ذلك من الفواحش ، ومتى وقع في شيء من ذلك فهو همد لله تعالى وهدو الله تعالى لا يكون إماماً على المسلمين ، ولا حاكماً بينهم ، وقد بلغني عن شخص أنه يأتي الفواحش في الموضع الذي يحكم فيه ، فمشت إليه ، وهرضت ببعض ما هو مرتكب به ، فلم يسمع ، فحصل له جنون ، وطلع عليه الحب الفرنجي ، حتى أرمى ذكره ، وأنفه ، وهزل ، وصار عبيراً للناس ، فأنزلوه البيمارستان ، فكان يقول : إحملوني إلى فلان ، فكان يسألني الخلاص مما هو فيه ، فأقول له سهم الله نفذ في العبد فما بقي فيه رجوع ، ثم مات على سوء حال ، وكذلك وقع لي مع بعض الدكاترة ، فالعاقلة من اعتبر بغيره والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن لا ينكدروا من الولاية إذا أخذوا أحدا من زاديتهم
من لهم عليه تبعة واحتى بهم

لأن الفقراء ، ولو ارتفعت درجة أحدهم ، فهو معدود من جملة الرعية لولاية الأمور ،
وهليه السمع والطاعة لهم سواء ولاية السياسة ، أو ولاية الشريعة ، وليس للفقير أن
ينكدر من مثل ذلك ولا يظن أن في هذا بهدلة للفقراء وخرقا لنا موسى الخرقه ، فإن
ناموس (١) الدار أعظم من ناموس الفقير فيها ولا يمكن إن كان
ولا بد له من التمكن فليتمخذ طريقة الطاعة لله تعالى ظاهرا وباطنا بحيث لا يبقى له
حال في باطنه فضلا عن ظاهره إلا وبوجهه لحاية ذلك الفقير وربه يحميه إن شاء
إما بواسطة الحال المؤثر في الولاية من هزل ومرض وحبس بول ، ونفخ ونحو ذلك
وإما بكفهم عنه وعن جاهته ، فلا شيء من ذلك فإن من أطاع الله تعالى أطاع له
الخلق من الإانس والجن والوحوش ، ومن يطلب الحاية من الله تعالى ، وهليه ذنب من
الذنوب ، فقد رام المحال .

وقد خطف تمساح صيبا في بلاد سيدي ابراهيم الدسوقي ، فجاءته أمه وقالت :
يا سيدي ابراهيم أخذ التمساح ولدي ، فأرسل معها النقيب ينادي هلى شاطئ البحر
بأهلى صوته معاشر التماسيح حسب ما رسم سيدي ابراهيم أن كل تمساح ابتاع صيبا ،
فليطلع به ، فطلع تمساح عظيم ومشى مع النقيب إلى باب مقام سيدي ابراهيم ، فأمره
الشيخ بأن يلفظه من بطنه ، فأخرجه حيا سليما .

ثم قال للتمساح : مت بإذن الله تعالى ، فمات ودفنوه تحت هتبة مقام سيدي ابراهيم .
وكذلك حكى لى خادم الفرغلى بن أحمد أن التمساح أخذ أخته ، فأتى إلى الفرغل ،
وأخبره بذلك ، فقال فانه فى الموردة معاشر التماسيح كل تمساح أخذ أخت نقيب الفرغل ،
فاليأت بها فطلع تمساح أبيض كبير فهاجت الناس والأطفال منه ، ومشى ، حتى وقف

على باب زاوية الفرغل ولفظ الصبية سالمة ، فأمر الشيخ بقلم أنيابه ، فقطعها الحداد كلها ، وهو صابر له ، ودموعه تفرفر من عينيه ، ثم قال له : امض إلى البحر ولا تؤذ أحدا ، ففعل .

فانظر يا أخى كيف أطاع الحق تعالى لأوليائه وحوش البحر لما أطاعوه وطهروا سرائرهم وأعلم يا أخى أن الله عبادا اعطاهم التصريف فى الولاء وغيرهم ، وتركوا للتصريف فيهم لما جيلهم الله تعالى عليه من الرحمة ، وبعضهم تصرف فى الظلمة بالاذن ، فلا يلزم من مسك الولاية أحدا من زاوية الشيخ نقص مقام ذلك الشيخ بل الواجب عليه تقديم ناموس السلطنة على ناموس نفسه .

وقد كان سيدى محمد بن عنان من أكابر الأولياء ، ورأيت السلطان الغورى أرسله إلى الحبس زاوية وأخذ منها بعض فقراء الشيخ .

ومن كان يتصرف فى الولاية بالحال سيدى ابراهيم الجعبرى^(١) وسيدى ابراهيم المتبولى ، وسيدى محمد الحنفى ، فقتل كل واحد بالحال بإذن الله ما لا يحصى من الظلمة ، فكأوا آله لموت الظلمة عند انتهاء آجالهم لأنهم قتلوه قبل انتهاء آجالهم بنير إرادة الله تعالى ، فافهم .

ومن كان يحبس بول الظالم ، حتى يقامى الشدة العظيمة ، ثم يفرج عنه سيدى محمد

(١) يقول عنه الإمام الشمرانى : ومنهم الشيخ ابراهيم الجعبرى رضى الله عنه بن مفضل بن شداد الزاهد العابد ذوالأحوال الغريبة والمكاشفات المعجبية وكان مجلس وعظه يطرب السامعين ويستجلب المعاصين أخبر بوفاته قبل وفاته ونظر إلى موضع قبره وقال يا قبير جارك دبر وكان يضحك أهل مجلسه إذا شاء فى حال بكائهم ويبكيهم إذا شاد فى وسط ضحكهم وكان يعظ وهو يمشى بين أهل مجلسه يسدى ويشير وكان رضى الله عنه ناراً موقدة على الظلمة والولاية أماراً بالمعروف وله نظم وسجع كثير وتصوف مات سنة سبع وثمانين وستة ودفن بزاوية خارج باب النصر .

الحنفي ، وحبس بول السلطان شعبان ابن السلطان حسن كذا كذا مرة ، ثم يرسل له رغبيا بزيت ويأمره بأكله ، فيفرج عنه .

وكان سيدي ابراهيم الجعبري يفعل بالأمراء والملوك كذلك واسكن يرسل لأحدهم لبريقا يستنجي منه ، فينطاق بوله .

فالولاية عند كل الفقراء ، كالأطفال في يد مربيهم يؤدبونهم كما يرونه يرددهم هن أذى الناس .

ولما عمر سيدي أحمد الزاهد جاءه بخط المقسم أخذ الجالي حمير التراب الذي عند سيدي أحمد ينقل له التراب الذي بمدرسته التي برأس الركن الخفاق أرسل له سيدي أحمد ، فقال كلاهما مسجد الله تعالى ، ولم يرسل له حمير التراب ، فتوجه سيدي أحمد إلى الله تعالى ، فنقم السلطان علي الجالي في ذلك اليوم ، وحبسه ، وبطلت العمارة مدة تسعة أشهر ، حتى فرغ سيدي أحمد من نقل التراب ، وقال : قد استحق جمال الدين الاطلاق ، فأطلقه السلطان ذلك اليوم .

فإن كان لك يا أخي حال فاحم نفسك ، وإخوانك ، وإلا فاسكت فإن اللسان والنوسل بأمير آخر في الحماية لا يكفي عند الفقراء إنما ذلك من شأن العوام .

وقد كان سيدي ابراهيم المتجولي رحمه الله يقول الفقرا لا يعمل إلا بقلبه وأما يده ، ولسانه فأمرهما سهل .

وقد ذكرنا في كتاب العمود المحمدية هدد من سلمهم الفرغل من العلماء ، ومن هزلهم من الأمراء ، فراجعوا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا ولي السلطان على بلادهم ناسا من أمير أو قاض
أن يتوجهوا إلى الله تعالى في هضم نفسه ولين كلمته
لرعيه رحمة به وبالرعية

وصحمت سيدى هليا الخواص رحمه الله يقول : لا بد لسكل أمير أو قاض ولى من
بلاد الروم على مصر أن يخرج إليه أصحاب التصريف بمصر إلى ناحية العريش في طريق
الشام لأنه أول درك فقراء مصر ، فإن جاء من البحر تلقوه من اسكندرية ، فيضموا
نفسه ، ويميلوا قلبه إلى الرحمة بالخلق والرعية قياسا على ما ذكره أهل الكشف من
أن الأمر الإلهى إذا نزل بالهلاك يمكث نازلا ثلاث سنين فلا يصل إلى أهل الأرض إلا
بعد انسحاق صوائته في السموات وما بينهما إلى الأرض .

قالوا : ولولا ذلك ما أطلق أحد من الخلق حملا لشدة قبوله لخطاب بالأمر
الإلهى انتهى .

وكذلك القول فيما خرج من حضرة السلطان سليمان ابن عثمان مثلا له صولة
هظيمة لأنه برز من حضرة من حكمه الخلق تعالى في بعض أقاليم الأرض ، فيتوجه أوياها
مصر في بطو ذلك للبasha أو ذلك القاضي أو ذلك الدفتر دار في الطريق ، فلا يصل
إلا بعد شهرين أو أكثر ، يصير العوام يستبطنونه ، ولا يعلمون أن ذلك رحمة لهم .
فاعلموا ذلك أيها الأخوان ولودوا بأولياء همركم إذا ختم من ظلمة ولا تسكن
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يرشدوا من يطلب منهم قضاء حاجة من الولاة
والقضاء وغيرهم

ويقولوا لهم لا نعرف قضا الحاجة الفلانية إلا منكم إلى صحة الالتجاء بهم ، وعدم
الإشراك بهم فلا يشرك أحد من الخلق الفقراء الأحياء أو الأموات لأن الأمر مبني على
التوحيد لو كان فيهما إله إلا الله لفسدنا كما هو مبسوط في كتب أصول الدين في برهان
التمام ، وقد حققت أنا هذا الباب ، وخبرته كل الخبر مع الولاة الذين يترددون إلى من
الكشاف ومشايخ العرب ، فلم أقدر أخذ بيد أحد منهم في شدة ، وهو يشرك معي غيري .
وكذلك الحكم في غيري من الفقراء لو استند أحد إليهم مع استناده إلى لا يقدر
بأخذ بيده كذلك ، وما رأيت في الولاة الذين يترددون إلي أحد رأي هذا الأمر
معنى مثل مراعاة شيخ العرب هديي أمير الحاج في سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، فإنه
إذا اعتقد شيخا لا يكاد يشرك معه أحدا ، ويصير يتخيله بين هيليه إذا مشى ، وإذا
جلس ، وإذا نام ، ولما دنا الباشا اسكندر ، وجاء إلى مصر من بلاده سمعه شخص
من الناس ، وهو يقول عند ركوبه من المعديه : يا بر كنك يا فلان ، وأنا غايب وبيتي
وبينه نحو فرسخ ، ثم إن هذا الأمر الاعتقاد في الولي الصالح في نفس الأمر بل هو
هام في كل من اعتقد ذلك المكروب ولو (١) يعتقد فاعملوا ذلك
واعملوا عليه والحمد لله رب العالمين .

(١) مطبوس من الأصل .

ومن أخلاقهم : أن يسوسوا الولاية بالترغيب تارة والترهيب أخرى
بحكم الإقضاء بالرسول ﷺ

فإنه كان يدهوا أمتة تارة بالترغيب وتارة بالترهيب .

فإن رأى الفقير الأمير مثلاً متخوفاً من العزل وشرع في خراب البلاد ، وقال
لا أعمرها لغيري وهذه بدوام الولاية وقال بكذب من قال إنك معزول ، وإذا رآه آمناً
من العزل ، ومديده في الظلم هدده بالعزل .

وقد وقع لي ذلك مع بعض الولاء ، فشرع في خراب البلاد لما أشاع الناس أن
الباشا وعد غيره بالولاية بعد عزله هو ، فقلت له : إن بعض القراء قال لي : إنه
كشف له من دوام ولايتك ثلاث سنين ، لأنه الحد الذي يكشف لأرباب الدائرة
الصغرى عنه ، وإذا مضت الثلاث سنين إن شاء الله تعالى نرى آخر ولايتك ثلاث
سنين أخرى ، وهكذا ، فرجع عن ظلمه ، فلما ركن وأطمأن رجع إلى الظلم ثانية ،
فقلت له : إن ذلك الفقير قال لي : أنا كنت أكلت تلك الليلة طعاماً حجبني عن
الكشف الصحيح ، فشك وتردد ، ووقف من الظلم ، وبالجمله فالفقير مع الولاية الآن
كالخاوي مع الحيات لا يكاد الأمير يسمع نصيح الفقير أبداً ، والفقير قد كلف بالنصح
للأمير ، فيحتاج إلى سيامة تامة ، ودفعة زائدة من هداياه ، وطعامه .

فالعقل من أتى البيوت من أبوابها والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم إظهار الكرامات إلا لغرض شرعى

كما جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، ولم أعطى الحق صبعانه الكل من الكرامات ، وكنتموها ، وذلك لضيق هذه الدار عن أن تسع كراماتهم فادخروا ذلك لدار الآخرة لوسعها وبقاتها .

وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله يقول : لو أظهر العارف كراماته خفيف عليه أن يعبد من دون الله تعالى .

وسمعت سيدى محمد المنير بن هنان رحمه الله يقول : إنما يسكنمون كراماتهم غالباً لأنهم يدهون الناس إلى شرع مقرر واضح كالشمس بخلاف الأنبياء يؤمرون بإظهار المعجزات لأنهم يدهون إلى شرع جديد ناسخ لشريعة من تقدم ، فاحتاج أحدهم إلى إظهار المعجزة لينقاد له من فى قلبه مرض لما جبل الله تعالى الأنبياء عليه من كثرة الشفقة ، والرحمة على قومهم فهم يودون لكل واحد من قومهم الهداية بأى وجه كان كما سأل السيد صالح عليه الصلاة والسلام ربه أن يخرج الناقة من الجبل حين طاب قومه بمعجزة ، ووعدوه بالطاهرة إن أخرج لهم ناقة بالوصف الذى طلبوه ، انتهى .

وكان الشيخ محى الدين بن عربى رضى الله عنه يقول : نحن لا نشترط المعجزة فى حق النبي لأن من أجاب للدهوة إنما أجاب لما كان متوفراً عنده من الإيمان ، ولولا ذلك التوفر لم يستجب لرسوله بالمعجزات ، ولا غيرها كما وقع لأبي جهل ، وأبى لهب وغيرهما ، انتهى .

فأكرم يا أخى ما أهداك الله تعالى من الكرامات جهداً فإن عند الخنفية قول بأن إظهار الكرامات لا يجوز للأولياء والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تحرير النية الصالحة في سفر الحج أو زيارة الأولياء الذين

في بلدهم أو في بلاد الريف أو البرارى وتحومها

وذلك بأن يكون الباعث للعبد على السفر ، والزيارة إمتثال أمر الله تعالى ، والاشتياق إلى شعائر الله من رؤية البيت الحرام ، والمقام أو رؤية قبر النبي ﷺ ، أو رؤية ذلك الولي من حيث خصوص النسبة الخاصة إلى الله تعالى لامن حيث رؤية الأماكن على سبيل التفرج عليها ، وعلى حسن صنعها أو بنائها ، ولا من حيث رؤية الجبال والبرارى والغفار كما عليه طائفة السواح .

وقد وقع أن عابداً من عباد بنى إسرائيل مر في صياحته على مرج أخضر ، فأهجه فقال في نفسه : أصلى في هذا الموضع ركعتين فصلهما فأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام يادود قل لفلان العابد إنى لم أقبل منك هاتين الركعتين اللتين صليتهما في المرج الأخضر لانك أشركت معى نزهة نفسك حين مسكنت في المرج وأنا أغنى الشركاء عن الشرك ، انتهى .

ثم مما يخفى على العبد خفة سفر الحج أو الزيارة منأهليه لاجل سفر صديق معه تلك السنة ، وإذا رجع من سفره معه تلك السنة ثقل عليه ذلك ، فمثل ذلك كالشرك الخفى في العبادة ولا يشعر به كل أحد .

ولما حججت أنا وصديقى سيدى محمد الحنفى الشاذلى نفغنا الله ببركاته قلت له لما قرب السفر إيش حالك فى حمة السفر فقال : أنا معك إن حججت حججت معك ، وإن تركت السفر تركته ، فنظرت أنا الآخر فى نفسى فوجدت نفسى كذلك ، قلت له : ياسيدى إن حججنا شبه حج الاطفال وربما أطاع الحق تعالى على نيقتنا فوجد الباعث لنا على الحج هو صحبة كل منا بالآخر ، فلم يقبل لنا حجاً لاننا لم نخلص النية له فمما خلصت النية فى حج السنة لاجل الله تعالى إلا بد مجاهدة طويلة فإن من شرط الذهاب للحج أن يصير كل واحد يخف عليه الحج ولو ترك صاحبه الحج ، فليلتبه الفقير لمثل ذلك .

ونظيره المواظبة على صلاة الجماعة في صلاة الصبح ، والعصر وغيرها لأجل التحدث مع الأصحاب الذين يحضرون في المسجد قبل الصلاة .

وكذلك زيارة مثل قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقد يسكون الباعث عليها تخرج النفس على الناس المجتمعين ، أرى على الناس الذي يجدرنه في قبته ، ولولا ذلك لثقل عليه الزيارة ، فليفرض الزائر أن لو هدمت القبة ذلك الولي . وصار في خرابه ولا أحد يزوره هل كانت نفسه تخف عليها الزيارة مثل ما هو الآن أم لا يعرف حال نفسه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلافهم : كثرة تعظيمهم لإخوانهم المسلمين

لا سيما العلماء والصلحاء فلا يمر أحدهم راكباً على إخوانه إلا لعذر ، وإذا سافر إلى بلاد الريف ، ومر على بلد ينزل عن دابته ، ويسوقها أمامه ، حتى يجاوز للبلد ، وإن لم يكن أحد من أهل البلد جالساً في ناديتها ، كما يفعل أهل الذمة إذا مروا على المسلمين كل ذلك أدباً مع أهل البلد ، وإكراماً لهم ، فقل بلد من بلاد المسلمين تسلم من ولى أو أولياء فيها .

وقد كان الشبلى رحمه الله يقول : ذلى عطش ذل اليهود - ينحى - أنه بلغ من الذلة في نفسه أكثر من الذل الواقع من اليهود ، لأن ذل الذليل يكون على قدر معرفته بمظمة من ذل له ، ولا شك أن الشبلى أعرف بمظمة الله تعالى ، وبمظمة المسلمين من معرفة اليهود . قلت : وما رأيت في عصرى أحداً يراعى هذا الأمر كمرأى سيدى على البحرى رحمه الله تعالى كان ينزل عن دابته ، ويسوقها أمامه ، كما مر على ناس يتحدثون ، وكان إذا سافر ، ومر على رعاة الغنم ، والبقر ، والجاموس ، ولو أطفالاً ينزل لهم ، وإن كانوا لا يتحدثون لما يفعل ولا يعرفون تعظيماً .

ويقول : نراعيهم من حيث أرواحهم الشريفة التي لم تندس بالمعاصي ، انتهى . فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به يرفع الله قدركم في الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يكون مطمح بصرهم بىادى الرأى إلى أن الحق تعالى هو الذى يولى ويعزل بواسطة خلقه وبلا واسطة

وإذا سألوا السلطان فن دونه فى حاجة ولم يقضها لم يتسكدروا منه بل يراهم قضاء الله ويلتزمون الحكمة فى تفسيرها أو هدم قضائها أصلا .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن أصحاب المراتب يجب عليهم مراعاة خاطر بعضهم وود الأمور إلى بعضهم بعضا كما نرى نحن المراسيم التى تبرز من باب السلطان ابن عثمان إلى نحو مصر والشام مثلا فإنهم يولون الإنسان فى الوظيفة ، أو يعطوه جوالى ، ويردون الأ ر بعد ذلك إلى نائبيهم فى تلك المدينة ، أو ذلك الاقليم .

وكذلك أصحاب التصريف من الأولياء بالروم يردون الأمر إلى أصحاب التصريف بمصر ، فإن الحاضر يرى مالا يرى الغائب ، ولو كان الغائب من أهل الكشف ، فافهم فالعاقل من طلب حاجته قضا من باب الولاء وأصحاب التصريف معادون أحدهما .

وقد راسلت أنا أصحاب التصريف بالروم فى شمول الأمير جانوا الحزاوى بمصر بمنظرم حبن نقيم عليه السلطان ، وظن بنفسه الهلاك يكتبه ورقة بخط لا يعرفه إلا أهل الكشف فأرسل الشيخ محيى البرلسى يقول لى ؟ وكان من أصحاب النبوة : أما كان من الأدب أن تشاوروا أصحاب النبوة بمصر قبل أن ترسل السؤال إلى أولياء الروم ، فمن ذلك اليوم ما كتبت أولياء الروم ، حتى استأذن أولياء مصر ، وبركة استئذان أولياء مصر قضيت حاجته ورجع إلى مصر ، سالما ، ووصلت تلك الورقة إلى السلطان سليمان ، فقبلها ، ووضعها فى عمامته فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يزاحموا على صحبة الولاة إلا لأجل منافع
الناس مع العفة عن أموالهم جملة واحدة

وما نهى السلف الصالح عن المزاحمة على صحبة الولاة إلا إذا كانت الأغراض
فائدة فائدة يتولد من المزاحمة البغضاء ، والشحناء ضرورة ، ويود كل واحد أن تكون
هدايا ذلك الأمير ، وعطايا له وحده دون غيره .

وأما من يصحب الأمير لله تعالى ، فلا حرج عليه بل ربما كان ذلك واجبا على
الفقراء في بعض الأوقات لأن القاعدة أن كلما يتوصل به إلى الواجب ، فهو واجب ،
وكما يتوصل به إلى المستحب فهو مستحب ، فأياك يا أخى أن تعتقد في فقراء بلدك
إذا زاحموا على الامراء أنهم يفعلون ذلك لحظ نفس بل إحلمهم على محامل صحيحة
وفوض الامر في ذلك الذى رأيت به إلى الله تعالى إلا إذا ظهرت منهم أفعال تفصح عما
في بواطنهم كأن يخوض أحدهم في هوى أحد ويذكره بالنقائص عند الأمير أو عند من
يبلغه ذلك فإن مثل ذلك يوجب على الفقير الخالى من صحبة ذلك الأمير أن ينكر
على أولئك الفقراء الذين يمزقون هوى بعضهم بعضا لأجل ذلك الأمير تقبيحا لقلوبهم .

وهذه ميزان تطيش بالذر فإذا رأيت يا أخى طئفة العلماء أو الصالحاء مزدحمين
على صحبة أمير ، وكل واحد يحيط معظم الآخر في خيبه ، وحضورا فاعلم بأنهم أصحاب الله
تعالى أو لدار الآخرة ، فلا يجوز لك الطعن عليهم ، وحكم الضد بال ضد .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : إذا رأيتم أحدا من أخوانكم صاحب
أميرا ، وهو يعتقد فيه الصلاح جزما ، فلا يزاحموه هلته لأنه لا يكفيه في صحة استفادة
النية في قضاء حوائجه عند الله تعالى .

وإن رأيتموه غير جازم فيه بالصلاح ، فليكم صحبته ، لأنه لا يكفيه ، ولا يقدر
على تمشية الشفاعات في الناس عنده .

ولما صحبت محمد بن الأمير حجازي بن بغداد بلغني أنه يقول : إن كان الله تعالى قطب كل وجه الأرض الآن ، فهو للشيخ الفلاني ، فحسنت اعتقاده فيه ، وتركته إلا كباب على صحبته ، فلما وقع محمد في شدة ، ولم يجر الله تعالى على يديه تفريجا له ترك صحبته ، ورجع إلي ، فصحبته ، وكذلك وقع ل أخيه الأمير عبد الله مع شخص آخر لما صحبه ، فتركه له ، فلما مسك عبد الله ، وأردعوه في البرج ، ورلوا غيره ، ولم يجد من ذلك الشخص تفريجا رجع إلي ، فصحبته .

وكذلك يلبغني لي إذا تغير اعتقاده في واعتقد غيري أن لا أتكدر ، فإن تكدرت ، فهو دليل صريح على أن صحبتي كانت لغير الله تعالى .

ثم من علامة الاعتقاد الجازم ، للامير في الفقير أن يصير كل شعرة في الأمير تعتقد أن الله تعالى لا يرد ذلك الفقير دعاه في شيء يسأل ربه فيه ، ومتى كان عند الأمير شك في ذلك ، فهو غير جازم ، ولا تقضى له على يديه حاجة فاعلم ذلك راعل به يا أخى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يتوجهوا إلى الله تعالى في صحبة الامراء

فلا يركنوا إلى الامراء ويعتقدوا دوام الصحبة وأنها تنفعهم فرجا يتكالب الفتيير على الأمير ، ثم لا يزداد الأمير منه الا نفرة لاسيما إن جرحه أحد من الاهداء عند الأمير بخلاف من يهضم نفسه ، ولا يزيكها ، فإنه يزداد فيه اعتقادا .

ومن حين فوضت أمري إلى الله تعالى وما جرحني قط أحد عند أمير صحبته إلا ، وألقى الله تعالى في قلب ذلك الأمير النفرة منه ، وقبض له من يجرحه عنده حتى كخرقه الحبيض .

ومما جربته أنا أنه ما ذكر أحد من أقراني عند أمير صحبته إلا ، وبجأت به ، وعظمته عنده ، فأخرج من صحبته سليما مستورا العودة جزاء وفاقا .
فأعلموا ذلك أيها الإخوان راعوا به ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن لا يزور أحدم أخاه إلا إذا وجد عنده داعية لذلك
والداعية هي رؤية الزائر نفسه بعين الحقارة ، والقل ، والنقص ، وكثرة المعاصي
الظاهرة ، والباطنة ، ورؤية للزور بعين الكمال ، والعز ، والطهارة من سائر المعاصي ،
وطلب الإمداد منه ، ومن هنا قالوا :
إذا قل رأس مالك فزر أخوانك .

فإن لم ير الزائر نفسه كما ذكرنا ، والمزور كذلك فزيارة تكلف ، ونفق ، ثم
لا يقابله المزور إلا على صورة نيته وما شاكلها .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : مابقى عند غالب الزائرين عقيدة ،
فيمن يزوروه ، ولا عند المزور مدد يفيض منه إلى غيره ، فزيارة غالب الناس اليوم
هنا ، وتعب من غير ثمرة إذ الثمرة إنما تكون فى الأعمال الخالية من العمل فخر
يا أخى نيتك (وزر أخاك غبا تزدد حبا) كما ورد .

ثم لا فرق فى هذا الحكم بين زيارة الأحياء ، والأموات ، فإن الميت يقابل زائره
كذلك بشاكله حاله ، ونيته ، فأخرج يا أخى من زيارة العادة إلى زيارة العبادة ولا تكن
من الغافلين فإن لم يظهر لأخيك الحى أو الميت كماله عندك ، فلا تزره وإن ظهر لك
كامله ، فأياك أن تحتقر غيره ، فربما ذلك الأخ الخفى أعلا مقاما ومرتبة من ذلك
المشهور بالصالح والدين .

وقد بلغنا أن شخصا نام عند قبر الإمام الأئمة بن سعد رضى الله عنه ، فطرقه
البول ، فبعد عن قبر الإمام الأئمة بن سعد إكراما له وجلس بجانب جدار يبول ،
فسمع صوتا من تحت الحائط يقول إن هذا الذى يبول عليه أعظم مقاما
هنا من الإمام الأئمة ، ففشى على ذلك الشخص من ذلك الصوت ، وقبض على
فرجه ، وصار حائرا محصورا فى غاية الضيق انتهى .

فخفف يا أخى الأكل والشرب إذا طلبت زيارة القرافة لئلا تحتاج إلى البول
أو غيره ، واعتقد فى إخوانك المسلمين العلاج أحياء ، وأمواتا ، وكل سرائرهم
إلى الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن لا يشكروا أحدا بين الناس إلا إن كانت صفاته المحمودة تغلب على المذمومة

فإن تساوت صفاته المحمودة ، والمذمومة وقفوا عن الشكر لئلا يدخل أحدهم في تزكية من لم نزهه الشارع ﷺ ، إذ لا بُدَّ من قاض صفاته المحمودة ، حتى لا يكاد يظهر المذمومة عين .

وقد قال أئمتنا: إن العدل في الشهادة هو من غلبت طاعته على معاصيه .

وقالوا: لا نكره إمامة من نكرهه الناس إلا إن كان ممن يكرهه أكثر ممن يحبه هذا كما في حق من كرهه الناس بغير حق أما من كرهوه بحق ، فإنما به مكروهة على أن كلامنا في حق عامة الناس دون الولاة ، فإن من يمدحهم إلى الإنم أقرب ، وإذا كان الناس كلهم يذمونهم ، ولا يرجعون عن الظلم ، فكيف فيمن مدح ظالما غش نفسه ، وغش الأمير ، وغش الناس .

وما أفصح فقيرا يقبل من مشايخ العرب ، والكشاف الهدايا ، والصدقات ، ويصير يمدحهم في المجالس ، حتى ربحا رفع مقامهم على مقام بعض العلماء ، والصالحين كما سمعت ذلك عن بعضهم في حق شيخ العرب عيسى ، وفي حق محمد بن داود بن عمر ، وفشنا عن سبب ذلك ، فوجدت سببه أنهما رتباه كل سنة شيئا من القمح ، والعمل ، والأرز .

فالماعل لا يمدح أحدا إلا إن قال الحق تعالى له : صدقت ، وتعرف ذلك بموافقة المدح لقواعد الشريعة .

فاهلم ذلك يا أخي وزه نفسك عن الإفراط في المدح كما تنزهها عن الذم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاهم : أن لا يركنوا قط للولاية ولا يثقوا بدوام صحبة أحد منهم
فإنهم يظنون أن العقيدة في الفقراء تقتضى البقاء على صحبتهم لا أنهم هم المحتاجون
لهذه الصحبة بينهم وبين الفقراء وقد تلمذ علي أميرهم وفي يوم آخر تركني وأصبح
يتلمذ لفقير آخر في يوم انتقد علي ، فاعتقاده وانقاده ، لحوى .

وقد صحبتني شخص من الأكار ، وعرض علي مالا جزيلا ، فرددته ، فأنكر علي
أشد الإنكار ، وأصبح هذا شخص جاهل بالشريعة لا يعرف شروط الوضوء ،
ولا يراه أحد يصلي ، فاتخذ شيئا ، وصار يتردد إليه ، وتركني ، كأنه لم يعرفني ،
وصار يقول عن ذلك الشخص : إنه يصلي بمكة ، ولعمري إن صحة العقيدة في شخص
إنما يكون متبعا للشارع ﷺ ، فمن أظهر لنا اتباعه للشريعة أنبعاده ، ومن تظاهر لنا
بمخالفة أحكامها ، وآدابها أنكرنا عليه ، ثم الأنكار غيرة على شريعة سيدنا ومولانا
ﷺ أن ينصر من خالفها ، أو يعتقد ولم ينقل لنا من أحد من الصحابة والتابعين ،
ومن بعد أن كان يظهر بترك الصلاة ، ويقول أنا أصلي بمكة أبداً .

فالمأفل من اتبع سلفه في الدين ، وأظهر عقيدته لعلماء والصالحين ، ليردده
إلى طريق التصواب ، ويخرجوه عن الخطأ .

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة رضي الله عنه يقول : كل من رأيتوه
يسارر الناس بأمر فاعلموا أن عقيدته فيها دخل وليست العقيدة الصحيحة إلا ما أجاز
بها صاحبها على رعرس الأشهاد .

فاعلموا ذلك أيها الأخوان ، وافرحوا إذا أنكر عليكم الأمراء ، وتماطوا
أسباب التنفير عنكم ، ولا تغفروا بمن يتزاحم عليهم من متصوفة زمانكم ، فمن
قريب يندموا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يحذروا أخوانهم الذين أقاموهم في جمع الدنيا
وإنفاقها على الفقراء من الطمع

ومن ترجيح نفوسهم بشيء على الإخوان إلا بقدر ما يعينه لهم الشيخ لا غير ، وهم
تخصص أحد منهم بشيء عن إخوانه ، فقد خان الله تعالى ، ورسوله ، والشيخ ،
والفقراء ونفسه .

ولولا أن للدنيا قدرا في قلوب غالب الناس ما حذر رسول الله ﷺ ، منها ، وقد
أمت هندي في الزاوية شخصا لشئون الدنيا فلم يتورع حتى هزلته ووليت غيره
فاحذروا أيها الإخوان ، ولا تخونوا ، فترفع البركة ، واحذروا من التخصص بشيء
لو عرضتموه على الشيخ ، والفقراء لم يسمحوا لكم به ، وإياكم والاعتذار بأن لكم
أولادا وهبالا ، فإن ذلك هنر غير مقبول عند الله تعالى ولم يأمركم الله تعالى أن
تطعموا عيالكم حراما ، فخذروا ما حل لكم ، وأعملوا لكم حرفة ، أو خيروهم بين
الإقامة معكم على الضيق ، أو الفراق كما خير رسول الله ﷺ لسانه ، حين ضاقت
عليهم الدنيا ، ثم إن في تخصيص النقيب غاية الفضيحة له إذا تخاصم مع أحد من الفقراء ،
وقاموا عليه ، وقالوا له : احلف لنا بالطلاق أنك ما تخصصت عنا قط بشيء كما وقع
ذلك ، لخداع بعض المشايخ حين قام عليهم أهل الزاوية ، وأخرجوهم ، وهزلوهم
فما قدر أحد يحلف منهم ، فافتضحوا في الدنيا قبل الآخرة أكبر فضيحة ، لكونها
على رؤس الأولين والآخرين .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان النقباء ولا تغتروا بحكم الله تعالى عليكم ، وتخونوا
فإن الله تعالى قال : (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ^(١))
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يعاملوا أقرانهم بكثرة الإيثار إذا سافروا إلى الحجاز
 زيادة على إشارهم الذي كانوا عليه في الحضر أدب مع الله تعالى ، فإنه مصاحبهم
 في السفر صحبة خاصة قال عليه السلام (اللهم أنت صاحب في السفر والخلقة في الأهل) .
 واليه يندرج الفقير كل الخدر من أن يكون عنده في طريق الحج عجب بشيء من أحواله ،
 أو كبر على أحد من أقرانه خوفاً أن يرجع من الحج ممقوتاً وقد يطرُق الإنسان من
 استحسن حاله إذا حج ، وظن أن الله تعالى غفر له ذنوبه ، فإن ذنب المحب
 والكبرياء الذين أخرج لأجلهم إبليس من الحضرة ، وامن ، وطرده حين قال :
 أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ^(١) .

ومن علامات هدم الكبري :

أن تفرض على نفسك أنها تعلم لأقرانها من مشايخ العصر الذين يحجون تلك السنة
 وتلقن عليهم الذكر ، وتصير تخدم أحدهم ، وتوضيه ، وتعلم في ركابه إن استطعت
 حتى تفسخ من إمام المشيخة ، وتصير معدوداً من جملة خدام ذلك الشيخ لا يرفك
 الناس عن ذلك ، فإن انشرفت نفسك ، لذلك ، فأنت متواضع تستحق نزول الرحمة
 عليك ، وإلا فأنت متكبر تستحق نزول العقاب عليك هذا في حق المشايخ الذين
 يربون الناس ، وبأخذون عليهم العهود ، فما بالك بأخذ المرابين .

وقد طلب شخص من إخواني الحج في سنة كان شيخ العرب عيسى أمير الحاج
 فقلت له : إني أخاف عليك المفت برؤيتك نفسك على أحد من عباد الله تعالى في تلك
 المواقف الشريفة فقال : أنا بحمد الله تعالى نفسي تراب فقلت له : لا تكون نفسك
 تراباً ، حتى تخدم الشيخ الفلاني ، وهيت له شخصاً من المشايخ الذين حجوا في تلك
 السنة ، وتبالغ في خدمته بحيث تفسخ عن كونك من أصحابي ، ويصير الناس يقولون
 منك : إنك من أصحاب ذلك الشيخ ، فقال : أهوذا بالله من الشيطان الرجيم هذا أمر

لا يقدر على فعله أشياخ الطريق الذين يسافرون في هذه السنة ، فكيف أقدر أنا على ذلك ، فقلت له : إن حضرة الحق تعالى محرم دخولها على من في قلبه كبر على أحد من المسلمين فقال لا أقدر على نفسي تنكبس لخدمة ذلك الشيخ ، فقلت له : أمكث في مصر فإنه أولى بك خوفا من حصول المقت ، فإنك إذا كانت نفسك تنفر من خدمة من أشرهم الله بالصالح ، واعتقدتم الأمراء ، وترى نفسك عليهم ، فكيف بالعوام الذين لا يؤبه لهم .

وهذه مصيبة يبتلى بها غالب المتصوفة ، وطلبة العلم فضلا عن غيرهم ، فلا تسكاد تجد شيئا يرى نفسه دون شيخ آخر الا نادرا بل كل واحد يقول : أنا صاحب المقام وثلاث هو المتفعل في المشيخ ، وإن شككت في قولي فأعرض ما قلته لك على مشايخ عصرك تعرف صدقي .

وقد كان الفضيل بن عياض مع سفيان الثوري يعرفه .

فقال له سفيان الثوري كيف ترى الموقف فقال له الفضيل : ما أجمله لو لم يكن مثلي ومثلك فيه وأخذنا يميكان حتى بلا التري .

فإن كنت يا أخي وإخوانك الذين حجوا على هذا القدم ، فهي سنة مباركة بحجكم فيها ، وإلا فربما كان سببا لنزول البلاء على الناس ، وما رأيت في العلماء عصر في هذا العصر أكثر تواضعا من الشيخ ناصر الدين الطيلاوي ، والخطيب الشربيني ، وبقى جهالة لم يتمكنوا في مقام التواضع ، فخفت عليهم المعجب إذا عنفتهم .

واند طلعت مرة مع الشيخ ناصر الدين الطيلاوي للباشا اسكندر ، حين كان بمصر فعمل نقيبا ، وأمرني بالسكوت ، وصار ينصح الباشا ، وبهظه ، ويخوفه ويقول : سيدي الشيخ هذا يقول لك : كذا وكذا ، وهجرت أني أظهر مقامه للباشا . فأقدم على بالله تعالى أن لا أفعل ، وكان سبب طلوعي معه للباشا المذكور أنه أرسل يستأذن في أن ينزل للزيارة ، فخفت أن ينزل فيترتب على ذلك حرقا لا نقدر على القيام بها ،

فرأينا طلوعنا له أخف من نزوله ، ومع ذلك لاث الناس بنا ، وقطعوا في عرضنا ،
وقالوا : هؤلاء يتحشرون في الولاية ، فإله تعالى يفر لهم ما جنوه آمين .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يبلغ العبد مقام التواضع
إلا كامل ، حتى يرى أن جميع إخوانه المعصاه أحسن حالا منه ، فيرى أن الله تعالى
يؤاخذنه ، ويغفر لهم جميع ذنوبهم .

فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يبادر أحدهم إلى الأكل من طعام إخوانه
المشهورين بالصالح في عصره حتى يفتش ذلك الطعام بنظر
من أى طريق وصل إلى ذلك الصالح

هل هو من كسبه الشرعى ، أو من غيره أمن هدايا الولاة ، أو غيرهم ، فإن رآه
من السكيب المذموم امتنع ، وإن رآه من السكيب المحمود أكل .

ولا يابغى الفقير فى هذا الزمان أن يأكل من طعام أحد من أهل زمانه من غير
تفتيش ، وربما كان يأكل بدينه ، وزهده ، وصلاحه ، أو ربما كان يقبل هدايا العمال ،
وولاة الجور ، أو ربما كان يبيع على المساكين ، وأكلة الرشا ، ويقول : هو الذى
خلق لكم ما فى الأرض جميعا كما عليه بعض المنصوفة فى هذا الزمان .

وقد دخلت على شخص منهم له عمامة صوف وهذبة وله شهرة بالصالح عند
الأمراء تقدم لى دجاجة فأكات منها ، فرأيت أمانة الحرام فأقيمتها من بطنى على باب
ذلك الشخص ، فقد تقدم إلى أنه لا يرد شيئا يأتية من الولاة يقول : إنه قد أتى من
هذه الله تعالى^(١) فعلمت أنه لم يشم من طريق الشريعة شيئا ، فإن المالك الحقيقى
سبحانه هو الذى حرم عليه ذلك الطعام ، فنعوذ بالله من هذا المذهب الذى يهدم
أركان الشريعة .

وقد ذكرنا للأصحاب مرارا أن من علامات الحرام إذا أكل العبد أن تناعب نفسه
فيلقيه من ساعته كما هو شأن من طهرهم الله تعالى من أن يستقر فى بطنهم طعام حرام .
ومن علاماته أيضاً حصول الثقل فى المعدة والظلمة فى البصيرة والفساوة فى القلب ،
حتى لا يكاد تدمع له عين ولا يمن إلى موعظة .

ومن علاماته أيضاً أن يقوم من النوم كالمدهوش مخبط العقل ، فلا يصحوا
إلا بعد ساعة .

فإن أخذتكم بأخى معرفه الحرام بالميزان الشرعى قبل أكله فلا تخطئكم العلامات

بعد أكله ، فعلم أن من الواجب على الفقير في هذا الزمان أن لا يأكل إلا عند الاضطرار
إن أراد أن يستبرى لدينه لأنه إذا كان صاحبه الزمان لا يتورعون فكيف بغيرهم ،
وهذا أمر قد يخفى على كثير ممن يعتقد الفقرا بحسن الظن من غير دليل ، وربما يشجع
من طعاهم الحرام أو الشبهات ، ويقول : طعم الفقرا شفاء ، وغاب عنه أنه سم قاتل .

وقد كان الإمام سفيان الثوري إذا دعاه من لا يتورع إلى طعاه يأخذ معه رقيقا
في كفه ، ويأكل منه فليحذر العبد من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كتمان أحوالهم و كمالاتهم إلا ما صاحبه شرعيه

فلا يلغى لأحدهم أن يقول : دخل علينا البارحة فلان بعد أن فرغنا مجلس الذكر
أو ونحن نتقى مع الفقراء القمح ، أو ونحن نقلى ، للعميان ثيابهم أو ونحن نجتمع للفقراء
الوقيد ، ونحو ذلك ، لأن في مثل ذلك إظهار أنه يخدم الفقراء أو أنه له مجلس الذكر ،
فيخبر بذلك من لا يعرف . بل يذكر الحكاية التي يحكيها من غير ذكر أمانة الذكر
أو تنمية الطحين ، ونحو ذلك .

وهذا الخلق يتم في خيانتهم كثير من الفقراء الذين يحبون الفمور في هذا الدار ،
فليحذر الفقير من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا سافروا إلى الحجاز للحج فعدوا أمير الحاج بأرواحهم فيحوطوه ويحوطوا ركبهم من ويحرسونه ويحافظون عليه من كل سوء فإنه إذا هلك هلك الركب كله :

فلا أحد أنعب فيه للقلب من الفقير الصادق إذا سافر إلى الحجاز لأنه يرى كل آفة نزات في الحج بسبب ذنوبه أو تفريطه في تحويطهم بالآيات والأذكار التي وردت في مثل ذلك ، ويرى أنه مؤاخذ يوم القيامة بكل من سرق جله أو مناهه أو رقد من التعب وكذلك يرى أنه مؤاخذ بكل من سأله شيئاً من الطعام أو الماء أو المبل الذي هو في غنى عنه حال ذلك السؤال ، ويرى أنه لا يجوز له ادخار شيء عن المحتاج إليه ، ولو احتاج هو إليه في المستقبل ، ويرى أيضاً أن من الواجب عليه إينار الإخوان على نفسه في إركابهم دابته ويعشى هو .

وهذه الأمور قليل من الفقراء من يقوم بها في طريق الحج ، وما رأيت ولا سمعت أحداً من أمراء الحاج قام بهذه الأمور إلا الأمير عيسى بالبحيرة ، حين سافر أميراً بالركب المصري ، والرومي ، فكان لا يتقدم الركب ليلاً ولا نهارة . بل هو مقيم بالساقية يحمل العميان ، ويسقي العطشان ، يحمل المعجوز على بقلته ، ويعشى ، وما يأتي للمنزلة التي يحط بها الحجاج إلى نصف الليل بعد أن نزل الناس ، واستراحوا وأكلوا وشربوا ، وربما وصل إلى المحطة فقالوا له : إن في ذروة الجبل الغلاني أو الشجرة الغلانية جماعة منقطعين فيأخذ الجمال والماء ، ويرجع إليهم ثانياً فلا يصل إلى المحطة إلا وقد سار الحج ، فيدوم على السير من غير استراحه رضى الله تعالى عنه ، وذلك في سنة ثلاث وستين وتسماية .

وقد كنت بحمد الله تعالى أحوطه وأحوط الركب في كل مرحلة أول ما يسير الركب بقول ألف مرة وأنا أحلق بإصبعي على الركب كله : (بسم الله الرحمن الرحيم وآية الكرسي ، ثم أقول : اللهم أنى أسألك بك أن تصلى وتسلم علي سيدنا ومولانا (٧٧ — الأخلاق المقبولة — نان)

محمد واهلي سائر الانبياء والمرسلين واهلي آلهم وصحبهم أجمعين وأن تقوى هذه الجمل
والدواب هلي حل أنفالمها ، وأن تحفظها وأصحابها من الآفات ، حتى تدخل إلى أوطانها
إنك هلي كل شيء قدير) ألف مرة كذلك ، بتوجاً تام بحسب المقام فلا أفرغ من الألف
إلا وجسمي زايب من شدة النعب ، فكنت أتعب بدنا من الماشي ، وواسيت
المحتاجين بجميع ما كان معي من الثياب ، والعبايم ، حتى لبست ثوب العيال بقلمسوة
من غير عمامة ، وقطعت الخيمة ، وفرقتها هلي المحتاجين ، ليستندفوا بها حين فني ما كان
معي من المسال ، والثياب ، ثم لما كسانى الله تعالى العمامة والثياب في الطريق ثانيا ،
وثالثاً أعطيتها للسائل ، فبذلتها ثلاث مرات في الطريق ، وكان آخر عمامة أعطيتها
للسائل من حين ، ودعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألني فقير شديتاً يتفوت به
وأنا خارج من باب السلام ، فأعطيته العمامة كلها دون أن أقطع له منها قطعة كما هو
شأنى دائماً تعظيها لجناب سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربى منه فالحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا دخلوا مضيقا أو نزلا في الحطة أن يقدموا

جمال جارم على جمالهم

ويتخلفوا إلى ساقته ويدخلوا جمال جارم وأمتعته إلى داخل الركب ويمهلوا جمالهم وأمتعتهم إلى خارج جمال الجار ، وأمتعته كالسور عليه ، والوفاء به ، ولا يقولون : إبدأ بنفسك في الحفظ على الوجه الذي يتبادر إلى الفهم بل يرون أن بدأتهم بحفظ نفوسهم ، وأمتعتهم هي بإيثارهم للغير على أنفسهم من حيث أن الله تعالى يجازيهم على حفظهم لأمتعة جارم ، ويحفظهم كذلك ، ويرسل لهم ملائكة يحفظونه من سائر الآفات كما شاهدنا ذلك في منزلة بندر الازلم ، فخرجت بجمالي ، وجعلت جمال جارم سيدي محمد الحنفي داخل جمالي ، فرأيت تلك القبيلة الملائكة ، وهي محيطة بجمالي تحفظها من السارق ، وجاء شخص من العرب ، يسرق من جوارنا ، فقطعت رأسه .

وهذا الخلق قل من يتخلق به من الفقراء بل رأيت بعضهم يدفع جمال جاره إلى الوقوع في الوادي ، ويحمي جمال نفسه وبزاحم جاره الداخل ليجمعه خارجا وجمال نفسه داخلا ، وربما تخاصما ، وذلك مخالف لأخلاق الفقراء ، فليحذر الفقير المنشبه بالفقراء من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يخففوا عن الجمل أثقالها

سواء أ كانت الجمل ملكا لهم أم كانت مارية ، وذلك بأن تجعل ركوة الماء التي يشرب منها ويعلقها في رجل الجمل نحو رطل أو رطلين من الماء ولا يحمل في الأسقية من الماء إلا بقدر الحاجة الشرعية ، وإذا أشرف على منهل الماء ، ورآه بالعين ، فمن المعروف أن يستقى ذلك الماء الذي في الأسقية للحيوانات أو يصبه في الأرض تخفيفا عن الجمل إن لم يجد من يشربه ، ولا ينبغي أن يحمل الجمل فوق ما يحتاج من المنهل الأول إلى الثالث إذا ما كان منهل الثاني مالحا بل يخفف عن الجمل ، ويشرب من المالح كما يفعل المترفهون ، فيحملون ماء بحر النيل من مصر إلى العقبة أو من العقبة إلى بركة الحاج لأجل ملوحة ماء هجرود ، ونخل ، وكان الأولى لهم أن يحملوا الجمل من الماء بقدر ما يكفيهم إلى الماء المالح فقط ، والله إني كنت أطعم الجمل الذي كنت راكبه السكر ، والسكر ، وأثره على نفسي ، وكنت أقبل رجله كلما أردت ركوبه أو النزول عنه ، وأقول له : جزاك الله خيرا في حملك لهذه الجثة القدرة ، فإن الدواب تفهم ما يقال لها ، ولسكنها حاجة عن النطق كما يعرف ذلك أهل الكشف ، وكان لي قفزة أشرب منها وأهلقتها في قنب الجمل تسمع نحو رطل من الماء فقط ، وكان صاحب الجمل يقول لي : مع الأخ الإذن في تعليق القلص الذي يسم هشرة أرطال ، فلا أطيعه ، فكنت أنا أشفق على الجمل من صاحبه ، وكنت أرى أن السكر الذي أعطيته له في الذهاب والإياب لا يجي كرا جمل مرحلة واحدة ، وكثيرا ما كنت أقول له : ذلك فيفرح ويصير بخدمني أشد الخدمة عكس من كان يقول له : يا أخي ما حملتنا بلا شيء . وإنما حملتنا بأجرتك وليس لك علينا جميلة ، فإنه يقسى قلبه عليه ، أو يصير بخدمه كرها عليه .

فأهلوا ذلك أيها الإخوان ، وأهلوا به تجنوا ثمرته ، ولا تخالفوا تتبعوا وتندموا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يتفقدوا إخوانهم في بندر الأزم والعقبة إذا وصلت
إليهم هدية من مصر من جبن وبصل وفول وغير ذلك

فإن نفوس الإخوان الذين لم يرسل أحد إليهم شيئاً يستند إلى التطلع ، لمثل ذلك
أكثر مما تتطلع إليه في الحضر إذا الخلاوة ، أو البطيخ مثلاً مفقود في غالب طريق
الحجاز ، وهذا من محاسن الأخلاق ، فليطلبه الفقير له ولا يأكل الهدية وحده ، فيسقط
من عين رعاية الإخوان ، والجيران ومن شك فليجرب ، ولما وصل إلي ملاقة الأزم
فرقتها هلى الإخوان ، والجيران من دراهم ، ودقيق ، وفول ، وبصل ، وجبن ، وغير
ذلك ، فصرت بينهم كالأمير ، وكأني ألبستهم خلمة صابغة بعد أن كنت مكشوف
العورة حافياً مكشوف الرأس ، وصار الإخوان يفدون إلى بالود زيادة هلى ما كنت
عليه قبل ذلك .

وقد شاهدت شخصاً يدفع جملى إلى المضيق قبل ذلك ، فلما أطمعته ، صار يقدم
جملى في المضيق ، ويؤخر جملة هذا أمر شهدته أنا منه .
فاعمل يا أخى بهذا الخلق تفلح والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا وصلوا إلى مكة المشرفة أن لا ينفقوا
عن الدماء في مواطن الإجابة لأنفسهم وإخوانهم

وهم في تقديم نفوسهم ، وإخوانهم على مشهدين أو مشاهد ، فتارة يقدمون نفوسهم
في الدماء إذا شهدوا أنهم أكثر خطايا من غيرهم ، وتارة يؤخرونها إبطاء لإخوانهم
يقطع النظر عن كثرة خطايا الناس ، وتارة يقدمون الغير على نفوسهم رجاء الاجابة
ويؤخرون نفوسهم ليغفر لهم بحكم النبعية لهم ، وتارة يستحيون من الله تعالى أن
يتلفظوا بسؤال المغفرة لاستلزامها استحضار تلك الذنوب القنرة في تلك الحضرة
الشريفة ، وتارة يقولون : اللهم اغفر لجميع هذا الجمع ، ولا تردهم من أجلنا ، وتارة
يقول أحدهم : اللهم إني قد دلت هذا الجمع بدخولي بينهم ، فاغفر لي ، حتى لا يتدنسوا
بى صدقة من صدقاتك على يا أرحم الراحمين ، وكان هذا دهاى فى أكثر طوافى بعد
الأذكار الواردة .

ومممت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : كل من كان أكثر ذلًا فى أيام الحج
كان أكثر مغفرة ، وربما شفعه الله تعالى تلك السنة فى جميع أهل الموقف انتهى .

قلت : وقد جمعت بعض العارفين فى سنة ثلاث وستين وتسعمائة على الثلاثة الذين
شفعهم الله تعالى تلك السنة فى أهل الموقف ، وكانوا زمنا واحد منهم يمشى بمصائب
من تحت إبطه ، والآخران يزحفان على الأرض ، والثلاثة من أهل البين ، وكسوت
واحد منهم قميصا فقبله منى ودعا إلى الله تعالى فانظريا أخى كيف شفع الله تعالى هؤلاء
الزمنا الثلاثة فى أهل الموقف وفى المتكبرين ، وأهل الدعاوى حين نزلوا بنفوسهم
إلى المعجز الشديد رضى الله عنهم .

فاهملوا ذلك أبها الإخوان واهملوا على تحصيله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا سافروا إلى الحج وحفظ الركب تلك السنة من
قطاع الطريق ومن الغلا وموت الجمل

بدعائهم ، ونحو بطهم ، لركب أن لا يصغروا لقول بعض الناس ، وكيف لا تكون
هذه السنة مباركة ، وفيها سيدى الشيخ فلان ، فمن صفى لثلك بال الشيطان فى أذنه ،
وربما أدركه العجب ، والكبر ، فمهلك مع الهالكين .

فـيـكون على علم الإخوان أن الله تعالى يقيم كل سنة رجالا عليهم دورك الحج ذهابا
وإيابا لا يكاد أحد يعرفهم ، وأما الفقراء الظاهرون فربما كان أحدهم عبد بطنه ، وفرجه ،
ومثل ذلك لا يحفظ الله تعالى به الركب فإياكم والغلظ .

واهدأوا أن من شرط الفقراء الصادقين : أن يروا كل خير حصل للناس من الله
تعالى لا بواسطتهم ، يروا كل بلاء نزل على الناس بواسطتهم .

ولو تأمل الفقير الصادق فى هذا الزمان لوجد نفسه قد استحققت الخسف بها لولا
عفو الله تعالى ، فكيف يكون مثله سببا لجلب خير إلى أحد من العباد هذا ما درج
عليه الخاصة من أولياء الله تعالى ، فالخادق من تبعهم على ذلك ولو تقليدا والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلافهم : الاعتناء بمن تغير عليهم من الأصحاب وجفامهم بمد المحبة
والقرب منهم ويحملون اللوم علي أنفسهم في ذلك

ولا يقولون إن فلانا ليس له هندنا حق ، حتى يتغير علينا لأجله إنما ذلك حسد
منه ، فإن ذلك ليس من أخلاق الفقراء ، ومن سلك هذا المسلك كثر أعداؤه .
وقد كان عليه السلام يتفقد من انتظم عن مجلسه من أصحابه ، وبسل عن سبب تخلفه ،
وكثيرا ما كان يذهب إلى الرجل ويقول : يا أخى لعل أحدا أبلغك شيئا تكرهه (انتهى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط السكامل أن يقدر على
سياسة الوجود كله والأخذ بخواطر جميع الناس ، ولا يترك أهل في قلة سياسة أحد منهم
فتفوته هدايتهم وهو مطالب بهداية جميع العالم بحسب الإلزام للمقام الحمدي .
قال بعضهم : ومما وقع لي أن بعض الأقران هجرني نحو سبعة عشر سنة ، وأنا غير
مكترث به ، وأقول ليس له همدى حق شرعى تصح له المطالبة به في الدنيا والآخرة .
قال : ثم تأملت فإذا في قلبي له نوع من البغضا . ولشحننا وأردت أجمله كن يحبني ،
ويؤدنى ، فما قدرت .

قال : فلو أتى كنت سارحت لإزالة ما هنده منى أوائل الهجر لما تربى له في قلبي
بغضا ، ولا حقد قال تعالى (واهجرهم هجرا جميلا)^(١) ، والجميل هو الذى لا حقد فيه
فإياك يا أخى ، والتمس أهل في سياسة الناس ، فيتربى في باطنك الحقد ، والمداوة ، وظالط
الناس الذين يؤذونك ، ويكرهونك ، وإذا بلغك كراهة أحد منهم لك فقل للناس :
أنا ما رأيت من فلان الاخيرا ، ويظهر لي منه المحبة ، فجزاه الله تعالى هنى خيرا ، فإذا
بلغه منك ذلك ترك عداوتك ، وأظهر المحبة ، والسكوت عن ذكرك بالنقص ، ثم

إذا كنت من هجرتك بغير حق ، وتوقف الأمر على الذهاب إلى داره ، وتقبل يده ، وأرجله ، فافعل ، ولا تطلب منه أنه يذهب إليك أو يقبل يدك ، فإنه في حجاب عن ذلك لما هو عليه من الرهونة ، وغلبة نفسه عليه ^(١) .

فأله الله أيها الأخوان في العمل بهذا الخلق العظيم والحمد لله رب العالمين .

(١) يقول الإمام الطوسي في كتابه التلويح : باب في ذكر آدابهم في الصداقة والمودة :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال ذو النون رحمه الله تعالى :

ما بعد الطريق إلى صديق ، ولا ضاق مكان من حبيب . وصحت أبا مرزوق وإسماعيل بن نجيد يقول : صحت أبا عثمان يقول : لا تتق بمودة من لا يحبك إلا مصوما .

وفيهما حكى جعفر الخلدی عن ابن السكّ رحمه الله تعالى ، أنه قال له صديق : المياد بيني وبينك غداً تتعانق ، فقال له ابن السكّ رحمه الله تعالى : بل بيني وبينك غداً تتغافر ، ويقال : إن كل مودة يزاد فيها باللقاء فهي مدخولة في المودات .

وسئل عن حقيقة المودة فقال : هي التي لا تزاد بالبر ولا تنقص بالجفاء . وهذه الحكاية عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى ، وقال بعضهم : الإعراض عن الصديق إبقاء على المودة .

قال أبو العباس بن مسروق رحمه الله تعالى ، فيما بلغني : وفي هذا سنة عن الرسول ﷺ قوله لأبي هريرة رضي الله عنه : زرعياً تزدحبا وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : كيف حالك فقال : كيف خالك من يكون عدوه دأؤه وصديقه بلاؤه ؟

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : لقد كنت أرى أقواماً تجربون منهم للنظرة فهي زادي من الجملة إلى الجملة .

وقال بعض المشايخ : إذا صح لي مودة أخ فلا أبالي متى لقينته .

وعن النوري ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : الصديق لا يحاسب بشيء ، والعدو لا يحاسب له شيء .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إذا كان لك صديق فلا تسوء فيك بما يكرهه .

وعن جعفر الخلدی قال : صحت أبا محمد المنازلي رحمه الله تعالى يقول : من أراد أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخوانه القدماء .

ومن أخلافهم : أخلص العمل لله عز وجل لا الثواب في الآخرة

كما عليه أصحاب الهمم المنحطة عن همم الرجال ، ثم إن قصرت هممهم عن العمل لله تعالى ، وعملوا لثواب الآخرة لا يكون مقصودهم بثواب الآخرة إلا مشاهدة الحق سبحانه ، ومجالسته في تلك الدار لا غير ذلك ، ومتى كانت هممهم التمتع بالخور ، والأكل ، والشرب ، وطيب الروايح ، فليس هم من فحول الرجال أصحاب الهمم لقرهم من صفات النساء ، وأصحاب الحجاب بمحبة الدنيا ، وشهواتها ، وإن كانت الآخرة ليست بدار حجاب كان من طلبها لغير مشاهدة الحق تعالى فيها محجوب عن الله تعالى بذلك الغير ^(١) .

وكان سيدي علي بن وفارضى الله عنه يقول : من طلب الجنة لهوى النفس وشهواتها من الشرب والجماع ، فهو امرأة وأما من عمل لغير الله تعالى فعمله جاحد من أصله لا يصل إلى الدار الآخرة منه شيء ، ليناب عليه أو يعطى منه أصحاب الحقوق التي للخلق عليه بل يفنى بفناء الدار الدنيا .

وسمعت سيدي هلياً الخواص رحمه الله يقول مراراً : من عمل عملاً من الأعمال ، وأراد به صرف وجوه الناس إليه ، والاصفاء إلى محبتهم له عليه ، فعمله حابط يفنى تبعاً للدار التي عمل فيها هكس من عمل للدار الآخرة ، فإن من لازمه البقاء ، والاخلص والوصول إلى الدار الآخرة ، ليناب عليه ، ويعطى منه أصحاب الحقوق انتهى .

(١) وأنشد السبلى ليله أن مات قائلاً :

كل بيت أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج

وروى أبا على الروذباري رحمه الله : دخلت مصر ، فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا :

كنا في جنازة فتى مع قائلاً يقول :

كبرت همة عبد . . طمعت في أن يرا كما

فشق شهقة فات .

فياخسارة من عمل عملاً غير وجه الله تعالى لأنه إما يحبط عمله بالسكينة ، وإما ينقص ثوابه .

فعلم أن كل عمل دخله الرياء، فليس هو من أعمال أهل الله تعالى ، ولا الدار الآخرة، وإنما ذلك من أعمال أبناء الدنيا الذين قصرُوا بصراً عليها ، وحجبوا عن معاملة الله عز وجل ، والدار الآخرة .

وسمعت سيدي محمد المغربي الشاذلي رضي الله عنه يقول : لا يصح للعبد الإخلاص في العمل إلا بعد زهده في نعم الدارين ، وهنا يعمل لوجه الله تعالى خالصاً ، وهناك بصطفية الله تعالى ، وبمحبه لأنه خرج عن العمل انتهى .

وبالجملة ، فالكمال من يقلب الأعمال الدنيوية عدة بالنية إلى العمل لوجه الله تعالى ، ويعطى كل ذي حق حقه على الكشف ، والشهود ، ولا يحجب بذلك عن الله تعالى كما أروضهنا في كتاب العمود والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل معرفة الله تعالى للمعرفة للمعرفة بين القوم

وهو قدر زائد على المعرفة عند علماء الكلام ، فإن المعرفة عند هؤلاء تنزل بالأدلة المتجددة لهم مع الأنات ، ولا هكذا معرفة العارفين بالله عز وجل ، فإن ما عرفوه به في دار الدنيا لا يتغير ، ولا يتبدل فحين ما عرفوه به في الدنيا هو حين ما يكون لهم في الآخرة ، فكما يكونون معه في الدنيا كذلك يكونون معه في الآخرة كل ذلك بحسب الارث لرسول الله ﷺ ، فإنه لما أسرى به ورأى من آيات ربه الآية الكبرى لم يزدد علما عما كان عليه في الأرض بل رأى حين ما كان يعرفه ، وكذلك السيد موسى عليه الصلاة والسلام قيل له كيف رأيت ربك قال : رأيت في التجلي ما كنت أراه قبل ذلك فكنت أراه ولا أعلم أنه هو ، فلما تجلى على التجلي العام علمته في كل شيء ، ومع كل شيء ، كالسلطان إذا خرج بين قومه متذكرا ، ومشى بينهم ، فقد رأوه ، وما رأوه لأنهم لم يعلموا أنه هو السلطان انتهى .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من علامة الكمال في المعرفة أنه يفهم مشكلات الكتاب والسنة ، ويحل معضلاتها ، ويفتح مغاليقها ، ولا يحتاج إلى نظر في كلام أحد من العلماء ، فمن أدهى كمال المعرفة ، وهو يحل شيئا من فروع الشريعة ، فهو مفتر كذاب في دعواه ، وربما يبدرا له آخر النهار دليلا خلاف ما كان عليه آخر أول النهار ، فيحكم على نفسه بالخطأ في الاعتقاد الأول وقد قال تعالى : (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)^(١) فلم يحكم بالبصيرة إلا لمن صح له قدم الاتباع ، وكل من تنزل بالأدلة ، فما هو على بصيرة من أمر ربه ، فإن البصيرة لأهل الله تعالى ، فالضروريات لأهل العقول فافهم ، وأكثر من ذكر الله تعالى بشروطه على يد شيخ صادق ، حتى يرق حجابك ، وتكشف لك الحجب وإلا خيف عليك أن تموت على شك في الله تعالى نسأل الله العافية والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : فرحهم بالبلاء إذا نزل بهم وحزنهم إذا نزل بالعمامة

خوفا عليهم من الوقوع في السخط على مقدورات الله عز وجل عليهم ، وإنما كانوا يفرحون بالبلاء إذا نزل عليهم مسارعة إلى ما يكون به حبة الله عز وجل لهم عملا بمحدث : (إذا أحب الله عبدا ابتلاه) ، وإن وقع أن أحدا من العارفين حزن إذا نزل عليه بلاء ، فإنما ذلك خوفا أن يقع منه ضجر أو سخط حين تتخلف عنه عناية الله عز وجل كما يقع للعمامة .

وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : ماتم ، ولي حق له قدم الولاية إلا بعد وقوع الابتلاء والامتحان .

فلا بد للولي من بلا في جسده أو في ماله أو أولاده أو أصحابه أو في مرضه فإذا صبر ورضى فيه نقله الله تعالى إلى مقام المحبوبين ورجع عن أن ينزل بهم البلاء إذ العبد ينجلي من حيث كونه محبا ، وينعم من حيث كونه محبوبا كما أنه لا بد له من التألم بالبلاء ، ثم التمتع به ليحوز الرضى كما هو شأن كل العبيد .

وقد كان من سريرة الشيخ أبي الحسن الشاذلي إلى ركبته سبعة عشر مرضا منها الفتاق ، وحصر البول ، والحصاة ، والباسور ، والناصور ، والفولنج ، وكان إذا داوى مرضا بشيء تحرك منه المرض الآخر ، واشتد ألمه ، وكان يقول : الحمد لله على ذلك فإن فيه هدم الغفلة عن الله عز وجل وبيان هجر العبد ، وافتقاره إلى ربه ، ولولا المرض لمكننا كالبهايم الساذجة .

وقد قال عليه السلام يوما لأصحابه : (أيكم يحب أن لا يمرض .

فقالوا : يا رسول الله كلنا نحب ذلك .

فقال عليه السلام : أتعجبون أن تكونوا كالخراتهي .

وكان الشيخ عبد القادر الجيلي رضى الله عنه يقول : ما من ولى حق له قدم الولاية
المحمدية إلا بعد أن ابتلاه الله فى جسمه وضنك فى معيشته ثم بأن يرضوا وبالبلاء وضيق
المعيشة إلا حبا لله عز وجل ، ومتى لم يزدد محبة بذلك ، فقد عزل عن الولاية ، فاعملوا
ذلك أيها الإخوان واعملوا على تحصيله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إرشاد الناس إلى طرق النصبر والصبر

فإن لم يصبروا ولم يصبروا ، وأرادوا دفع البلاء عنهم فاليأمرهم بأن يرسلوا مناديا ينادى في الناس : معاشر الناس إن أردتم أن لا ينزل عليكم بلا ، فتوبوا إلى الله تعالى من كل معصية ظاهرة ، أو باطنة ، والبلاء يرتفع عنكم لأسباب البلاء بالنزلة على أهل النصف الثاني من القرن العاشر ، فإنها تتوافق جدا على الناس ، ولا يهتدى عليهم لسد الباب الذي وصل منه تلك البلاء .

وقد كان سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يقول : من أراد رفع البلاء عن أهل زمانه ، فليناد فيهم أن توبوا إلى الله تعالى ، ولا تتعدوا حدوده فإنهم إذا فعلوا ذلك ارتفع البلاء ضرورة قال الله تعالى : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)^(١) وأما طلب رفع البلاء مع تهادي الخلق في الذنوب والخطايا فإن ذلك لا يحدث رفعه على يد ولي ، ولو كان القطب نفسه وكان ذلك كإتيان الأمور من غير أبوابها انتهى .

فإن من يذنب ومع ذلك يطلب رفع البلاء عنه كن ذرع شوكة ، يريد أن يشره رطباً ، أو كن يزرع الخنقال ، ويريد أن يشره مسلاً ، وفي ذلك طلب قلب الحكمة الإلهية أيضاً وهو محال .

وسمعت سيدي عبد القادر المشطوطي رحمه الله يقول : كيف يقدر ولي في هذا الزمان على رفع البلاء عن الناس ، وهو يرى كثرة المنكرات ، وتعدى حدود الله تعالى في زمان ، صار فيه الإسلام غريباً ، وذهبت فيه الأخيار ، وغابت فيه الأشرار ، وصار المؤمن فيه كائنة الضعيفه ، وقد تقدم عصر النبوة ، واقتربت الساعة ، وقد قال أرباب البصائر : لا ينفق عصر إلا وينتفي إيمان أهل العصر الذي بعده ، ويقيمهم وورعهم ، وزهدهم وخوفهم من الله تعالى وخشيتهم منه بحكم الوعد السابق من رسول الله ﷺ في نحو قوله : (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) فكيف يصح من ولي

معارضة الشارع باطنا ، فيما أخبر ، وإنما ينهى الناس بالأسان قياما بحق الشريعة مع حله بالأمر عليه .

وسمعت سيدي هليا الخواص رحمة الله عليه يقول : ما ضل من ضل من أهل زماننا إلا بدعواهم العلم ، والصالح بغير حق ، فعاقبهم الله تعالى بالجهل ، وحرمان الوصول إلى شيء من مقامات الصادقين حقوبه لهم ، وصارت أنفعا لهم تكذب دهاويهم ، فيتكلم أحدهم في الورع ، وهو يأكل الحرام ، ويتكلم في الزهد ، وهو يجمع الحطام ، ويتكلم في قيام الليل ، وهو ينام ، ولو أنه عكس الأمر ، ولم يدع شيئا من المقامات ، لربما ستره الله تعالى ، ولم ينكشف هيبة للناس .

وسمعت مرة أخرى يقول : من علامة الولي كثرة ذكر الله تعالى بالفداة والعشى وخفة مؤنته على الناس ، وشهود ثقل مؤنته هو عليهم ، وحفظه حدود الله تعالى ، والإخلاص في العمل ، وعدم رؤيته به من الناس أو شهود أن له مقاما عند الله العظيم لعلمه بأن الله تعالى غنى عن عباده الأنبياء ، والصالحين المخلصين ، فكيف لا يكون غنيا من عباده المخلصين انتهى .

وسمعت أبطاً يقول لا يصدنكم من الولي إنكار بعض الناس عليه فذلك حال الأوليا في كل زمان فبيرة من من الحق تعالى عليهم أن يلحقهم عجب من تواضع الناس لهم ، واعتقادهم ، فيكون الإنكار عليهم كمدح في حقهم وما بعث الله تعالى نبيا إلا وجعل له هدوا من الجن والإنس يبعث أتباعه عنه ويكرههم فيه ، ويصد الناس عنه ^(١) .

(١) وقد حدث ذلك لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وسلم فكان من شبه المشركين عليه ﷺ ما أخبر به الله سبحانه وتعالى بقوله : (وإذا رأوك إن يتخفونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ، إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) تبين لنا هذه الآية مدى غرور المشركين واستكبارهم ، فإن جميع الحجاج التي ذكروها من قبل سقطت وتهاقت ، ولكنهم أصروا على طغيانهم ، فاستعملوا طريقة الاستهزاء بشخص الرسول

• • • • •

ﷺ وهذه الطريقة في الجدل لا تستعمل إلا بعد فقدان الحجة ، وضيف المنطق ، وهذا يدل على مقدار المناهات التي وقع فيها المشركون فهم يعلمون أن رسول الله ﷺ كان أحسهم خلقاً وخلقاً ، وأوسطهم نسباً ، ويعلمون مقدار عناية الله سبحانه وتعالى به ، منذ مولده ، حتى بدء دعوته ، ومظاهر الحموصية التي أحاطت به في تلك الفترة ، بل إن أكبر المظاهر التي تدل على بطلان منطقهم قولهم : (إن كاد ايضاً عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) فهذا القول يدل على أنهم كانوا يستقصدون أن يحاجوا به سيدنا رسول الله ﷺ هو الحق ، الذي لا مراد فيه وأن مآم عليه هو الباطل ، وأنهم ما كان لهم قبل بمناقشة الجميع لقوة ، التي أتى بها الإسلام على لسان رسوله ﷺ ، ونشارك في ذلك ذلك رأى الفخر الرازي حيث يقول :

١٣ سموا ذلك بضلالاً ، وذلك يدل على أنهم كانوا مبائعين في تعظيم آلهم ، وفي استعظام ضيقه ﷺ في صرفهم عنه ، وذلك يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن هذا هو الحق ، فمن هذا الوجه يطل قول أصحاب المذاهب ، في أنه لا يكفر . لا من يعرف الدلائل لأنهم جهلوه ثم نسبهم الله تعالى إلى الكفر والضلال ، وقولهم لولا أن صبرنا عليها : يدل أيضاً على ذلك ، وبطل هذا القول منهم على جد رسول الله ﷺ ، واجتهاده في صرفهم عن عبادة الأوثان ولولا ذلك لما قالوا : (إن كاد ايضاً عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) وهكذا كان عليه السلام ، فإنه في أول الأمر بالغ في إيراد الدلائل ، والجواب عن الشبهات ، ونحمل ما كانوا يفعلونه : من أنواع السفاهة ، وسوء الأدب

والثالث : أن هذا يدل على اعتراف القوم بأنهم لم يمتنعوا البتة على دلائل نبوة الرسول ﷺ ، وما عارضوها إلا بمحض الجحود والتقليد .

الرابع : الآية تدل على أن القوم صاروا في ظهور حجته عليه السلام ، كالجانين ، لأنهم استهزأوا به أولاً ، ثم وصفوه بأنه كاد ايضاً عن آلهتنا ، لولا أن قابلهنا بالجحود والإصرار ، فهذا الكلام الأخير يدل على أن القوم سلموا لقوة الحجة ، وكل الفعل اهـ . وبما أن القوم وصل بهم الأمر إلى الاستهزاء بشخص الرسول ﷺ فلا ينفع معهم إلا الرد بأسلوب معاملة الأسافل من لباس وهو أسلوب القوة ، لقد حاول الرسول ﷺ معهم (٢٨ — الاحلاق المشربة — مان)

وكذلك ما أظهر الله وليا بحجته في عمر من الأعمار إلا وجعل له منافقا يكذبه
فيما يدعيه ويؤذبه بغير حق^(١)

بقوة العقل، وبإتقان الدليل فلم يجدى معهم ، ذلك شيئا فكان الرد القرآني في هذا المجال
هو أبلغ رد وأحسنه : (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ، أرأيت من
يتخذ إلامه هواه أفأنت تسكون عليه وكيلا) .

(١) ولعل من الأمثلة البارزة على ذلك ما حدث للإمام أبي الحسن الشاذلي يقول
الدكتور عبدالحليم محمود في كتابه المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي :
« لقد أسر أبو الحسن بالدعوة وبمجرد أن دخل تونس التفت حوله مباشرة جماعة من الفضلاء
فيهم الشيخ أبو الحسن علي ابن مخلوف الصقلي ، وأبو عبدالله الصابوني ، وأبو محمد عبد العزيز
الزيتوني ، وأبو عبدالله البيجاني الخياط ، وأبو عبدالله الجارحي كلهم أصحاب كرامات
على حد تعبير صاحب درة الأسرار . وكان بينهم الشيخ الصالح أبو العزائم ماضى تلميذ
للشيخ وخادمه .

ثم كثروا يريدون ، وأخذوا يزددون يوما عن يوم « إلى أن اجتمع عليه خلق كثير » .
ثم بدأت الغيرة تدب في قلب ابن البراء ، قاضى لقضاة ، وكلما ازداد إقبال الناس على
أبي الحسن كلما اشتدت الغيرة في قلب هذا الرجل إلى أن أصبحت تنهشه نهشا ، فضعف
أمامها ، وأعلن الحرب على أبي الحسن .

كان ابن البراء نقيها وكان إذ ذاك « قاضى الجماعة » وكان يعد نفسه الزعيم غير منازع ،
وكان منصبه الرسمي يعلن أنه الزعيم الديني الأكبر ، وكان يتمتع بهذه الزمامة التي أتته عن
طريق الدين ، ولما كانت في حقيقة الأمر زمامة أشبه بالدينية منها بالدينية وكان ابن
البراء يتخيل أو يتوهم أن له شعبية مع ماله من منصب رسمي ، فلما رأى النفاق الناس
بأبي الحسن صور له خياله أن للشاذلي انزع منه الزمامة الشعبية ، ولما كان الشاذلي من
العلماء في الفقه والتفسير والحديث ، ولما كان يفتي ويشرح ويفسر فقد خيل إلى ابن البراء
أن ليس هناك ما يمنع من ناحية الشخصية أو من ناحية العلم من أن يتولى أبو الحسن منصب
« قاضى الجماعة » . وما المانع ؟ وما الذي يحول دون ذلك !

وكذلك الحكم في آحاد المؤمنين المدينين لأبد ، لأحدهم من مؤمن آخر يحسده .
وينقصه بين الناس ابتلاء له كما سبق في علم الله تعالى .
فأعلموا ذلك والحمد لله رب العالمين .

وأخذ الوسواس مأخذه ، وسولت النفس الأماراة بالسوء ماسولت ، فأعلن ابن البراء الحرب على أبي الحسن .

ولم تتخذ الحرب سبيلا شريفا فلان ابن البراء حين رأى أنه لا يمكنه للقضاء على أبي الحسن علميا أخذ يدس له عند السلطان ، لقد صور للسلطان أنه في طريقه إلى أن يصبح زعيما شعبيا خطيرا ، والأمر ليس إلا أمر زمن فكلما مر الزمن ازداد تمكنا وشعبية ، « إنه يدعى للشرف ، وقد اجتمع عليه خلق كثير ، ويدعى أنه الفاطمي ، ويشوش عليك بلادك » .

ومضى هذا أن الملك في خطر .

وهذه الفكرة : « الملك في خطر » تفعل فعل السحر في نفوس الملوك ، إنها تقيمهم وتقدمهم وتجمهم لا يتورعون عن أي عمل .
يبد أن أبا زكريا ، وهو السلطان إذ ذاك ، يرد أن يتمجل وأراد أن يرى قبل أن يحكم وينفذ .

يقول صاحب درة الأسرار : وكان إذ ذاك السلطان أبو زكريا رحمه الله ، فجمع ابن البراء جماعة من الفقهاء في القصبية ، وجلس السلطان خلف حجاب ، وحضر الشيخ وضى الله عنه .

وسأله عن نسبة مرارا ، والشيخ يجيبهم عليه ، والسلطان يسمع ، وتحدثوا معه في كل العلوم ، فأفرض عليهم بعلوم أسكتهم بها ، وما استطاعوا أن يجاوبوه عليها من العلوم الموهوبة ، والشيخ يتكلم معهم في العلوم المكتسبة ويشاركهم فيها .

لقد سمع السلطان الشيخ يتكلم ، لقد سمع هذا النوع من الحديث الذي يقول فيه — فيما بعد — إمام المسلمين في مصر العزيز بن عبد السلام « اسموا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله » .

ورأى السلطان شيخا مهيبا ، وإن كان مازال في سن الفتوة ، ورأى السلطان نضجا في العلم ، ونضجا في التفكير ، وروحانية في الحديث ، وشفافية في البصيرة . .

فقال لابن البراء :

هذا الرجل من أكابر الأولياء ، ومالك به طاقة ولوح ابن البراء مرة أخرى بالملك ، وأنه في خطر ، وأنه يعاديه لحبه للملك وللإخلاص له ولحرصه على بقاء العرش ، وقال لاساطان : والله لأن خرج الشيخ في هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ، ويخرجونك من بين أظهرهم : فإنهم مجتمعون علي بابك .

وأثر تلويح ابن البراء ، أو تصريحه ، تأثيره في نفس الساطان ، فأذن للفقهاء بالخروج ، وأمر الشيخ بالجلوس والبقاء ،

وجلس للشيخ هادئاً ، ساكن النفس ، مطمئن القلب وطلب ماء وسجادة فتوضأ وأخذ الصلاة .

وهم أن يدعو على السلطان فتودى في سره :

إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق : وبدل الدماء المحمودة الله أن يقول : « يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يزوده حفظها وهو الدلي العظيم ، أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من هم الرزق ، وخوف الحاق : وأقرب مني بقدرتك قرباً تمحض به عني كل حجاب محضته عن إبراهيم خليلك فلم يخرج لجبريل رسوأك ، ولا أسأله منك وحجبتك بذلك من نار عدوك ، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن متعة الأعباء ، كلا ، إني أسألك أن تغني بقريك مني حتى لا أرى ولا أحس يقرب شيء ولا يبعده عن ، لك على كل شيء قدير ... » اهـ

هذه الكلمات الإلهامية دخلت ، فيما بعد ، في بعض أحزابه . ها هو الشيخ يصلي ويدعو ، ويلجأ إلى مولاه طالباً الرضا والقرب وأن يغنيه بالقرب في القرب ... وبينما هو مستغرق في دعائه وتبذله إذا بالمقادير ترتب الأمر على وضع غير متوقع .

هل في العالم مصادقات ؟

أيحدث في الكون أمر من الأمور اتفاناً واعتباطاً ؟ . لقد كان عند السلطان في ذلك الحين جارية عزيزة عليه أحبها فلكت عليه جميع أقطاره ، وفي لحظات مرت سراحاً أصابها وجع ، فئات ، واستغاثت ولم تمهلها الأقدار ، فئات في حينها ، وما من شك في أن

• • • • •

أجلها كان قد انتهى وأن هذه اللحظة كانت مقدره في علم الله من الأزل ؛ نعم لاريب في ذلك واسكنه لاريب أيضاً في أن للمقادير رتبته ساعة أن منع الشيخ من الخروج ، فجاء موتها وكأنه عقاب للسلطان على منعه الشيخ من الخروج .

أهي كرامة ؟ وماذا تكون للكرامة غير ترتيب مقادير ، أو تصرف مقادير ، أو تدبير مقادير ؟

« إننا كل شيء خلقناه بقدر » أترى المصادفة دخل مع هذه الآية العامة .

لقد جاء أجل الجارية ، فماتت في حينها ، وأصيب من أجلها ، ففسلت في بيت سكناء ، واشتغلوا بنسائها وتكفيها ؟ وأخرجوها للصلاة .

واغفلوا بجرأ في البيت

لقد كان تدبيراً منذ الأزل أيضاً ، حدث في اللحظة التي قدرتها العناية الإلهية ، وكانت هذه اللحظة هي التي يجلس فيها الشيخ مصلياً مبتلياً وكأه ، بحسب الظاهر في سجن ولي كان في قصر الملك

يقول صاحب درة الأسرار :

« وأغفلوا بجرأ في البيت : فالتهبت النار ، فلم يشعروا حتى احترق كل ما في البيت من الفرش والستائر وغير ذلك من القضاير .

فلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولي » اهـ

وكان السلطان أخ قاتل صالح متدين يحب أولياء الله ويسمى إليهم ، وكان يحب الشيخ ، ويترك به ، ويؤثره مسترشداً ، ومستنصحا ، وكان في هذا اليوم في خارج المدينة : يتفقد بسانينه ، ويتنزه فيها ، فبلغه خبر ماجرى في قصر السلطان من منازعات ومن حوادث ، فحضر مسرعا وألقى بأخيه وقال له :

« ما هذا الأمر الذي أوقك فيه ابن لبراء ، أوقك والله في الهلاك أنت وكل

من معك »

ثم دخل على الشيخ وأخذ يمتدح إليه ويترضاه : فأعلن للشيخ موقفه من مثل هذه

• • • • •

الأمر ، وبين لأخي السلطان أن يكون ومافيه ومن فيه في قبضة الله الكبير المتعال
وقال له :

« والله ما يملك أخوك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فكيف
يملكها لغيره ؟ كان ذلك في الكتاب مسطورا » .

وخرج الشيخ إلى داره في اليوم نفسه ، واستمر كماداته في الإرشاد والنصح والتدريس .
واسكن ابن البراء لم يكف عن الإيذاء فكان الشيخ يقاومه دائما بما حيله الله عليه
من النساخ .

وكان يلقي عليه السلام إذا صادفه في مكان ما .

فليرد ابن البراء عليه السلام .

وعزم الشيخ على الحج فامر أصحابه بالنقلة إلى المشرق قبل موعد الحج بزمان طويل .
وذلك ليكتسب بصر فترة من الزمن قبل الذهاب إلى الديار المقدسة .

وبدء الركب يتحرك ، ونهضت تونس مودعة ، وكانت حركة ، وكان ضجيجاً ، وعلمت
تونس كلها أن أبا الحسن راحل ، وعلم السلطان فيمن علم ، وظن أن أبا الحسن يريد
الخروج نهائياً من تونس فوقع الرعب في قلبه وأسرع بتوجيه وفد يرجوه في العودة ،
فقال الشيخ :

« ما خرجت إلا بنية الحج إن شاء الله تعالى ، واسكن إذا قضى الله حاجتي أعود إلى شاء الله » .
يقول صاحب درة الأسرار :

« فلما توجهنا إلى المشرق ، ودخلنا الإسكندرية ، عمل ابن البراء عقداً بالشهادة أن
هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا وكذلك بلادكم » .
فأمر السلطان أن يقتل بالإسكندرية .
فأقربها أياما .

وكان السلطان رمى رمية على أشياخ في البلاد يقال لهم القبائل : فلما سمعوا بالشيخ
أتوا إليه يطلبونه في الدعاء فقال لهم :

غداً أن شاء الله نسافر إلى القاهرة ومتحدث مع السلطان فيكم .

.

قال : فسافرنا ، وخرجنا من باب السدرة والجنادة فيه والولى ، ولا يدخل أحد ولا يخرج حتى يفنش ، فاكلنا أحد ولا علم بنا .

فلما وصلنا القاهرة أتينا القلعة فاستأذن على السلطان

قال كيف وقد أمرنا أن يعقل بالإسكندرية :

فأدخل على السلطان والقضاة والأمراء ، فجلس معهم ونحن ننظر إليه .

قال له الملك :

ما تقول أيها الشيخ :

فقال له :

جئت أشفع إليك فى القبائل .

فقال له :

أشفع فى نفسك ، هذا عقد بالشهادة فىك ، وجهه ابن البراء من تونس بعلامته فيه ثم
فاوله أيامه .

فقال له الشيخ :

أنا وأنت والقبائل فى قبضة الله .

وقام الشيخ .

فلما شئ فدر العشرين خطوة حركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق ، فبادروا إلى
الشيخ وجعلوا يقبلون يديه ويرغبونه فى الرجوع إليه ، قال : ترجع إليه ، وحركه يده
فتحرك ، وزل عن صريه ، يستحله ويرغب منه فى الدعاء .

ثم كتب إلى والى بالإسكندرية أن يرفع الطلب عن القبائل ويرد جميع ما أخذ منهم
وأقام عنده فى القلعة أياما .

واعتزت بنا الديار المصرية ، إلى أن طلعنا إلى الحج ورجعنا إلى مدينة تونس .

ومن أخلاقهم : تجوهم أوائل دخولهم الطريق مع وجود الطعام بمجاعة أنفسهم
ثم جوهم حال كمالهم إذا فقدوا الطعام ، فلا يجوعون مع وجود الطعام أبدا لأهم
مطالبون بإعطاء كل ذى حق حقه من جوارحهم وبزأخذون على ظلمهم أنفسهم
في مرضاة الله تعالى عكس ما كانوا عليه في بداية أمرهم .

ومن هنا قالوا : جوع الأكار اضطرار لا اختيار بخلافهم في بدايتهم يجوعون اختيارا
مع وجود الطعام تعذيبا ، لأنفسهم ، تنقاد لهم إذا دعوها ، لمرضاة الله عز وجل لأنها
قبل الرياضة تشبه البداية الحرون أو كالمجل الذي يملونه الطحين في الطاحون ، فترام
يجوعونه ، ويغمون عينيه بخرقه ، ويدورونه بالضرب في الطاحون أو غيرها على
الفاغ ، فلا يزال كذلك ، حتى يظهر لهم منه كمال الانقياد ، فهناك يطعمونه ، وبه يكون
الغنا عن عليه ، ويدورونه على الطحين ، ثم يصبرون عليه مدة ، وهو يدس القمح ،
وينثره بيننا ، وشمالا ، حتى يطمئن .

وقد قالوا في المثل السائر إن لا إخلاص : له : يا هذا إن حملك كطحين المعجول
لا بركة ولا زكاة ، ولا نعمة انتهى .

وقد ورد أن الله تعالى لما خلق النفس أوقفها بين يديه وقال لها : من أنا ؟ فقالت
له : من أنا ؟ فغمسها في بحر الجوع خمسة آلاف سنة ، ثم قال لها : من أنا ؟ فبالت :
أنت الله : الذى لا إله إلا هو .

وفي بعض الكتب : أبى الله عز وجل أن يعطى الفهم في كتابه لمن شبع من الطعام
أو أعطى النفس حظا انتهى .

فليس للنفس في بداية أمرها شيء أمرع لانقيادها من الجوع أبدا لأنه يذل الملوك
فكيف بالنفس وهن طريقه أهرف مرانب الكل من المناقصين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : علمهم على مناجاة ربهم في كل وقت وحين

قاله عز وجل أقرب إلى الشخص من جاره وأخيه وصديقه فإنه أقرب إلينا من
جبل الوريد ، وحيلته يعطى الحق تعالى والخلق كلهم حقهم من الحياء ، والأدب ،
والإيثار ، والصدق ، والتواضع ، وغير ذلك هكس من غلظ حجابيه ، وكثف طبعه ،
غتراه بقل أدبه وحياءه مع الحق تعالى ومع الخلق وبؤثر حفظ نفسه ، هل جناب الحق تعالى ،
وهي أخيه المسلم ، ويكذب عليه ويراعى لخلق خلة من الله عز وجل ، ولو أنه عمل
على رقة الحجاب لانقلبته صفة له السيئة حسنة ، وكان يبعد الحق تعالى أقرب إليه من
الخلق ، فكان براهه له ، ويناب على ذلك ، لأنه امتثل أمر الشارع في حديث
(أروا الله من أنفسكم خيرا) انتهى .

وصاحب هذا المشهد يناجي الحق تعالى في هياكل الخلق من حيث أن مره تعالى
هو المائهم بهم ، ولولا إمداده لهم بالقوة والبقاء لاضمه حلوا في لمح البصر .

وقد كان سهل بن عبد الله التستري رحمه الله يقول : لي منذ ثلاثين سنة أكرم الله
تعالى ، والناس يظنون أنني أكرمهم .

فاعمل يا أخى بهذا الخلق تفرج بخير الدارين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يأكلوا من هدايا الفلاحين الزارعين في طين
نحت نظرهم إذا قدموا من سفر الحجاز مثلا

لأن هدايا الفلاحين المذكورين من هدايا العمال ، فهي حرام ، ولو طابت بها نفس
المهدي بدليل أن أحدهم لو هزل من النظر على ذلك الوقف لم يهد أحد من أولئك
الفلاحين إليه شيئا ، (وقد قال بعض العمال : يا رسول الله : إن بعض الناس يهد إلينا
شيئا بطيبة نفس أفنا كل منه فقال : لا فقال : يا رسول الله : إن نفسه بذلك طيبة فقال :
إن ذلك خلول ، فردد عليه الكلام ثالثا فقال ﷺ : هلا جلس أحدكم في بيته يلاعها
لينظر من يهدي إليه ، فرجع ذلك الصحابي ، وقال : استغفر لي يا رسول الله ، فقال
غفر الله لك) انتهى .

وقد أوضحنا الكلام على مثل ذلك في خلق شياخة الأوقاف ، فإن قال لنا ناظر :
إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية قلنا له : كان يقبلها ، وكان يكافي هليها فكافه
يا أخي على الهدية ، ثم خذها إن شئت .

فخافظ يا أخي على هذا الخلق ، فإنه خلق غريب لا أظن أحدا تخلق به في هذا
الزمان إلا الكمل من الرجال والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل الصفا وزوال الجفا حتى لا يصير
أحدهم يكره أحدا من خلق الله تعالى يحفظ نفس

بل يذهب الحقد والشحناء من العبد جملة واحدة ما هذا الجزء البشري ، وهناك
يكتفى أحدهم بالاجتماع القلبي بأخيه ، وربما لم يجتمع أحدهم بأخيه بالجسم السنة وأكثره
وربما مرق تحت زاويته ، ولا يطالع له ، فيظن بعضهم أن بينهما عداوة ، فيتم في حقهما ،
والحال أنهما متحابان وروح أحدهما ملتفة بالأخرى ، وربما زار أحدهما أخاه في الأصحار ،
وربما اكتفى أحدهم في زيارة أخيه كلما اجتمع هو ، وإياه في حضرة الله تعالى في الصلوات
الحس ، وغيرها فإياك والمبادرة إلى الطمن في فقراء مصرك إذا لم تر أحدهم يجتمع
بالآخر ظاهرا للباس فتقم في الانتم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يفرحوا إذا ولد لهم مولود من حيث كونه
رحمه من الله تعالى عليهم

لكن يلغى أن كما يفرحوا به كذلك يحزنوا من حيث كونه فتنة ، ويكون حزنهم
أشد وذلك لأن مصيبت الولد أكثر من طاعته لله تعالى عادة ، وقد حذرنا الله تعالى
من فتنة الأولاد في عدة آيات ، وكذلك الشارع ﷺ في عدة أحاديث نحو حديث
(الولد مبخلة مجبنة) .

ومن فتنته أيضاً الميل إليه بالطبع دون تحبيب الله تعالى له فيه ، وما يحزن الوالد
للعاقلة أيضاً وجوب مراعاة الولد، ليشي على الصراط المستقيم ، ثم لأخذ بيده في أهوال
يوم القيامة ، حتى يجاوز الصراط كما يلاحظ الشيخ المريد ، وكذلك إلى دخول الجنة
بل الولد بذلك أولى ، كما يلاحظ الأمير ، والقاضي نائيه إذا ولّاه نائباً عنه ، حتى
لا يزبغ من الشريعة ، فيلاحظ في أهوال يوم القيامة إلى أن يجاوز الصراط .

وذلك لأن جميع ما يقع من الفرع أصله من الأصل ، فهو ممتد منه ، وممدود من
جذلة كسبه ، حتى كان بعضهم يقول : الولد حسنة من حسنات والده ، أو سيئة من
سيئاته انتهى .

فن فهم ما ذكرناه هرب من الأولاد ، ومن تولية أحد من النواب ومن أخذ العهد
على مريد ، وحزن ، لذلك لما في ذلك من شدة النعب ، ومن فعل ما ذكرناه ، وقل :
ليس على من وزرم شيء خرج عن طريق أهل المرات ، وقد جاءني قاضي يطلب
ثيابه عند قاضي الخانقاه فأبيت أن أكتب القاضي عليه ، فساق على وجوه الناس ،
فكثرت القاضى كتاباً من جملته إن كان مولانا يعرف من نفسه القدرة يأخذ بيده
في الدنيا والآخرة إذا زاغ عن الشريعة أو تحمل عنه أوزاره ، والا فالأمر راجع
إلى الله ، ثم إلى مولانا ، وقلت له : لا تفتح الكتاب ، فخالف ، وقرأ ما فيه ، وجاء به

لى بعض فقراء ائزاريه ، وقال له : قل لعبد الوهاب : ما لفلان خلاص بهذا الكتاب
انتمى ، وامبرى أن فيه خلاصه ، والكن لا يشمر .

فهذا كان شأن الأواباء ، والأمرا ، والقضاة ، القدين مضوا كانوا لا يتولون على
أحد أو يولونه إلا إن رأوا طريق الخلاص لهم ، وله فى ذلك رضى الله عنهم أجمعين
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام الحضور مع الله تعالى في كل عبادة

حتى لا يكون عند أحد تم ترجيح الاشتغال بعبادة دون أخرى بل كل عبادة يفعلونها يدخلون بها حضرة الله تعالى ، ومن يتحقق بهذا المقام تساوى عنده الاشتغال بالعلم والذكر ، وتلاوة القرآن ، والاشتغال بقراءة النحو والمنطق على حد سواء ، لأن صاحب هذا المقام يشهد الحق تعالى غير متحيز في جهة ذاتا ، وصفة ، ويعلم أنه بين يدي الله تعالى في كل مكان ، وعند كل فعل ، أو قول ، أو خاطر بخلاف من لم يتحقق بهذا المقام ، فإنه يلحقه ضيق ، وحصر في قراءة علم النحو مثلا لا سيما إن كان ذلك هقيب بمجلس ذكر حصل فيه حضور ، وسكر ، فليسع صاحب هذا الحال وجوبا في الترقى إلى التحقق بالمقام ، حتى يصير يحضر مع الله تعالى في كل شيء قرأه من علوم الشريعة ، وآلاتها وتوابعها ، فإنها كلها مطلوبة شرعا .

وقد كان سيدي هبة الغادر الجليل رضى الله تعالى عنه يدرس في علوم الشريعة من فقه ، وحديث ، وأصول ، ونحو ، ومعاني ، والقراءات السبع ، وهو قطب الوجود إلى يوم وفاته رضى الله تعالى عنه ، وتبعه على ذلك السكك من أهل الطريق .

فإن من شرط الشيخ أن يكفى تلامذته في كل علم قرأوا عليه فيه ولو صاروا من مشايخ الإسلام ، وأما من يقول لمريده : إقرأ على غيري مالى فراغ إلى الاشتغال بما تقرأه على ، فهو ناقص لا يصلح لتعبد .

فأعلم ذلك واصل على تحصيله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يتوقفوا أن يجيبوا أحدا إلى خطبه كريمتهم إلا بعد أن
أطلعهم الله أن الله تعالى قد قسم تزويجها ذلك الخاطب

فإن لم يطلعهم الله تعالى على ذلك توقفوا في إجابتهم للخطب ، حتى تحتاج كريمتهم
إلى التزويج بالطريق الشرعي كل ذلك خوفا منهم أن يخطبها أحد ، ولم تقسم له ،
ثم يخطبها آخر ، فتقسم له ، فتحكم الشريعة بالإثم على من خطب ثانيا ، وعلى من
زوج بعد خطبة الأول .

وهذا الأمر يقع كثيرا من بعض الناس والأخذ بالاحتياط في الدين أولى والحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة حذرهم من سحر الدنيا لقلوبهم

كما يحذرون من ضرر سحر من جربوا صحة سحره بل أشد لأن غاية سحر الساحر إن يفرق بين الإنسان ، وأشكاله ، بخلاف سحر الدنيا للقلوب ، فإنها تفرق بين العبد وبين شهود ربه .

وقد قال الفضيل بن عياض ، لسفيان الثوري : يا سفيان إياك أن تميل إلى الدنيا فإنها تميل تسحر قلوب العلماء ، وانظر يا سفيان إلى النسر عزيز في مطارده لا يصل إليه أكبر ملوك الدنيا ، فإذا أراد الله أن يذله نصب الناس له رمة في الأرض من لحم الميتة ، فانقض إليها من جو السماء ، فيصل إليه أصغر الأطفال ، ويقبض عليه ، ويلتف ريشه ، وتضمير الأطفال يلعبون به لا يقدر على الطيران إلى المحل الذي كان فيه ، ولا يقدر يمنع نفسه منهم بالعدو ، فكذلك حكم العالم إذا مال بقلبه إلى الدنيا إن في ذلك ، عبرة لأولي الأبصار .

وهذا الخلق قد صار غالب الناس لا يقدر على التخاق به ، وربما فعل الدنيا كل مرصد ، وجمع من المال ما لا حاجة له به ، ثم يبسط في مأكل وملبسه ، وإذا لامه إنسان على ذلك قال : إنما فعلت ذلك إظهاراً لنعمة الله تعالى ، ويدعي أن ذلك المال حرام من حيث النصب على الناس لأنه ، لو كان حلالاً من أصله ، فهو حرام من جهة إظهاره النسك ، والعبادة ، والزهد ، حتى أعطوه له ، ولو أنه كتم عباداته ، لربما كثر الناس لا يعطونه شيئاً من ذلك .

وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : لأن آكل الدنيا بالطبل ، والزمار أحب إلى من أن آكلها بديني ، فاهلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة تواضعهم لأقرانهم بطريقة الشرعية

فلا يزال أحدكم في التواضع لهم ، ويرفعهم إلى مقام ليس هو لهم فيقترون بذلك ويترفعون عليه ، ويضر نفسه بل يحنط في تواضعه ، غاية الاحتياط لا سيما إذا نالهم شيء من الإهجاب ، والكبر بسبب ذلك ، كما هو الغالب على بعض فقراء هذا الزمان ، فإنه بهاسك .

وقد دخلت مرة على نية زيارة شيخ منهم ، فدخل عليه أمير كان يزورني ، ويعتدني غاية الاعتقاد فقلت في نفسي : أقبل رجل هذا الشيخ ، لأقوى اعتقاد الأمير فيه ، فقبلتها فسقطت من حين ذلك الأمير من ذلك الوقت ، وانقطع من زيارتي ، وصار يرد شفاعتي ، فلا ذلك الشيخ قام مقامى في الشفاعة عنده ، ولا أنا دامت لي شفاعته ، فكان هدم تقبيلي رجله أولى ، لما ترتب على ذلك من فوات زوال تلك المظالم ، وتفريج الكرب ، ولا ينبغي لأمثالنا أن ينشبه بأرباب الأحوال الذين يقبلون نعال أقرانهم ، وحرمتهم وتعظيمهم باق في القلوب ، اضعف مثلنا من حفظ حرمتنا في القلوب إذا قبل رجل أحد من أقرانهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا كثرت نبيعات عليهم بقينا أو شكوا
في ذلك أن يتوجهوا إلى الله تعالى في تمكين أصحاب
الحقوق منهم في الدنيا يصلوا إلى نظير حقوقهم
في المال والمرض

أما المال فبالساحبة لهم أو الغضب أو السرقة ، كما هو مقرر في مسألة الظفر .
وأما العرض ، فبتسليط صاحب الحق أو غيره عليهم ، فيقطع في أعراضهم
في المجالس .

ومن علامة صدقهم أن لا يلتصق لهم أحد ، ولا يرد عن مرضهم ، وأن ينكسروا
من يرد عنهم ، لأن من رد عنهم ، كأنه يقول : دهور النبيعات عليهم من غير وفاء ،
أو من غير مقابلة إلى يوم القيامة ، حتى يصلوا إلى محل تشج فيه النفوس على والدبها ،
وولدها وتمز أصحابها ، وهذا يقع فيه بعض من لا قدم له في كمال الإيمان بيوم الحساب
وربما يفرح أحدهم بمن يرد عنه ، ويجد ذلك راحة .

وقد سمعت سيدي هلياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : كل من لم ينشرح صدره
بكلام الأهداء فيه ، ويحصل له السرور الكامل بذلك ، فهو ناقص الإيمان ،
والواجب عليه العمل على تحصيل مقام كمال الإيمان بأحوال يوم القيامة ، حتى يشاهدها
رأى حين فإن الدين كله مبني على كمال الإيمان فإن دخل إيمان العبد ضعف أن الله
دخل له الشك في أحوال يوم القيامة .

وقد كان السلف الصالح يهتمون أنفسهم في كمال إيمانهم وينفون عن أنفسهم
الإيمان الكامل لهم ، حتى كان الحسن البصري رضي الله تعالى عنه يقول : لمن قال
هذه : إن أعمال الحسن أهمل من لا يؤمن بيوم الحساب .

فقلت له : صدقت لا تكفر عن يمينك انتهى .

وأحسن ما قالوا في كمال الإيمان : أن يكون الغايب عنده ، كالشاهد على حد سواء

من غير فرق في جزاء المأمورات ، والمنهيات ، حتى لا يتخلف هن مأمور ، ولا يقيم
في محذور إلا من حيث عدم القسمة ، فهو يود أن ذلك يقسم له ، حتى يفعله ، ومثل
هذا يرجي بخلاف من ترك ذلك لعدم الداعية الإيمانية .

ومممت سيدي محمد المنير رحمه الله يقول : من تهاون بهم مقدار لبننة واحدة من
بناء إيمانه تبعها لبننة بعد لبننة ، حتى يتهدم إيمانه كله ، ولو على طول .

فاهدوا ذلك أيها الإخوان ، واصبروا على من يؤذيك إن لم تفسر حوا ذلك ،
ولا تقابلوه قط بنظير فعله ، تصبروا مثله في البذاءة ، والفحش ، فإن من يؤذيك
لا يخلوا إما أن يكون له حق عليكم ، فيستوفيه منكم ، أو لا حق له ، فيسكفر عنكم
من سيئاتكم ، ويعطيكم حسناته يوم القيامة ، وما تسكدر من كلام قيل فيه إلا جاهل
أحق قليل الايمان بيوم الجزاء ، فأياكم ثم إياكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا طلب أحد من العلماء أن ينظر في رسائلهم أن لا يجيبوه
إلى ذلك حتى يتوجهوا إلى الله تعالى بأن يزيل ما في قلب
ذلك العالم من الحسد والكبر والدهاوى والمعجب

فإن من أعطى فقيها من أقرانه شيئاً من كلام القوم عرضة للمقت إلا أن يشق
بريضة نفسه بالمجاهدة أو بالفطرة ، فإن من لازم أصحاب الرهونات عدم الانتفاع
بكلام أحد من أهل الطريق لما عندهم من الكبر ، ومن شك من الفقراء في ذلك ،
فليأمر الفقيه الذى طلب أن يطالع في رسالته مثلاً أن يتصدق بعمامته ، أو ينزل لفقير
هن وظيفته فإن أجابه بالشرح صدر إلى ذلك ، فهو يمتنع بكلامه .

فإن آداب الفقراء كلها ترجع إلى الزهد في الدنيا ، ومخالفة هوى النفوس ، فاعلموا
ذلك أيها الاخوان ، ولا تعطوا رسالة شيخكم بعد موته لأحد من أصحاب الدهاوى
إلا بعد الإمتحان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على زوال الظن من قلب أحدهم وذلك إذا لاحظ الشرفية فإن مذهب أهل السنة والجماعة أن أدنى المؤمنين من خلط في أعماله فعمل صالحاً تارة وعمل سوءاً تارة أخرى .

وقد رأيت في كلام بعض العلماء أن مذهب أهل السنة والجماعة أن من يجتمع فيه الخير والشر في رقت واحد ، فيكون وايا الله تعالى من وجه كما أنه هدو لله تعالى من وجه آخر .

قال : وهذا هو الحق الواضح الذي شواهد كثيرة من الكتاب والسنة بخلاف من قال بالإحباط ، وكفر المؤمنين بالمعاصي ، والدنوب كما فعلت الخوارج ، وغيرهم من أهل الأهواء .

وسمعت سيدي هلياً الخواص رحمه الله يقول : الانسان جامع لصفات الملائكة ، وصفات الشياطين ، وصفات البهائم ، وصفات الجمادات ، فإذا كان في أعماله خالصة ، فهو في حضرة الملائكة وإذا كان في أعماله طالحة فهو في حضرة الشياطين ، وإذا كان خافلاً في أعمال الدنيا ، فهو في حضرة البهائم وإذا كان فارغاً من أعمال الدارين ، فهو في حضرة الجمادات انتهى .

فأعلم ذلك يا أخي واعمل على تحصيل أعمال الملائكة فقط ، أو صفة الجمادات فقط من حيث ترك التدبير مع الله تعالى ، والتسليم له والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام الصبر والتقوى معا

ولا يقتنعون بمحصل أحدهما دون الآخر ، وذلك لأن الله تعالى جمعهما في القرآن في آيات كثيرة نحو قوله . (بلى إن تصبروا وتتقوا ^(١)) (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) ^(٢) (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من هزم الأمور) وقال السيد يوسف عليه الصلاة والسلام (إله من يتق ويصبر ^(٣)) . . الآية .

فالتقوى والصبر ملاك الأمر كله لأن الصابر إذا لم يلزم طريق التقوى ، فقد يكون حاله مثل حال كثير من جهال أهل الجبال والقرى الذين يصبرون على المصائب والمعوقات ، ويسلخ الوالى جلد أحدهم في غير طاعة الله تعالى ، فلا يقول أه اظهاراً ، لشجاعة والتجلى ، والتفاخر لا رضى بقضاء الله تعالى ، ونظير هؤلاء في الصبر المذكور الرهبان ، وعباد أهل الملل كالخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدهم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، وقراته مع قراتهم وأنهم يتلون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم يرقون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم ، فاقتلهم ، فإن في قتلهم أجراً عند الله تعالى لمن قتلهم يوم القيامة ثلث أدركتهم لأقتلهم قتل داد ، وعمود ، تقتلهم الامام علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أربعة آلاف في غداة واحدة .

فعلم أن الصبر إذا وجد بلا تقوى كان حال صاحبه كحال هؤلاء الخوارج ، والرهبان ، وأما التقوى بلا صبر ، فتوجد كثيراً في ضعاف الناس ، كالذى له صبر على العلم ، وليس له صبر على العمل به مع أنه لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر ، فاعلم يا أخى ذلك واصل على تحصيله والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة آل عمران آية : ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٠ .

(٣) سورة يوسف آية : ٩٠ .

ومن أخلاقهم : شدة التباعد عن الوقوع في مظالم العباد مطلقا

فإن للمظالم ثلاثة دواوين :

ديوان لا يغفره الله تعالى ، وهو الشرك ، ثم هو قد يرجع إلى ظلم النفس التي هي من جملة العباد

وديوان لا يتركه الله تعالى ، وهو ، مظالم العباد من مال ، وهرض .

وديوان لا يعبأ الحق به شيئا وهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب المعاصي دون الشرك بالله تعالى الذي يغفره الله تعالى بالتوبة .

وسمعت سيدي هلياً الخواص رحمه الله يقول : مظالم العباد ثلاثة قسم يتعلق بالنفوس ، وقسم يتعلق بالأموال : وقسم يتعلق بالأعراض :

فأما النفوس فإما أحلكم هديدة في مثل قتل العمد ، والخطاه . ووجوب العقود ، والدية والكفارة ، وغير ذلك ، مما هو مذكور في كتب الفقه

وأما الأموال . فإنه لا بد من ردها إلى المظلوم ، أو وارثه ، وإن تمرد ذلك لم يبق غير التضيق بها من صاحبها على مذهب من يرى ذلك ، فإن عجز عن رد المظالم ، فليست أكثر من الحسنات التي يوفى منها الغرماء عند الميزان ، وإلا فليتناهب لتحمل أثقال المظلوم وأوزاره يوم القيامة كما ورد في الصحيح إن من كانت له حسنات أخذ من حسناته ، وأعطى المظلوم ، ومن لم يكن له حسنات طرح عليه من سيئات المظلوم ، وكتب له كتاب إلى النار .

وأما الأعراض فقد ذكر بعض محقق الأئمة فيها تفصيلا حسنا له أحوط الوجوه في هذا الباب وهو أن تلك المظلمة وإن كانت غيبة أو نيمية أو نحوهما فلا يخلوا الأمر من حالين إما أن يكون قد بلغت المظلوم أو لم تبلغه فإن تسكن قد بلغت فإن الطريق هو التحلل منها وإن لم تبلغه كان تبليغها له إذا جدد جديد ويؤدي إلى الخصاص ، وانقطاع

المودة ونحو ذلك ما هو أصعب من تلك المظلمة ، فالطريق في ذلك كثيره الاستغفار له دون قبلية ، وطلب التحلل منه .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن من الذنوب ما يشتهيه أمره على صاحبه من جهة كونه من مظالم النفس ومظالم العباد ، كالزنا والتلوط مثلاً ، فإن الأمر في ذلك يحتاج إلى تفصيل ، ايظهر بواسطته وجه الصواب ، وهو أن يقال : إن كان المفعول به مبدولاً كانت تلك المعصية من مظالم النفس ، وإن كان الفاعل قد راوده ، وهاوده ، واستنزله كان ذلك من مظالم العباد الصعبة ، لأنه أذى تلك الصورة ، وقهرها ، وجبراًها على المعصية ، ومن سن منه سيئه كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، وأيضاً فإنه هناك هرضها وأذى أهلها وحلمهم العار ، وأوجب لهم الحرص على استيفاء الفداء بقتله ، ولو بعد مدة طويلة مع ما في ذلك من تورث الأحقاد ، والضمان في النفوس بسبب ذلك الفعل ، ولو بالإشاعة ، وقد وقع في الوجود من أمثال ذلك ما لا يحصى كثرة ، وهو من أعظم المظالم المؤثرة في النفوس ، فيجب إخراج فاعل ذلك من الحارة ، والمكان الذى هو مسكنه خوفاً أن يقتله أهل ذلك المفعول به من امرأة أو غلام ، لأن غالب الناس لا يملك نفسه أن يردّها عن قتل من رآه يفسق في ولده أو كريته أو زوجته — بل بعضهم قتل من رآه نزل داره فقط من غير فسق في أحد بل يلجئى لصاحب تلك الفعلة أن يرحل هو حيّاه من أهل حارته ، ولا يرجع إليهم ، فإن قلت : فهل يغفر الحج مظالم العباد ؟ فالجواب لا تغفر مظالم العباد بذلك بل ، ولا يغفرها الجهاد الذى هو أعظم من الحج ، وقد ثبت في الصحيح (أن رجلاً قال : يا رسول الله أرأيت إن قتل في سبيل الله هل يغفر لى كل شيء قتل له : إن قتل في سبيل الله الله مقبلاً غير مدبر وأنت صابر محتسب غفر لك كل شيء ثم ذهب الرجل ، ونزل الوحي ، فلما مرى عنه صلى الله عليه وسلم جىء به ، وعاد الكلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم : غفر لك كل شيء إلا الدين بهذا جاءني جبريل وهذا يعلم به فضل جلس الجهاد على جلس الحج قوله تعالى : (أجهلتم عقوبة

الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون
هناك الله . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة
عند الله وأولئك هم الفاعلون (١) .

وقد تمسك طائفة من الناس في هذا الباب بمحدث لم تثبت صحته عند الحفاظ

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : حقوق الله تعالى تنفر بالتوبة بحكم
الوعد منه تعالى إن الله لا يخلق اليعاد ، وأما حقوق العباد ، فإن فيها حقا لحق
وحننا للخلق ، فبالتوبة يغفر حق الحق منها ويبقى حق المظلوم إلى أن يستوفى ، أو يزول
بطريقة الشرعي انتهى .

وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول : الوصول إلى مقامات اليقين النعمة
، اجبة على المكلفين إلا الرضى ، فإنه مستحب عند أكثر العلماء ، وليس بواجب .
فقلت : وما هي النعمة ؟

فقال : الصبر والتوبة والشكر والرجاء ، والخوف ، والإهد ، والرضى ، والترك ،
والحبة .

فقلت له : أن الرضى أفضل من الصبر ، وأعلا وأشرف ، فكيف يكون الفضل
مستحبا ، والمفضل واجبا مع أن في الحديث الصحيح (ما تقرب إلى للتقرب به) بل
أداء ما افترضت عليهم) .

فقال رحمه الله تعالى : إن الله خفف عن عوام هذه الأمة أمورا منها الرضى فجعله
مستحبا ، لعجز أ كثر الخلق عن الوصول إلى مقامه إذ هو موهبة من الله تعالى يقف
في قلب من يشاء من عباده بخلاف الصبر ، فإنه يجب على النعموس النصبر ، ثم الصبر

مع الكراهة في مقامات الصبر الثلاثة ، وهو الصبر على الطاعات ، حتى تؤدي ، ومن المعاصي ، حتى تترك ، وعلى المصائب عند نزولها ، ثم إن النفس إذا اطعأنت ، فإن الحال يتغير عليها في ذلك ، حتى كان بعضهم يقول : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى ، وهي تبكي ، حتى صارت ، لتسوقني ، وهي تضحك ، ومن هنا يتمكن العبد في مقام الرضى للشار إليه بحديث أنس بن مالك : (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف يوماً قط ، ولا قال ، شيء لم أفعله هل لافعلته ، وكان إذا سمع بعض أهله يعاتبني يقول : فروه ما قدر شيء لكان انتهى فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يشعرون أن لهم فضلاً مع أحد من إذا أحسنوا إليه

بن يفعلون الخير له ولا يطلبون عليه جزاء ، ولا شكوراً ، وميزان التحقيق بذلك أن لا يكون لهم إذلال على من أحسنوا إليه ، ومتى كان عندم إذلال عليه ، فإحسانهم معلول ، وصاحب العمل المعلوم لا حرمة . له به عند الله تعالى لإحيائه بتلك العلة ، وربما رأى له بذلك منة على الفقير ، فمطيه الفقير بعزل أو مرض .

وقد وقع أن الشيخ عبد القادر المازلي بنى لشيخ شيخنا زاوية ، وعمل له فيها ضريحاً ، ودفن الشيخ فيه ، ثم إن ولده العزيز هندمات ، فدفنه ، بجانب الشيخ ، فما فرغ من دفنه ، حتى جاءت لمن أخلده لظمة قاب عقله منها ، فاطلموه من قبر الشيخ محمولا ، فبقي نسمه أشهر ضعيفاً يبول ، ويتفوط على نفسه ، حتى قدرته نفوس أهله ، فطوموه في محل المزابل ، فأثناء الشيخ ، وقال : تب إلى الله تعالى إنك ما عدت تدخل أحداً على فقير في القبر ، وأنت تطيب من هذا المرض ، فتأب إلى الله تعالى ، وطاب من وقته انتهى .

فيلبغى لمن بنى لشيخ ضريحاً أن يوصي أهله بأن لا يدفنوه إذا مات إلا بعيداً عنه مع استئذان الشيخ أيضاً ، فيقولون له : دستور ياسيدي ندفن بجانبك فلانا ، فإنه يسمع في القبر ، وقد أوصيت أنا أصحابي إذا أنامت أن لا يدفنوني بجانب قبر الشيخ نور الدين الشافعي إلا بعد استئذانه ، ولو كنت أنا الذي دفننه هندی ابتداء ، لأنى لم أر لي فضلاً عليه بذلك بل الفضل له الذي أجاب لدفن هندی لما سأله في مرض موته . فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم تعظيم حرمان الله تعالى والتباعد عن تعدي حدوده

نم إن أحدهم إذا وقع في أصغر الذنوب هادة في رأى الدين رأى ذلك الذنب من الكبار بجامع المخالفة ، والعلم بأن الله تعالى نهى عن ذلك ، وقد يسأح الحق تعالى في الذنب الكبير ، ويؤاخذ بالصغير عند فاهله كل ذلك إجلالا لله تعالى ، فلا يزال أحدهم كذلك ، حتى يرى الغفلة عن الله لحظة أشد عليه من كل بلاء ويقع له من الخوف بسبب ذلك أشد من الخوف الواقع عليه من أكبر البلايا ، وذلك من علامات السكال في مقام الإجلال وقد تخلقت بذلك والله الحمد ، ثم رجعت إلى السكال من ذلك وهو تعظيم حدود الله تعالى على حسب ماوردت بحكم النعية للشارع في ذلك ، فأعظم الكبيره على الصغيرة ، والصغيرة على المكروه ، والمكروه على خلاف الأولى ، فإن العبد تابع ما هو مشروح ، وما بين الشارع مراتب الحدود إلا ليعلمنا بتفاوتها لتعظيمها بحسب مراتبها ، وكذلك القول في قسم المأمورات فتعظيم فعل الواجب أكثر من المندوب ، وتعظيم المندوب أكثر من الأدب ، ونندم على ترك كل واحد بحسب تأكيد الشارع عليه ، فرجع حال السالك في حال نهايته إلى صورة بدايته .

والنصد مختلف من حيث تفاوت المأمورات ، والمنهيات في الدرجة ، وكانت مسارة الأوامر والنواهي في التوسط للمالك من شدة تعظيمه لله تعالى ، فاستعظم مأموراته ، ومنهياته جملة خوفا من الله تعالى ، وهذا ثياب المخالفة بقطع النظر عن مشاهدة حكمة تفاوتها كما ورد عن الشارع .

وتم مقام رفيع ومقام أرفع وعلى ما قررناه يحمل قول الجنيد (ما ثم هندي ذنبا أعظم من الغفلة عن الله عز وجل) ، وأنه قال ذلك حال ترسطة في الطريق ، فإن الشرك ، وقتل النفس أعظم من الغفلة عن الله عز وجل ، كما قال المسيح عليه الصلاة والسلام في حب الدنيا (إنه رأس كل خطيئة) انتهى أى محبة شهواتها مع الغفلة عن الله عز وجل ، فإنه لولا شهوة القتل للنفس مع الغفلة عن الله تعالى ما قتل ، ولولا شهوة الزنا ما زنى ، ولولا شهوة شرب الخمر ما شرب وهكذا ، فاعلم ذلك ، ونقيد بالشرعية في كل فعل وترك واعتقاد والحمد لله رب العالمين .

فهرس محتويات الكتاب

الصفحة

٥ الباب الخامس : في جملة أخرى من الأخلاق

فن أخلاقهم : مبادرتهم ببادى الرأى إلى النظر في حكمة الماعى إذا
وقعت ولا يعترضون إلا بعد النظر في حكمة الأفعال .

٨ ومن أخلاقهم : عدم مماناة أحد من إخوانهم

٩ شهودهم في نفوسهم أنهم دون مرديهم

٩ حجة إقامة الفقرا عندهم في الزاوية ليذكروهم بالله تعالى

بقراءتهم وذكرهم وعبادتهم لا لغرض من الأغراض

١٠ النفسانية

١٢ شهودهم إطلاق اسم الفسق الفوى عليهم في جميع أحوالهم

١٢ رضاهم عن الله تعالى إذا ناموا عن وردهم بالليل مثلاً

١٣ وشكرهم له حيث أنامهم في عافية لأبدانهم

١٤ عدم التذكر ممن بلغهم عنه أنه ينفذهم عن طريق الصوفية

١٦ تسليمهم لكل من ادعى أنه أعطى مقام الكشف

١٧ عدم إنكارهم على من عمل شيخاً وصار ينزل بلاد

الريف ويأخذ العهد على الفلاحين بالوضوء والصلاة أسوة

أمتالهم فقط من غير أن يرقهم إلى معرفة آداب الطريق

٢٥ كما عليه المطاوعة

٢٥ إذا دخله عليهم إنسان وأحدهم بمزح مزاحاً مباحاً أن

٢٦ يسموه ولا يقطعوه لأجل ذلك الداخل إلا بنية صالحة

٢٦ إذا ركبوا حاجة أن لا يدعوا أحداً من إخوانهم يمشى

٢٧ حولهم بحيث ينسب إليهم بالخدمة إلا لضرورة شرعية

المنحة

- ومن أخلاقهم : عدم محبتهم لبس ثياب مخصوصة دون غيرها ! (١) بهد
وصولهم إلى مقام يتساوى عندهم فيه لبس المشاق ولبس
المحمرات ٢٨
- تجيبهم لمن أراد أن يأخذ عن أحد من أقرانهم في الأخذ منه ٢٩
- كراهتهم لدخول الأسراء والأكابر عليهم في حال قراءة ٣٠
- أورادهم وأحزابهم ومحافلهم ٣١
- شدة خوضهم من المواظبة على ذكر الله تعالى والزهد ٣٢
- في الدنيا وكثرة الورع أن يكون ذلك استدراكا إلى وقوعهم في العجب ٣٣
- عدم أخذهم أصحابهم معهم إلى ولية دعاهم إليها من علموا ٣٤
- بالفرائن أنه مكلف في عمل طعنها ولو من حلال ٣٥
- للتورع في جميع أحوالهم ٣٦
- الحصل على معرفتهم برجعانهم في الدين أو نقصانهم كل وقت ٣٧
- كثرة نفرتهم ممن يدعوهم إلى شيء من شهوات الدنيا المذمومة ٣٨
- تساوى القهقري والازاب يعني في الميل إليه في حال بدايتهم ٣٩
- إذا سروا على نلال لذهب والفضة من غير تراحم عليها ٤٠
- في الدنيا ولا حساب عليها في نظمهم في الآخرة أن لا يطاطبوا ٤١
- أحدهم لأخذ شيء منها إلا بقدر الحاجة في ذلك اليوم ٤٢
- من أكل أو شرب وفاء دين ومحو ذلك ٤٣
- تورعهم عن الأكل من شيء من وقت الصوفية ٤٤
- إذا وقف أحد ممن لا يتورع على أحدهم شيء فيه حق للغير ٤٥
- ولو جزءا ضميا أن لا يقبل ذلك ٤٦
- أهم يمرضون مرض ولادة أو ورع ثم يخلصون من المرض ٤٧
- إذا شفي ولانهم من مرضهم ٤٨
- كثرة الشفقة على خلق الله عز وجل بطريقه الشرعي ٤٩

صفحة

ومن أخلاقهم : أن لا يجبروا شيئاً ، إلا إن بلغتهم أن الله تعالى يحب منهم أن
يجبوا ذلك الشيء

٥٢

» » عدم بداءة أحد من إخوانهم بالزيارة إذا علموا بقرائن
الأحوال أنه يكافهم ويأتي إليهم

٥٣

» » كثرة شكرهم لله تعالى إذا نزل بهم بلاء في بدنهم أو مالهم
أنهم لا يتدأبون من مرض إلا إن عجزوا عن تحمله

٥٥

» » كراحتهم لحطاب الله تعالى إذا كان على بدنهم نجاسة
خضوعهم لله تعالى بقلوبهم إذا تناولوا شيئاً من شهوات

٥٦

للنفوس من أكل وشراب وجاع ولبس ثوب نظيف
ونحو ذلك

٥٧

» » مراعاتهم لليتيم بالإحسان إليه والإكرام له أكثر مما
كانوا يكرمونه أيام حياة والده

٥٨

» » نفرتهم من كثرة إعتقاد الناس فيهم إلا لفرض شرعى
إذا جلسوا للوعظ أن يأخذوا جميع معاني ما يعظون به

٥٩

» » الناس أولاً في حق نفوسهم لاعتظوا ثم بعد ذلك يظنون غيرهم
أن أحدهم لا يقول لمريده إذا قرب منك للشيطان فاصرخ

٦٠

عليه باسمي فإنه يهرب

٦١

» » كثرة زجرهم لأصحابهم من الأمراء المباشرين وغيرهم
إذا سمعوا أحداً منهم يجهلهم من الأولياء والصالحين

٦٢

» » محبتهم لكل من أحب طائفة القوم وإن لم يلحق بهم
أن يكتموا عن إخوانهم حوائجهم

٦٣

» » أن لا يفتح أحدهم على نفسه باب قبول الرفق من الناس
ثم يفرق ذلك على الناس ولا يأخذ منه شيئاً

٦٤

» » أن لا يتعاطوا سبباً يعيل إليهم أبناء الدنيا إلا لفرض
صحيح شرعى

٦٥

الصفحة

- ومن أخلاقهم : إذا توسط أحد لهم في شيء للفقراء من قح أو غسل
أو رزقه أو جوالى أو غير ذلك أن يشركوه معهم في ذلك
٦٧ بشرط الحل فيه فإن ذلك من الإنصاف
- » » في حال كمالهم طلب حوائجهم من الله تعالى في الدارين
٦٨ من باب الفضل والمنة
- » » حبة كل من زاد عليهم في الطاعات من إخوانهم أكثر من محبتهم
لنفوسهم تبعاً لله عز وجل
٧٠
- » » الفرح بالفتح على سربهم إذا فارقهم بغير فتح عقب غضبهم
عليه مثلاً
٧١
- » » أن ينشرح صدر أحدهم إذا أبلغ أن للناس يقولون عنه أنه
لم يرث من مقام شيخه إلا الدواوى فقط وإن فلانا هو
الذى ورث حال الشيخ وسره
٧٢
- » » عدم مبادرتهم للخروج مع الناس في الاستسقاء
» » إجابتهم إلى الولية متى فيها أحد من أقرانهم وفرحهم أكثر
من انعدام دعوتهم بالحضور
٧٥
- » » عدم إظهارهم الوفاة بينهم للناس
» » أن يحضروا أصحابهم على تنبيههم لهم كلما وقوا في شيء من
الأحوال المناقصة ليتوبوا منه كما عليه السلف الصالح من
الصحابة والتابعين والائمة
٧٨
- » » عدم اغترار أحدهم بكثرة أتباعه
» » كثرة البكاء والنوح على عدم البكاء عند تلاوة
٨١ القرآن الكريم
- » » إخراجهم للضيف ما يجدونه ولو كسرة يابسة من
جريش الشعير
٨٣
- » » كثرة حثهم للفقراء المقيمين في زوايتهم على كثرة الذكر لله تعالى
وتلاوة القرآن العظيم وقراءة الحديث والفقهاء من حيث
٨٤ كونهم رعيته

الصفحة

- ومن أخلاقهم : ختم لأصحابهم على كثرة تلاوة القرآن الكريم إحتساباً
 ٨٥ لله عز وجل
 » » عدم إقتادهم على مملوم من رزقة أو جوالي أو هدية من
 حلال أو نحو ذلك بل هم محتدون على الله تعالى
 ٨٦ دون الأسباب
 » » كثرة حبائهم وخجلهم من سيدنا ومولانا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إذا كان لهم ورد في الصلاة عليه في وقت
 ٨٧ مخصوص وحصل لهم تمويق من فقه في ذلك الوقت
 » » حسن سياستهم لزوجاتهم وعدم الغفلة عن تعليمهن أحكام
 دينهن من طهارة وصلاة وصوم
 ٨٨ كثرة شكرهم لله تعالى إذا جملهم خداماً للفقراء القاطنين عندهم
 ٨٩ عدم تخصيص أحدهم نفسه بغير طريق شرعى بشيء من
 الهدايا التى تأتى إلى الزاوية لا سراً ولا جهرأ
 ٩٠ مساعدة الخادم والفقير في تنقية الطحين وعجنه وتقريضه
 ورصه وخبزه إذا رأوه محتاجين إلى مثل ذلك
 ٩١ محبتهم لمساورة السميان والآيتام والمرجان والأرامل
 وكل طاجز عندهم
 ٩٢ ومن أخلاقهم حزنهم قوت السنة فأكثر لأجل ضعفاء المؤمنين
 من الأرامل والمجاهزين القاطنين عندهم
 ٩٣ كثرة تزيينهم الثياب والعمائم
 ٩٤ عدم الأكل من وقف زاويتهم إذا كان فيه شبهة كأن وقفه
 أحد من الأسراء الذين لا يتورعون
 ٩٥ حسن سياستهم لإخوانهم القاصرين من أهل الزاوية حتى
 يصيروا يردوا ما يأتهم من هدايا الولا بطيبة نفس لأجاء
 من الشيخ أو خرفاً منه
 ٩٦ عدم رضاهم بقراءة إخوانهم القرآن بالفلوس ليلة الجمعة في
 البيوت والقبور إلا بنية صالحة
 ٩٧

الصفحة

- ومن أخلاقهم : حسن سياستهم لمن شرد عنهم من أصحابهم واشتغل بالدنيا
 ٩٨ وتضرع قلبه حيا
 ٩٩ إلقاءهم بالهم إلى الفقراء القاطنين عندهم
 إذا عمر أحدهم زاوية أن يحرز النية للصالح في عمارتها
 ١٠١ ليدوم الخيرة فيها بعده
 ١٠٢ منع سريدهم من زيارة غيرهم مصلحة له
 إذا طابوا سريداً أوائل صحبتهم لهم فلا يعاتبوه إلا بعد
 ١٠٣ تمهيدهم له بساطاً بحيث يفرحهم منه محبة الشيخ له
 ١٠٤ أن يكون أحدهم متبحراً في العلوم
 ١٠٥ حماية أصحابهم ممن يظلمهم
 حمل تبعه زواياهم إذا كانوا نظاراً عليه من تحكيم الفلحة
 ١٠٦ وللفتنين على حياته ومباشره
 ١٠٧ عدم توقف أحدهم في وزن ما عليه من حقوق الناس ولا
 يحوجون من له عليهم حق بأن يقف بهم على حاكم شرعي
 أو سياسي
 ١٠٨ مرفقهم باسم الله الأعظم
 كثرة كسوتهم لإخوانهم من غير ترفق ولو كان من أنفاس
 ١١٠ ثيابهم
 ١١١ إقبالهم على اللريد بقدر إقباله عليهم
 ١١٢ أن لا يدخلوا في صحبة أحد حتى يرضوا على أنفسهم حقوقه
 ١١٣ عدم غفلتهم عن إرشاد هذه الأمة إلى طريق الرشاد
 ١١٤ أن يشهدوا فضل الفقير إذا قبل منهم صدقه وبروا له ليد
 للعليا عليهم
 ١٢٥ عدم تشوف نفوسهم إلى مكافأتهم على هديتهم لإخوانهم إذا
 جاءوا من الحجاز أو الشام مثلاً وأهدوا شيئاً لإخوانهم
 ١٢٦ عدم قطع برهم وحسنهم للناس إذا علموا النكير وكفروا

الصفحة

- بواسطتهم ولم يروا لهم فضلاً عليهم بل يزيدون في برهم
 وإحسانهم إليهم ١٢٧
 ومن أخلاقهم : الرحمة واشفقة كل من كان على التقوى من أصحابهم ثم
 بدل وغير وصار قاسماً شريراً يستيذ الناس من شره ١٣٤
 طبيب نفوسهم بإعطاء الفط أو الكلب ورك الدجاجة
 أو قطعة اللحم وقف ينظر إليهم وهم يأكلون ١٣٥
 حضورهم بقلوبهم مع الله تعالى حال أكلهم وشربهم ١٣٨
 عدم تكديرهم بمن ذهبوا إلى زيارته فليأذن لهم في الدخول
 عملاً بقوله « وإن قبل لكم إرجعوا فارجعوا هو
 أزكى لكم » ١٣٩
 عدم دق الباب على أخيمم بلا اضرورة شرعية عملاً بقوله
 تعالى « ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم » ١٤١
 صحة نومهم إلى الله تعالى في دفع الدنيا منهم كلما أقبلت ١٤٣
 تنبيه الحق تعالى ماياً كارة من الحرام بعلامات يعرفهم إياها ١٤٤
 كثرة خوفهم من أكل الحرام والشبهات ١٤٥
 أن يقبلوا بتوجه ثم كلما قدم لهم طعام يخافون أن يكون
 فيه شبهة ١٤٦
 عدم إطعامهم الضيف شيئاً فيه شبهة ١٤٧
 عدم التفاخر بكثرة إطعامهم الطعام حباً في نشر الصيت بذلك ١٤٨
 تقليل الطعام جداً في رمضان للضيف ١٥٠
 عدم الصلاة في نوب اشتغال الخياط عن الصلاة بخياطته ١٥١
 عدم إعلامهم للمارف بما يريدون أن يحملوه من الولايم ١٥٢
 شهامة النفس والبقطة لكل ما يدخل جوفهم من طعام
 المريدین ١٥٠
 عدم التداوى بإشارة كافر ١٥٢
 الرضى بالبلاء والنظر في حاقبه ١٥٥
 إذا دخلوا على سريخ يودونه أن يتحملوا عنه للرض ١٥٥

الصفحة

- ١٥٦ أو شيئاً منه من باب تعلق السبب على المسبب
ومن أخلاقهم : عدم غفلتهم عن الصلاة في أول وقتها أيام مرضهم أو أيام
١٧٤ نهمهم بالبلايا والحن عن الإخوان أخذاً بالعزائم
الرضى عن ربهم عز وجل إذا قسم لهم اليسير من الطامات
كما يرضون عنه إذا قسم لهم اليسير من الرزق على حد سواء
١٧٥ رؤية حقارة نفوسهم أن يقفوا بين يدي الله عز وجل
١٧٦ أنهم يحملون ما سمعوا من واعظ أو خطيب في حق أنفسهم
بالأمانة
١٧٧ الفرح والسرور بكل شئ أو واعظ برز في بلدهم وحارتهم
وصار يلتقط أصحابهم واحداً بعد واحد
١٧٨ عدم اعتراضهم على العالم إذا زار أحداً من النصابين
١٧٩ حفظهم الأدب مع كبراء الوقت من علماء وصالحين
١٨٠ عدم لبس الثياب المحررات وعدم نكاح المنعمات والسراري
الدائمات
١٨١ عدم جلوسهم في المسجد على حدث ظاهر أو باطن كالسكر
والحقد وضوء العطن بعلم ونحو ذلك كخطور مصيبة
على قلوبهم
١٨٢ كراهتهم لإخراج الربيع منهم في المجالس أو المسجد تعظيماً
لنعم في حضرتهم كشفاً أو أدباً
١٨٣ كراهة زيارتهم لعدوهم وحاسدهم من المسلمين بثياب رفيعة
مبعثرة خشية عليه من إدخال الغم عليه بذلك
١٨٤ إذا مرضوا أو قدموا من سفر ن لا يتسببوا في زيارة
الناس لهم أو عيادتهم إلا بنية صالحة
١٨٥ كراهتهم لحضور الحفلة التي لم يندب الشرع إلى حضوره
لكن بنية صالحة
١٨٦ كراهتهم للنوم على غير وتر
١٨٧

الصفحة

- ومن أخلاقهم : سؤالهم الحق جل وعلا أن يتجاوز ويغفر في حق من جنا عليهم وأذا هم من جميع المسلمين
- ١٨٨ » » عدم المجادة لأحد من الفقهاء عند تورثهم قسوسهم أو قس من جادلوه خوفاً من تعدى الحدود في أدب العلم
- ١٨٩ » » كثرة مشاورتهم لإخوانهم في كل أمر لم يصرح بالتأخر فيه بخصوصية بخلاف
- ١٩٠ » » للقيام بواجب حق الإخوان الصادقين والقيام بحقوقهم
- ١٩١ » » عدم رد ما يأتيهم من الهدايا الحلال إذا خافوا كسر خاطر ذلك المولى
- ٢٠١ » » عدم الإنكار على تضييع أحد من المسلمين
- ٢٠٢ » » عدم هجرة أحد من المسلمين فوق ثلاث
- ٢٠٣ » » حل أصحابهم على المحامل الحسنة
- ٢٠٤ » » حضورهم مع الحق جل وعلا في حال جماعهم لحالاتهم
- ٢٠٥

الباب السادس في جملة أخرى من الأخلاق

- ومن أخلاقهم : إكرامهم عيالهم وإعطاؤهم كل ما طلبوه من الحوائج
- ٢٠٩ » » ذمهم لاستعابهم الصادقين في محبة الطريق إذا خافوا عليهم
- ٢١٠ » » عجايبهم
- ٢١٢ » » أن لا يكتفى أحدهم بميشته في حسن سلفة
- ٢١٣ » » أن يكون أحدهم هيناً لبناً مع إخوانه في كل معروف
- » » المحافظة على الفرائض والسنن الشرعية وحفظ ظاهرهم من مخالفة الشريعة في شيء من أحوالهم
- ٢١٨ » » كثرة تصفحهم وحلمهم من على خاطبهم بقلب غافل
- ٢٢٢ » » بداعة من يروونه محتاجاً بالعطية
- ٢٢٣ » » كثرة سترهم لمورات المسلمين التي يسرون بها ولا يعلنون
- ٢٢٤ » » عدم إزدراءهم الناس إذا وقعوا في معصية وإنما يخافون أن ينلوا بما أبدل به من المصائب
- ٢٢٥

صفحة

- ومن أخلاقهم : الإعتناء بستر عورة عدوهم أكثر من عورة صديقهم ٢٢٦
 عدم المبادرة إلى الإنكار على عالم أو صالح نقل عنه غلطة
 في الشريعة أو زلة من الزلات ٢٢٧
 مشاركتهم في الفرح والسرور لمن ولد له مولود ٢٣٦
 حفظهم مقام إخوانهم في غيبتهم فضلا عن حضورهم ٢٣٧
 أنهم لا يسألون ولا يردون ما أعطوه من الحلال ٢٣٨
 حسن سياستهم لزوجتهم إذا تزوجوا عليها ٢٣٩
 سترهم لأحوالهم ما أمكن ٢٤١
 شدة محبتهم للسادة الأشراف رضى الله تعالى عنهم إكراماً
 لجدهم صلى الله عليه وسلم من حيث إنهم بضمة منه صلى
 الله عليه وسلم ٢٤٤
 حفظ حرمة أشياخهم بعد موتهم فضلا عن حياتهم ٢٤٦
 عدم المزاحمة لمشايخ عصرهم على تلقين الذكر وأخذ العهد ٢٤٧
 أن يلهذوا لاكل من طيب أن يكون شيخا عليهم ولو كان
 مأذونا لهم في المشيخة من أستاذهم ٢٤٨
 إذا ورد عليهم فقير يدعى للشيخا وقرسوا منه أنه لا يواظب
 على مجلس الذكر معهم إلا أن يجملوه يفتح عليهم الذكر
 فن الأدب أن يعزموا عليه بأن يتدىء الذكر ٢٤٩
 عدم أخذهم العهد على مرید نكث عهد شيخه في
 حياته وجاء إليهم ٢٥٠
 عدم أخذهم العهد على مرید بأنه لا يفعل كذا في المستقبل
 خوفا عليه من نقض العهد ٢٥١
 عدم البشاشة في وجه أحد من مریدی مشايخ عصرهم ٢٥٢
 أن يحصى أحد من الخرفة من العظمى في أهلها ٢٥٣
 أن لا يبادروا إلى تلقين الذكر لاكل من سألهم ذلك إظهارا
 لمزلة الطريق ٢٥٤
 عدم تعريضهم لأحد من الناس أن يصحبهم ٢٥٥

الصفحة

- ومن أخلافهم : عدم تعاطي الأمور للفسقة في مقام العارفين ٢٥٦
- » » عدم النفقة عن استحضار زلاتهم ونسيان حسناتهم فيستقلون طاعتهم و يستكزون سيئاتهم ٢٥٧
- » » إذا رأى أحدهم حاله فاق على إخوانه حتى كاد أن ينافي نورهم أن يتظاهر بصد ذلك إشاراً لإخوانه بالكثرة بالصلاح ٢٥٨
- » » أنهم لا يقتضون بالأخذ من أحكام الشريعة على الوجه للظاهر دون مطالبة نفوسهم بالحقائق ٢٥٩
- » » كثر اتهامهم لنفوسهم إذا ادعت أنها سلمت من الأمراض الباطنية . ٢٦٠
- » » كثر تفتيشهم على عيوبهم السكينة التي لم تظهر لهم . ٢٦٢
- » » إذا وعظوا الخلق أن لا يدعوا للناس إلى شيء إلا بعد علمهم به . ٢٦٣
- » » إذا وعظوا أن لا يخرجوا عن الأمور التي كلف الله بها عبادة . ٢٦٥
- » » الإقبال على الله تعالى في صلاتهم ٢٦٦
- » » مطالبة نفوسهم بالانفناء القهري إلى فهم معاني القرآن الكريم ومواظبه وزواجره إذا تلوه ٢٦٧
- » » عدم الإعتماد على شيء من أعمالهم الشاقة كالصوم والحج الكثير . ٢٦٨
- » » إذا جاؤوا بمكة أو المدينة أن يراعوا حقوق الله تعالى وحقوق نبيه ﷺ . ٢٦٩
- » » عدم الإحتفال ببناء المساجد إلا إن وسع الله تعالى عليهم من الكسب الحلال . ٢٧٢
- » » النصيح لآخوانهم من الأغنياء ٢٧٣
- » » عدم القناعة بمجلس الله كر صباحاً ومساءً مع النفقة عن الله تعالى فيما بينهما كما يقع فيه بعض المفرورين ٢٧٤
- » » عدم الاغترار بمراسم الصالحين الظاهرة والوقوف معها . ٢٨٥

الصفحة

- ومن أخلاقهم : عدم التقيد على أحد من مشايخ العرب أو الاسراء إذا
 ٢٨١ محبهم بأن لا يصحب غيرهم
 » » اجلال أشياخهم في غيبتهم وعدم الوقوع في شيء يكدر
 ٢٨٢ قلوب أشياخهم عليهم عادة
 » » عدم تكلمهم من صريدهم إذا زار شيخاً آخر
 ٢٨٣ إنشراح صدرهم لكل شيخ عقده مجلس ذكر تجاه
 ٢٨٤ مجلسهم الذي هم له في الجامع مثلاً
 » » عدم التميز في الجلسة بفرش سجادة نحتهم إلا لضرورة شرعية
 ٢٨٥ كرامتهم لا كل طعام صريدهم قبل أن يتمكن أحدهم من
 ٢٨٦ محبتهم ويرى أن جميع ما هو فيه من فضل أستاذه
 » » رجوعهم باللوم على أنفسهم إذا خالف أحد أغراضهم من
 ٢٨٧ زوجه أو خادم أو ولد أو صاحب
 » » صبرهم على تحمل الأذى لهم من الناس وعدم صبرهم على
 ٢٨٨ من أذى أحداً من أصحابهم
 » » تبجيل كل من آذاهم في غيبته وحضوره
 ٢٨٩ عدم تساهلهم — كلما طعنوا في السن — في الأكل من
 هدايا الولاة ومن لا يتورع في مكسبه ليفارقوا القوم لأنه
 ٢٩٠ من كمال الورع
 » » إن لا يسكنوا الجماعة إذا كانوا في مجلس الذكر إلا بعد
 ٢٩١ أن يستأذنوا الحق تعالى بقلوبهم
 » » أن لا يظهرون للناس من أخوانهم من آداب الطريق إلا
 ٢٩٢ ما يملكون من الناس القدرة على العمل به إلا لمرض صحيح
 » » إذا ظلم حكامهم وعيبتهم أن ينصحوا الرعية ليرجعوا عن
 ٢٩٣ معاصي الله تعالى
 » » تعظيم أولاد مشايخهم في العلم والطريق والقيام لهم في
 ٢٩٤ المحافل ، وغيرها ولو كانوا عواماً اجلالاً لوالدهم
 » » شهود فضل تعلمهم عليهم في حياتهم وبعد مماتهم

المفرد

- ومن أخلاقهم: هدايتهم من جاءهم يسألهم في فن يحملوا حمله من
 الأسراء والمباشرين ٢٩٦
- ملاحة مريديهم إذا سافروا أو إذا أقاموا في بيوتهم ٢٩٧
- إنهم نفوسهم في إمكان الوقوع في سائر الكبار فضلا عن
 الوقوع في الأصغار ٢٩٨
- أنهم لا يتزوجون لشيخهم زوجة سواء طلقها في حال
 حياته أو توفي عنها ٢٩٩
- إذا دخلوا محفلا وجلسوا عند الخال لا يرون نفوسهم ٣٠٠
- بذلك على المستدرين في المجلس من حيث مواضعهم أو غيره ٣٠٠
- إذا قرءوا القرآن أو سمعوه أن يحملوا جميع وزواجره
 في حق أنفسهم ٣٠١
- الاحتجاب عن كل من آتاهم لغرض شرعي ٣٠٢
- كراهتهم لقيام الليل قبل أن يصطف كبراء الحضرة الالهية ٣٠٣
- حبة مناجاة الله تعالى في الأسفار ٣٠٤
- ألا يزوروا ولياً أو طالما حيا أو ميتاً إلا بقصد أن يقدم
 بمده أو لفرض شرعي صحيح دون أن يروا نفوسهم ٣٠٥
- عليه بالزيادة ٣٠٥
- تصدقهم للفقراء فيما يخبرون به عن أنفسهم من الأمور ٣٠٦
- للق تحبها المقول عادة ٣٠٦
- أنهم يكرهون من يقبل يدهم أو يقوم لهم أو يمشي معهم
 من غير غرض شرعي ٣١٣
- إحکرام أهل الحرف النافذة ٣١٤
- تصبرهم على المرض ٣١٥
- إنهم لا يقبلون هدية من لا يتورع في مكسبه ٣١٦
- هروبهم من تحمل من من زارهم من الأكابر ٣١٧
- الاكثار من الأعمال الصالحة ٣١٩
- سراعاة حق الحار ٣١٨

الصفحة

٣٢٠	ومن أخلاقهم : اشتغالهم بتوديع الدقائق والدرج والساعات	
٣٢١	زيادة العمل للطاعات بحضرة مریدهم	» »
٣٢٢	إكرامهم لحلة القرآن والشريعة المطهرة	» »
٣٢٣	كثرة سترتهم لطالب العلم إذا دخل عليهم وهم يقرءون في كلام أهل الطريق	» »
٣٢٤	شدة كراهتهم للتقدم للإمامة في الفرائض والجنائز والاستسقاء ونحو ذلك	» »
٣٢٥	مبادرتهم للشكر لله تعالى إذا قدر لهم طاعة ومبادرتهم للاستمقار إذا قدر عليهم معصية	» »
٣٢٦	المبادرة للشكر إذا غلغلت السر	» »
٣٢٧	أنهم لا يخرجون من بيتهم إلا بعد أن يقول أحدهم بقلبه اللهم إن كان أحد قد عزم على زيادتي وخرج في الطريق عوقى له حتى يحجى	» »
٣٢٨	فدل الأمور التي أخبر الحق تعالى أنه يحجبها	» »
٣٢٩	عدم مؤاخذه أحد بحجابه عليهم	» »
٣٣٠	عدم دعائهم على شريف أذهم	» »
٣٣١	فرحهم بوفرة أبناء الدنيا عنهم	» »
٣٣٢	عدم الاعتزاز بكثرة المتقدين فيهم	» »
٣٣٣	عدم اعتنائهم واهتمامهم بشيء من أمور الدنيا الابنية	» »
٣٣٤	صاحبة	» »
٣٣٥	إذا استوى طمسهم ولجة العرس أو غيره أن يأذنوا للناس في أكله	» »
٣٣٦	كراهة من يرفقهم على أقرانهم	» »
٣٣٧	كراهة معانهم لغناء وآلات المطربة	» »
٣٣٨	عدم المبادرة إلى الإنكار على أحد من الفقراء بحكم العموم والإشاعة	» »
٣٣٩	عدم عتابهم لأحد في عدم التردد إليهم	» »

الصفحة

- ومن أخلاقهم : ألا يشكروا من تليذم إذا تركهم ٢٢٩
- حفظهم لمن أكلوا خلد خبز ٢٤٠
- شدة زجرهم يقل إليهم قاتل الناس ٢٤١
- وما قاله الناس فيهم ٢٤٣
- حسن سياحتهم وتأليفهم بين للتشاحتين مما ٢٤٤
- عدم موافقتهم لفرض صاحبهم فيما يضره ٢٤٥
- الباب السابع : في جهة أخرى من الأخلاق
- فن أخلاقهم : عدم المبادرة إلى تركبة الولاية بالسكنجة في المحاضر
- إلا أن اضطرروا إلى مثل ذلك بطريقه الشرعى ٢٤٧
- ومن أخلاقهم : إذا كان لهم خراج أن يوصوا الجاني أن يرفق
- بأفلاحين ٢٤٨
- حسن سياحتهم لفقره الزاوية إذا تركوا قراءة
- الأوراد والعبادات واتخذوها مقبلا وسراجا ٢٤٩
- إذا ضيق الله تعالى على أحدهم لرزق الذى ينفق
- منه على إخوانه أن يكتب لهم بالحرقه والزراعة
- وسؤال السلطان ٢٥١
- إذا صاحب أحد من أشياخ الطريق أحداً من الأمراء
- ففى الأدب عدم مزاحمتهم لذلك الشيخ في محبة
- ذلك الأمير ٢٥٣
- أن يأسروا إخوانهم أن لا يجلس أحد منهم عند شيخ
- من أشياخ الطريق إلا على طهارة من الحدث الظاهر
- والباطن ٢٥٥
- أن يزجروا كل من رغب أحداً من الأمراء في زبائنهم ٢٥٦
- أن ينزلوا أمقل نسائهم فإذا غارت زوجتهم من
- كلامهم لجارياتهم أو لنبيس لها مثلاً من أمقل ترك
- ذلك وإلا خربت الدار ٢٥٧

الصفحة

- ومن أخلاقهم : ان يرشدوا فقراء الزاوية إلى كمال الأدب في اللش
 ٣٥٨ وفتح الحزائن بلا صوت
 إذا جاءهم أحد يطلب على يدهم الطريق أن يملوه
 ٣٥٩ بما يستقبله فيهم من أنواع الامتحان
 الخروج عن محبة أولادهم بالطبع إلى المحبة الدينية حتى
 ٣٦٣ يصير أولادهم عندهم بمثابة الأجانب على حد سواء
 إذا صار أحدهم مورداً للإخوان ومقصوداً في قضاء
 حوائجهم وأهلاً لزيارة الناس له من الأكار
 والاصغر أن يقدم المكوف في يده على زيارة إخواته
 ٣٦٤ أو عيادتهم
 () الذي أرسل لهم السلام ثم لا يرون أنهم
 كافؤه بالشئ إليه فإن خطورهم على قلبه أكثر فضلاً
 من مشيتهم إليه
 ٣٦٥ إذا كان طعام زاويتهم لسكر وارد عليهم بشرط الواقف
 أو بإشارة الناظر الذي له الإدخال والإخراج أن
 لا يردوا من جاء يطلب المجاورة عندهم
 ٣٦٦ إذا هجر أحدهم سريراً بطريقة الشرع أن لا يكون
 ٣٦٧ في باطنه له حقد ولا غل ولا مكر
 إذا دخلوا على سلطان أو وزير أن يسلموا عليه باللفظ
 الوارد في السنة
 ٣٦٨ كزرة الخوف من الله تعالى كما دنى أجلهم
 ٣٦٩ إنحاء للؤذن في سفرهم كإقامتهم ولو كان عبداً حبشياً
 ٣٨٦ إرشادهم إخوانهم من الولاية إلى العمل بشروط الولاية
 ٣٩٠ أن لا ينكحوا من الولاية إذا أخذوا أحداً من زاويتهم
 ٣٩٣ ممن لهم عليه نية واحتضى بهم
 إذا ولي السلطان على بلدهم ناساً من أمير أو قاض أن
 يتوجهوا إلى الله تعالى في هضم نفسه وابن كلمته للرعية
 ٣٩٦ راحة به وبالرعية

الصفحة

	ومن اخلافهم : أن يرشدوا من يطلب منهم قضاء حاجة من الولاية		
٣٩٧	والقضاء وغيرهم		
	أن يسوسوا الولاية بالترغيب تارة والترهيب أخرى بحكم	»	»
٣٩٨	الافتداء بالرسول ﷺ		
٣٩٩	عدم إظهار السكرات إلا لغرض شرعي	»	»
	محرير النية الصالحة في سفر الحج أو زيارة الأولياء الذين	»	»
٤٠٠	في بلدهم أو في بلاد الشريف أو البراري ونحوها		
٤٠٢	كثرة تعظيمهم لإخوانهم المسلمين	»	»
	أن يكون مطمح بصرهم يباذلي إلى أن الحق تعالى	»	»
٤٠٣	هو الذي يولى ويمزل بواسطة خلقه وبلا واسطة		
	أن لا يزاحوا على صحبة الولاية إلا لأجل منافع الناس مع	»	»
٤٠٤	أعنة عن أموالهم جلة واحدة		
٤٠٦	أن يتوجهوا إلى الله تعالى في صحبة الامراء	»	»
٤٠٧	أن لا يزور أحدهم أخاه إلا إذا وجد عنده داعية لذلك	»	»
	أن لا يشكروا أحداً بين الناس إلا أن كانت صفاته المحموده	»	»
٤٠٨	تطلب على المذمومة		
٤٠٩	أن لا يركنوا قط للولاية ولا يثقوا بدمام صحبة أحد منهم	»	»
	إن يحذروا إخوانهم الذين أقاموهم في جمع الدنيا وانفاقها	»	»
٤١٠	على الفقراء من الطمع		
٤١١	أن ياملوا إخوانهم بكثرة الإيتار إذا سافروا إلى الحجاز	»	»
	أن لا يبادوا أحدهم إلى الأكل من طعام إخوانه المشهورين	»	»
	بالصلاح في عصره حتى يفتش ذلك الطعام ينظر من أي		
٤١٤	طريق وصل إلى ذلك الصالح		
٤١٦	كنان أحوالهم وكالاتهم إلا لمصلحة شرعية	»	»
٤١٧	إذا سافروا إلى الحجاز للحج قدوا أمير الحج بأرواحهم	»	»
	إذا دخلوا مضيافاً أو نزوا في المحطة أن يقدموا مجال جارهم	»	»
٤١٩	على جمالهم		

صفحة

- ومن أخلاقهم : أن يخففوا عن الجلال أنقالها ٤٢٠
- » » أن يتفقدوا إخوانهم في بندر الازلم والعقبة إذا وصلت ٤٢١
- » » إليهم هدية من مصر من جبن وعسل وفول وغير ذلك ٤٢٢
- » » إذا وصلوا إلى مكة المشرفة أن لا يغفلوا عن الدعاء في ٤٢٣
- » » مواطن الاجابة لانفسهم وإخوانهم ٤٢٤
- » » إذا سافروا إلى الحج وحفظ الركب تلك السنة من قطاع ٤٢٥
- » » الطريق ومن وموت الجلال ٤٢٦
- » » الاعتناء بمن تغير عليهم من الاصحاب وجفاهم بعد المحبة ٤٢٧
- » » والقرب منهم ويعملون للعلم على أنفسهم في ذلك ٤٢٨
- » » اخلاص العمل لله عز وجل لا للثواب في الآخرة ٤٢٩
- » » العمل على تحصيل معرفة الله تعالى المعروفة بين القوم ٤٣٠
- » » فرحهم بالبلاء إذا نزل بهم وحزنهم إذا نزل بالامة ٤٣١
- » » إرشاد الناس إلى طرق التصبر والصبر ٤٣٢
- » » تجوهم أوائل دخولهم الطريق مع وجود الطعام مجاهدة ٤٣٣
- » » لنفوسهم ٤٣٤
- » » صلهم على مناجاة ربهم في كل وقت وحين ٤٣٥
- » » أن لا يأكلوا من هدايا الفلاحين الزراعيه في طين تحت ٤٣٦
- » » نظرهم إذا قدموا من سفر الحجاز مثلاً ٤٣٧
- » » العمل على تحصيل الصفا وزوال الجفا حتى لا يصير أحدهم ٤٣٨
- » » يكره أحدا من خلق الله تعالى بحظ نفسى ٤٣٩
- » » أن يفرحوا إذا ولد لهم مولود من حيث كونه رحمة من الله ٤٤٠
- » » تعالى عليهم ٤٤١
- » » للعمل على تحصيل مقام الحضور مع الله تعالى في كل عبادة ٤٤٢
- » » أن لا يتوقفوا أن يجيبوا أحداً إلى خطبة كريمة إلا بعد أن ٤٤٣
- » » أطلعهم الله أن الله تعالى قد قسم تزويجها للعلم الخاطب ٤٤٤
- » » شدة حذرهم من سحر الدنيا لقلوبهم ٤٤٥

الصفحة

٤٤٩	شدة تواضعهم لأقرانهم بطريقه الشرعى	»	»
	إذا كثرت تبعات الاخلاق عليهم يقينا أو شكرا في ذلك أن	»	»
	يتوجهوا إلى الله تعالى في تمسكين أصحاب الحقوق منهم في		
٤٥٠	الدنيا ليصلوا إلى نظير حقوقهم في المال والمرض		
	إذا طلب أحد من العلماء أن ينظر في رسالتهم أن	»	»
	لا يجيبوه إلى ذلك حتى يتوجهوا إلى الله تعالى بأن يزيل		
٤٥٢	ما في قلب ذلك العالم من الحسد والكبر والطمع والمعجب		
	العمل على زوال الظن من قلب أحدهم وذلك إذا لاحظ	»	»
٤٥٣	الشر فيه		
٤٥٤	العمل على تحصيل مقام الصبر والتقوى معاً	»	»
٤٥٥	شدة التباعد عن الوقوع في مظالم العباد مطلقاً	»	»
٤٥٩	أنهم لا يشعرون أن لهم فضلاً مع أحدهم إذا أحسنوا إليه	»	»
٤٦٠	تمظيم حرمان الله تعالى والتباعد عن تمدى حدوده	»	»

تم الجزء الثاني بحون الله وتوفيقه وعنايته

وبليته الجزء الثالث إن شاء الله تعالى

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب هادياً لكل مؤمن إلى

طريق الهدى والرشاد والفلاح إنه نعم المولى ونعم النصير

وبالله التوفيق

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٦٨ لسنة ١٩٧٥

مطبعة جستان

(١٩٤) اشاع الجیش . ت . ٨٢٣٥٤٠ ص ٤٨٤